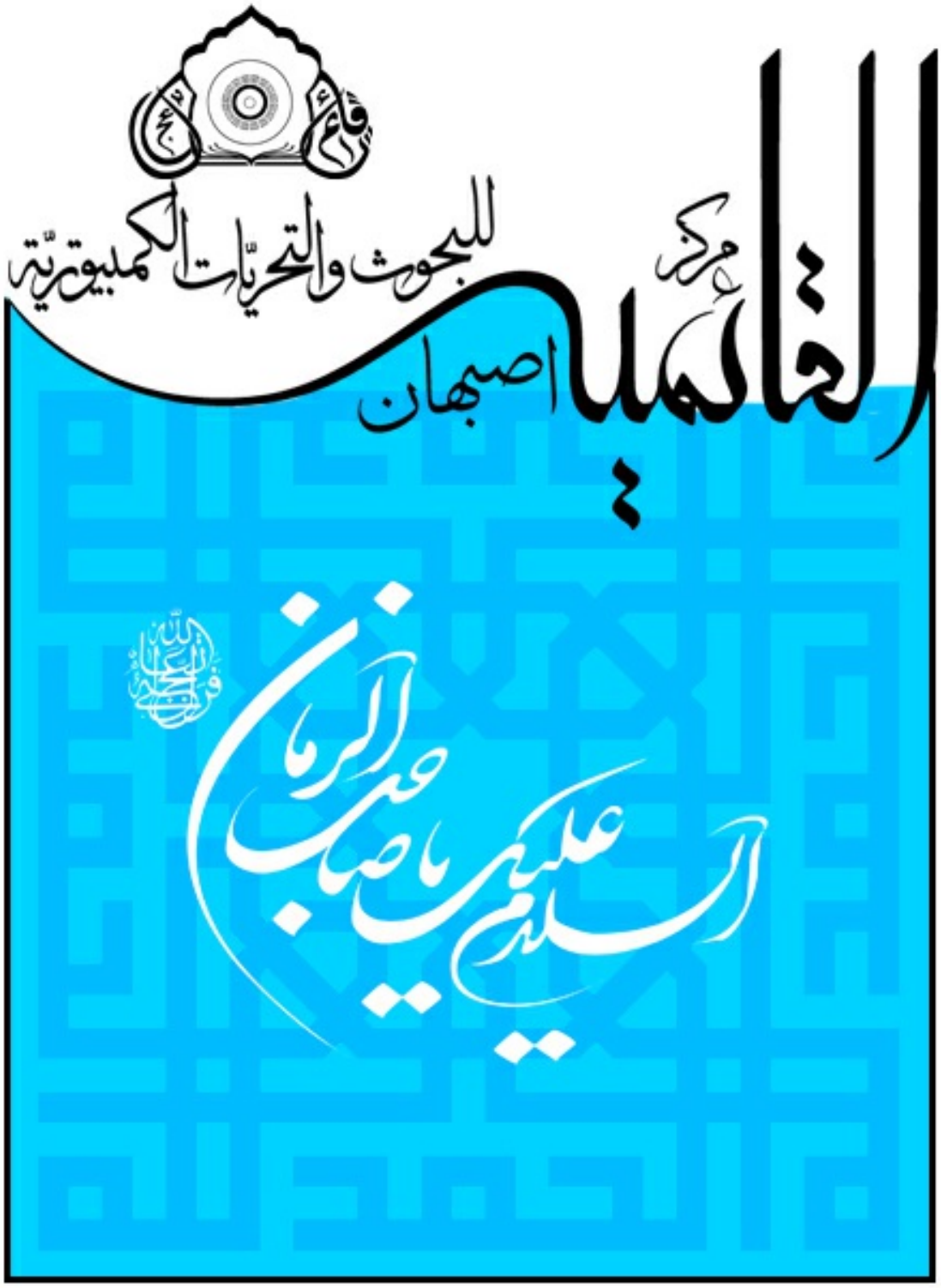

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

حماة الوحي

آية الله العظمى
الشيخ محمد الفاضل اللنكراني

بسم الله الرحمن الرحیم

حماه الوحی

كاتب:

محمد فاضل لنكرانی

نشرت فی الطباعة:

مركز فقه الائمه الاطهار (عليهم السلام)

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
حماه الوحی ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
المقدّمه قیم الامم عری موثقه ----- ۲۰
قیمه السلعه: ----- ۲۰
السبب الأهمّ: ----- ۲۱
قیمه الشخص: ----- ۲۱
القرآن الکریم: ----- ۲۲
أهل البیت: ----- ۲۳
طموحات المجتمعات: ----- ۲۴
مهمّتنا: ----- ۲۴
الدافع من تألیف الکتاب: ----- ۲۵
الإمامه علی ضوء القرآن الکریم ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
القرآن و الإمامه: ----- ۳۱
الدلیل الأوّل من القرآن ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
الهدف من الامتحان: ----- ۳۴
النبی إبراهیم و التمحیص: ----- ۳۴
مواد التمحیص: ----- ۳۵
الدلیل الثانی من القرآن ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
بحث فی الآیه المبارکه: ----- ۳۹

لمن الطاعه؟ ---- ۴۱
خلاصه البحث: ---- ۴۳
مزید من الضوء علی آیه أُولی الأمر: ---- ۴۶
الحدیث الأوّل: ---- ۴۷
ملاحظه: ---- ۴۸
تحقیق آخر فی الآیه: ---- ۴۹
الحدیث الثانی: ---- ۵۰
الحدیث الثالث: ---- ۵۱
الحدیث الرابع: ---- ۵۳
خلاصه التحقیقات: ---- ۵۴
الإمام فی رساله سیّد الشهداء علیه السلام ---- ۵۶
الدلیل الثالث من القرآن ---- ۶۲
اشاره ---- ۶۲
توضیح المُراد: ---- ۶۳
قضیه مهمّه: ---- ۶۴
إشاره إجمالیه إلی بعض الروایات الوارده فی تفسیر الآیات الدالّه علی الإمامه ---- ۶۶
دراسه ضروریّه ---- ۶۹
بحث مختصر: ---- ۷۱
خلاصه ما مرّ: ---- ۷۳
خلاصه البحث: ---- ۷۷
الدلیل الرابع من القرآن ---- ۸۰
اشاره ---- ۸۰
دعوه النبی إبراهیم علیه السلام: ---- ۸۱
الآیات و الالتفاتات: ---- ۸۲
دلیل حی: ---- ۸۳
مزید من التوضیح: ---- ۸۴

كشف النقاب عن أصاله الإمامه: ---- ۸۴
ما نخلص إليه من هذه الآيات: ---- ۸۵
نتيجه هذه الدراسات: ---- ۸۵
سؤال يطرح نفسه: ---- ۸۶
جواب: ---- ۸۶
حديث مع صاحب تفسير المنار: ---- ۸۷
سؤال آخر: ---- ۹۰
إشكال مهمّ: ---- ۹۴
فهرس الكتاب إلى هنا: ---- ۱۰۰
سؤال يثير الأسف: ---- ۱۰۱
الجواب: ---- ۱۰۲
قبسات من شرائط الإمامه ---- ۱۰۴
اشاره ---- ۱۰۴
خلاصه شرائط الإمامه: ---- ۱۰۵
بحث فى تفاصيل هذه الشرائط: ---- ۱۰۵
سؤال: ---- ۱۰۶
الجواب: ---- ۱۰۷
القرآن و شرائط الإمامه ---- ۱۰۷
طلب قائد للجيش ---- ۱۱۲
ملاحظه مهمّه: ---- ۱۱۳
طالوت: ---- ۱۱۴
خلاصه هذا البحث: ---- ۱۱۶
التابوت: ---- ۱۱۶
حديث أبى بصير: ---- ۱۱۸
قولنا أم قول المفسّرين؟ ---- ۱۱۹
الجواب: ---- ۱۲۰

زبده الكلام: ---- ۱۲۱
النقطه الثانيه: ---- ۱۲۶
العنوان الأوّل: قصص الأنبياء و الامم الماضيه: ---- ۱۲۷
اشاره ---- ۱۲۷
النتيجه: ---- ۱۳۱
خلاصه الحديث: ---- ۱۳۲
نتيجه هاتين النقطتين: ---- ۱۳۲
العنوان الثانى لقصه طالوت: ---- ۱۳۳
الآيات الثلاث: ---- ۱۳۴
هذه الآيات الثلاث و هدفها: ---- ۱۳۶
دليلنا: ---- ۱۳۷
أمير المؤمنين عليه السلام و آيات قصّه طالوت: ---- ۱۳۸
عود إلى شرائط الإمامه المستفاده من القرآن ---- ۱۴۴
آيه الاصطفاء ---- ۱۴۴
الأمر الأوّل: ---- ۱۴۴
رفع إشكال: ---- ۱۴۵
الجواب: ---- ۱۴۶
جواب آخر: ---- ۱۴۷
مَنْ هُم آل إبراهيم؟ ---- ۱۴۸
هدف سامٍ: ---- ۱۴۹
هدف الآيه: ---- ۱۵۱
نتيجه هذه الأبحاث: ---- ۱۵۲
الحسين عليه السلام و الآيه الكريمه: ---- ۱۵۳
الآيه المُباركه و أحاديث الإماميه: ---- ۱۵۳
خلاصه الآيات و الروايات: ---- ۱۵۵
ملاحظه: ---- ۱۵۶

علم الإمام علیه السلام ----- ۱۵۸
الزعامه فی الإسلام: ----- ۱۵۸
القرآن و علم الأنبیاء علیهم السلام: ----- ۱۵۹
مفاد الطوائف الثلاث من الآیات: ----- ۱۶۳
علم الأئمّه علیهم السلام: ----- ۱۶۴
نقطه ضروریه: ----- ۱۶۵
الآیه الأُولی: ----- ۱۶۷
اشاره ----- ۱۶۷
نظره أعمق: ----- ۱۶۸
الآیه الثانیه: ----- ۱۶۸
اشاره ----- ۱۶۸
منصب یوسف علیه السلام: ----- ۱۶۹
الآیه الثالثه: ----- ۱۶۹
الآیه الرابعه: ----- ۱۷۰
ثمره هذا البحث القرآنی: ----- ۱۷۰
علائم الإمام علیه السلام: ----- ۱۷۲
التصدّی للانحراف: ----- ۱۷۳
هدف الآیات النافیه لعلم الغیب: ----- ۱۷۴
آیات أُخری: ----- ۱۷۶
هدف الأئمّه من نفی العلم بالغیب: ----- ۱۷۷
إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام: ----- ۱۷۷
الأخبار الغیبیه لعلی علیه السلام: ----- ۱۷۹
الروایات و علم غیب الأئمّه علیهم السلام: ----- ۱۸۰
بحث مختصر حول آیه قرآنیه: ----- ۱۸۲
علل الزعامه: ----- ۱۸۴
وحده الموضوع: ----- ۱۸۵

الذهول و الدهشه!! ---- ۱۸۵
خلاصه هذا الفصل: ---- ۱۸۷
ثمره هذه الخلاصه: ---- ۱۸۸
روایه عمیقه: ---- ۱۸۸
شرح الروایه: ---- ۱۹۰
دوافع نفی الإمام علمه بالغیب الدافع الأوّل: ---- ۱۹۲
الدافع الثانی: ---- ۱۹۳
روایتان: ---- ۱۹۵
ملاحظه: ---- ۱۹۵
تکرار و تذکیر: ---- ۱۹۶
الدلیل الأوّل: ---- ۱۹۶
الدلیل الثانی: ---- ۱۹۷
الدلیل الثالث: ---- ۱۹۸
دراسه الآیه: ---- ۱۹۹
عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟ ---- ۲۰۰
مَنْ هُم المصطفون من العباد؟ ---- ۲۰۰
الدلیل الدامغ: ---- ۲۰۰
وارث الکتاب الکریم: ---- ۲۰۲
کیف یعلم الجمیع؟! ---- ۲۰۳
الشواهد الحیّه!!! ---- ۲۰۴
طرق الأئمّه علیهم السلام فی الحصول علی العلم: ---- ۲۰۴
أمیر المؤمنین علیه السلام و الآیه الکریمه: ---- ۲۰۶
المعلّم الأوّل: ---- ۲۰۸
المعلّم الثانی: ---- ۲۰۹
الإمام الصادق علیه السلام و علم الإمام: ---- ۲۰۹
القرآن و علم الإمام علیه السلام: ---- ۲۱۰

أسئله و أجوبه: ----- ۲۱۰
العلم الشائی: ----- ۲۱۲
إیضاح: ----- ۲۱۲
علم الإمام سیّد الشهداء علیه السلام بحادثه کربلاء ----- ۲۱۴
اشاره ----- ۲۱۴
ثلاثه أخطاء رئیسیه: ----- ۲۱۵
الخطأ الرئیسی الأوّل: ----- ۲۱۵
الخطأ الرئیسی الثانی: ----- ۲۱۶
الخطأ الرئیسی الثالث: ----- ۲۱۷
الکتاب و الخطأ الأوّل: ----- ۲۱۷
اشاره ----- ۲۱۷
نتیجه الأدلّه: ----- ۲۳۲
الموضوع الأوّل: ----- ۲۳۳
الموضوع الثانی: ----- ۲۳۳
جواب الموضوع الأوّل: ----- ۲۳۳
جواب الموضوع الثانی: ----- ۲۳۴
جواب السؤال الثالث: ----- ۲۳۵
طریق مغلق؟! ----- ۲۳۷
۵- خطبه «خُطّ الموت ...» ----- ۲۴۵
المؤلّف و الإقرار بالعلم: ----- ۲۴۹
الحدیث الأوّل: ----- ۲۵۴
مناقشه الحدیث: ----- ۲۵۵
الحدیث الثانی: ----- ۲۵۷
وقفه مع الحدیث: ----- ۲۵۸
الحدیث الثالث: ----- ۲۵۹
ما ینبغی الالتفات إلیه فی الحدیثین: ----- ۲۶۰

دلیل آخر: ----- ۲۶۲
نتیجه البحث: ----- ۲۶۳
مفاد الروایتین: ----- ۲۶۴
۳- الجمع بین الرساله و عدم قتل جماعه: ----- ۲۶۵
افتراض آخر: ----- ۲۶۵
الحدیث الرابع: ----- ۲۶۷
تحقیق مختصر: ----- ۲۶۷
زبده الکلام: ----- ۲۶۹
شهاده الإمام فی کربلاء علی لسان أهل البیت علیهم السلام و أتباعهم: ----- ۲۷۱
بُکاء محمّد بن الحنفیه: ----- ۲۷۴
حدیث رائع: ----- ۲۷۵
السرّ الأکبر: ----- ۲۷۶
الکتاب و الخطأ الرئیسی الثانی: ----- ۲۷۷
اشاره ----- ۲۷۷
حادثه کربلاء نفخت الروح فی جسد الإسلام: ----- ۲۷۹
الجهاد فی الإسلام: ----- ۲۷۹
المعطیات الخالده للحادثه: ----- ۲۸۳
النظره السطحیه: ----- ۲۸۵
یأس الامّه: ----- ۲۸۵
خطبه زینب الکبری: ----- ۲۸۷
المنطق الغاشم: ----- ۲۸۷
سر عدم النجاح: ----- ۲۹۰
الصوره الثانیه: ----- ۲۹۳
معطیات الحادثه بعد وقوعها: ----- ۲۹۴
الحسین علیه السلام و الإسلام: ----- ۲۹۵
الکتاب و الخطأ الرئیسی الثالث ----- ۳۰۱

اشاره ---------- ۳۰۱
ملاحظه: ---------- ۳۰۲
ما هی الاقتراحات الثلاث؟ ---------- ۳۰۲
ملاحظه: ---------- ۳۰۴
تکرار: ---------- ۳۰۶
هل للإمام أکثر من هدف؟ ---------- ۳۰۷
الصلح المشرّف! ---------- ۳۰۹
الأهمّ من کلّ هذه الأقوال: ---------- ۳۱۵
ثوره الإمام علیه السلام لیست دفاعاً عن النفس ---------- ۳۱۸
مصادر التحقیق ---------- ۳۲۵
تعریف مرکز ---------- ۳۳۲

حماه الوحی

اشاره

سرشناسه : فاضل موحدی لنکرانی، محمد، ۱۳۱۰ -

عنوان قراردادی : ائمه اطهار (علیهم اسلام) یا پاسداران وحی در قرآن کریم. عربی.

عنوان و نام پدیدآور : حماه الوحی/محمد الفاضل اللنکرانی، شهاب الدین الاشراقی ؛ المترجم عبد الرحیم الحمدانی.

مشخصات نشر : قم: مرکز فقه الائمه الاطهار علیهم السلام، ۱۴۲۵ق.، =۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ۳۲۸ ص.

شابک : ۳۰۰۰۰ ریال۹۶۴۷۷۰۹۲۱۹

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

شناسه افزوده : اشراقی، شهاب الدین

شناسه افزوده : طهرانی، عبد الرحیم

شماره کتابشناسی ملی : ۱۱۶۵۹۵۸

ص: ۱

اشاره

المقدّمه قیم الامم عری موثقه

قیمه السلعه:

الحدیث المتداول فی الوسط الاقتصادی إنّما یدور حول السلعه و السوق.

و السؤال الذی یثیره الاقتصادیون هو ما ثمن سلعه ما؟ و عاده ما یتراوح ثمن السلعه بین الهبوط و الارتفاع؛ الامر الذی یصطلح علیه بتأرجح القیمه.

و یرتبط تأرجح القیمه بحاجه الأمّه بصوره مباشره، فاذا کانت هناک من حاجه ارتفعت القیمه و بخلافه تنخفض، و علیه فهی خاضعه لقضیه العرض و الطلب، و القاعده بینهما عکسیه فإذا ازداد الطلب قلّ العرض بینما یزداد العرض إذا قلّ الطلب، و من هنا تزداد القیمه إذا ازداد الطلب بینما تهبط فی العکس. إذن فالمشتری یشکّل أحد عناصر قیمه السلعه، و من هنا تعمد البلدان إلی تقییم رفع مستوی قیمه سلعها و تبعث بخبرائها الذین یقیّمون التسویق من أجل مضاعفه عدد الزبائن و زیاده حجم الصادرات، لدیمومه عجله الاقتصاد بغیّه الحدّ من الهواجس التی یستبطنها الفقر.

السبب الأهمّ:

العنصر الأهمّ فی قیمه الأشیاء یکمن فی نفس السلعه، فالسلعه لیست بذات أهمیه إذا کان تأرجح قیمتها علی ضوء الحاجه فهی تحمل قیمتها معها، و غلاء مثل هذه السلع إنّما یتوقّف علی طلب الناس؛ و یعزی ذلک إلی خلوّ السلعه فی حدّ ذاتها من القیمه المطلوبه. فالذهب من السلع الثمینه، و هو رصید لسائر السلع، و لیس للطلب من تأثیر یذکر فی ارتفاع سعره. فقد یقلّ الطلب إلّا أنّ سعره لا یهبط. و السؤال الذی یطرح نفسه هنا: لِمَ کان الذهب غالیاً فی جمیع البلدان و لا یفقد قیمته؟ و یبدو أن علل الإجابه علی هذا السؤال تحظی بأهمّیه فائقه نوکلها إلی علماء الاقتصاد، إلّا أنّنا نخوض فی بعض الأمور بهذا الشأن: فالذهب معدن قوی و مقاوم فی مختلف الظروف و لا یفقد خصائصه إلی جانب جماله و جذّابیه لونه، فهو لا یتأثر بالماء و سائر العناصر المؤثّره فی خصائص المعادن، و بریقه یخطف الأبصار و إن دفن لسنوات تحت التراب، و لا یمکن مقارنته بالنحاس الذی یفقد صفاته إلی حدّ الصدأ إذا ما تعرّض لبعض الظروف المؤثره کالرطوبه. و علیه یمکن القول بأنّ غلاء هذا الفلز نابعاً من کونه نفیساً.

قیمه الشخص:

الإنسان کالذهب و لا بدّ من تعیین قیمته من خلال الالتفات إلی ثمن هذا الفلز و سبب غلائه. و للإنسان شخصیتان؛ إحداهما فردیه، و الأخری اجتماعیه. و یمکن تحدید شخصیته الفردیه علی غرار مثال الذهب فیقال: أی إنسان ذو قیمه؟ فی حین لا بدّ من استطلاع رأی الآخرین فی تحدید شخصیته الاجتماعیه، و العنصر المهمّ فی تعیین موقعه و قیمته إنّما یتأتّی من معطیاته علی مستوی المجتمع، کما یکتسب المجتمع

قیمته العالمیه من خلال موقعه. فالفرد القیّم من ذاع نبوغه و مجده فی المجتمع، و توقّفت عجله تنمیته علی خصائصه و امتیازاته. و أمّا المجتمع القیّم فهو ذلک الذی یتمتّع بخصائص بارزه تمیّزه فی المجتمع الدولی، و النظام الناجح للمجتمعات البشریه هو النظام الذی یتمتع بالزعامات التی یفرزها فکر و نضج ذلک المجتمع. و قد التفتت الدنیا الیوم إلی هذه الحقیقه، و هی أنّ البلدان إنّما تحتذی حذو الشعوب المقتدره الحیّه فی إعداد و بلوره شعوبها، حیث یشکّل هذا الاحتذاء البنیه التحتیّه لخلق المجتمع المطلوب. إلّا أنّ التحقیقات و الدراسات التی قام بها علماء الاجتماع بشأن عناصر ظهور المجتمعات الناجحه أو الفاشله تفید أنّ الشعب الحی هو الشعب الذی یقود مسیرته الأفذاذ من الزعماء الحکماء و القاده النجباء یمسکون بمقدّراته و یتولّون دیمومته و حفظ حیویّته بفضل أفکارهم السامیه و تطلّعاتهم النبیله.

القرآن الکریم:

لقد قدّم القرآن الکریم- کتاب المسلمین- هذه الأطروحه العالمیه العظیمه من أجل إرساء دعائم المجتمع الحیّ و حفظ سیاده المسلمین فی الأسره الدولیه. و قد عزا الکتاب الحکیم ظهور البلدان العامره و المستقله ذات الشعوب المقتدره إلی وجود القاده الأکفّاء و الثقه باللّه و الانفتاح علی الغیب. و قد لفت القرآن أنظار المسلمین إلی أطروحته المذکوره المتمثّله بالقاده الذین یتکفّلون بسعاده الأمّه فی الدارین فقال: أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ(۱). کما أرشدنا إلی تحقّق الأمّه المنیعه التی ینظر إلیها العالم بعین

۱- سوره النساء: الآیه ۵۹.

الإجلال و الإكبار و التى تمتلك عناصر القوّه و الفكر فى ظلّ الزعامه الدينيّه الرشيده فقال: فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً(۱). و عليه فالمدرسه القرآنيه تولى أهمّيه للزعماء الربّانيين فى نشوء البلدان المستقلّه المرفّهه السعيده.

أهل البيت:

و بناءً على ما تقدّم فإنّ هناك صفوه من أهل بيت النبى الأكرم صلى الله عليه و آله تنهض من بعده بقياده الأمّه و إيصالها إلى سعادتها و كما لها المنشود. هذه الصفوه الجليله الحافظه للوحى و الأمينه على العقيده و الناهضه بزمام أمور الإسلام، هى أهل البيت و ولاه الأمر الوارد ذكرهم فى القرآن و أطروحه القرآن هى أنّ زعامه أهل البيت تخلق الأمّه المقتدره و الرشيده التى تسود العالم؛ و ذلك لأنّهم صفوه عالمه، رشيده، زاهده، شجاعه، كريمه، مضحّيه، عالمه بأسرار القرآن، مستنده إلى الغيب، ربيبه مدرسه النبوه و المصطفاه من قِبل اللّه، فهم القاده الذين يتكفّلون بضمان سعاده الأمه، و هم الزعماء المفعمون بحبّ اللّه؛ رحماء بالأمّه لا يكنّون لها سوى الرأفه و الشفقه. لقد نعتهم القرآن و أثنى عليهم بمختلف الصفات، و من هنا منحهم صفه الزعامه المطلقه: «أولى الأمر». فهم و بلطف اللّه و عنايته منزّهون عن كلّ آفه روحيه، ذوو بصائر ثاقبه و صدور منشرحه و قلوب أوعيه لعلم اللّه. هم مَن نسمّيهم الأئمّه الأطهار عليهم السلام.

۱- سوره النساء: الآيه ۵۴.

طموحات المجتمعات:

تتطلّع المجتمعات الحيّه لمثل هؤلاء الزعماء فی تحقیق أهدافها و سعاده شعوبها؛ لأنّها أیقنت بأنّ سعادتها مرهونه بوجود هؤلاء القاده البرره. و قد تفضّل البارئ سبحانه علینا بأن جعل الأئمّه الأطهار علیهم السلام قادتنا إلی السعاده و الفلاح. و هکذا یتبلور المجتمع الشیعی الیوم و بالاستناد إلی هؤلاء البرره بما یلفت انتباه العالم إلی رشده و ازدهاره و تربیته الصائبه الناجحه.

مهمّتنا:

إنّنا إنّما نواجه حدودنا و اعتبارنا الإنسانی إذا ما قصّرنا فی تخلید أئمّتنا و الاعتزاز بهم، فأنّی لهذه الطائفه الحقّه أن تبلغ الکمال و الرقی و نیل الأهداف المقدسه إن غیّبت العداله و اندثر العلم و زال الورع و التقوی. و لعلّ العدو الغاشم المتربّص- الذی یهمّ بشق عصا المسلمین و تجریدهم من عظمتهم و مجدهم- یری أنّ أفضل سبیل یمکّنه من تحقیق أطماعه و سلب الأمّه هویتها إنّما یکمن فیما یوجّهه من ضربه قاصمه لزعامتها الربّانیه، الأمر الذی ینبغی أن یلتفت إلیه المسلمون و یتأمّلوا ما یستنبطه من أفکار هدّامه لا- تضمر سوی توجیه سهامها المسمومه نحو زعمائنا الربّانیّین الأئمّه الأطهار علیهم السلام انطلاقاً من بعض المسمّیات الخلّابه من قبیل الثقافه و الانفتاح و حریه الفکر و ما إلی ذلک من المفردات القلقه. فأعداء الإسلام لا یتورّعون فی التشبّث بکلّ الوسائل من أجل الوقوف بوجه عناصر القوّه و الشخصیات التی یعتمدها القرآن الکریم، فخوار عجل السامری ما زال یسترجع فی حناجر الأجانب الطامعین. و علیه فلا ینبغی الانسیاق وراء هذه الأطروحات الزائفه و الأسالیب العصریه التی لا تنوی سوی النیل من عظمه القرآن الکریم و القضاء علی الإسلام العزیز.

الدافع من تألیف الکتاب:

إنّ الدافع الذی یقف وراء تألیفنا لهذا الکتاب هو ما برز الیوم فی أوساط المجتمع الإیرانی الذی یهدف إلی استغفال الشباب من خلال ما یسمّی ب «الانفتاح الفکری» و «الدین المیسَّر» المغلّفه بشعار «حسبنا کتاب اللّه» الذی یعنی الإسلام من دون زعامه النبی صلی الله علیه و آله و هدایه أهل بیته الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم القاده و الزعماء الأدلّاء علی الطریق، فإن أصررتم علی هذا الشعار کان علیکم الإقرار بزعامتهم علی ضوء تأکیدات الکتاب، فزعامتهم و مکانتهم لا تخرج عن إطار القرآن البته. لقد حاولنا طرح المباحث العلمیّه بأسلوب میسّر، لیتسنّی لنا الردّ علی الأسئله و الاستفسارات التی تدور فی الأذهان. و قد استندنا إلی القرآن الکریم فی کلّ بحث، أمّا التمسّک بأخبار أهل البیت فی بعض الموارد فإنّما کان علی سبیل تأیید ما ورد فی القرآن، فی حین غضضنا الطرف عن مثل هذه الأخبار فی إثبات إمامه الأئمّه علیهم السلام. یشتمل الکتاب علی أربعه أقسام، یقتصر الهدف الأصلی للکتاب علی الأقسام الثلاث الأولی منه، بینما یتکفّل القسم الرابع ببحث علم سیّد الشهداء و معطیات نهضته المبارکه و ... فهو لیس بأهمّیه الأقسام الثلاث التی تتعرّض لقضیه الإمامه من وجهه نظر القرآن. و بالطبع فإنّ بحث الإمامه لیس من الأبحاث الجدیده، فقد ألّف کبار علماء الشیعه و محدِّثیهم عدّه مؤلّفات بهذا الشأن من قبیل: ۱- کتاب الشافی للسید المرتضی علم الهدی، المتوفّی عام ۴۳۶. ۲- کتاب الألفین لآیه اللّه جمال الدین العلّامه الحلّی المؤلَّف تلبیه لطلب ولده الجلیل فخر المحقّقین المتوفّی عام ۷۲۶. ۳- إحقاق الحقّ للقاضی نور اللّه، المتوفّی سنه ۱۰۱۹. ۴- غایه المرام للسیّد هاشم البحرانی، المتوفّی سنه ۱۱۰۷ أو ۱۱۰۹. ۵- الصراط المستقیم إلی مستحقّی التقدیم لعلی بن یونس النباطی البیاضی،

المتوفّی عام ۸۷۷. ۶- عبقات الأنوار للمیر حامد حسین الهندی، المتوفّی عام ۱۳۰۶. ۷- الغدیر للعلّامه الأمینی، المتوفّی عام ۱۳۹۰، و عشرات الکتب الحدیثه بلغه بسیطه. آملین أن توفّر مطالعته بعض الفوائد لکافّه الإخوه من الباحثین و المحقّقین و المثقفین و الشغفین بمقام الإمامه. سائلین الإخوه من العلماء الأعلام و المطّلعین الغضّ و الإغماض عمّا بدر منّا من زلل و خطأ. ربّنا لا تؤاخذنا إن نسینا أو أخطأنا. شهاب الدین الإشراقی- محمّد الفاضل اللنکرانی

الإمامه علی ضوء القرآن الکریم

اشاره

تری الشیعه أنّ الإمامه منصب إلهی، فهم یقولون: لیس للدین من خلود و بقاء إذ کان هناک فراغ یعقب النبی صلی الله علیه و آله لا- وظیفه للدین فیه، کیف یجوز علی اللّه الذی ارتضی الإسلام للناس دیناً خالداً إلی الأبد أن یترک الناس سدیً بعد الرسول الأ-کرم صلی الله علیه و آله دون أن یعیّن لهم وظیفتهم فی حفظ أساس الدین و تطبیق التعالیم الإسلامیه؟ و بناءً علی هذا، لا بدّ أن تکون هناک صفوه تنهض بمسئولیه زعامه المسلمین و تتولّی بیان الأحکام و التعالیم القرآنیه للُامّه الإسلامیه و تتکفّل بحفظ الشریعه السمحاء و إرشاد المسلمین و العمل علی حلّ مشاکلهم و رعایه دیمومه الدین. إذن فالإسلام یتطلّب وجود الإمام بعد النبی صلی الله علیه و آله، فإذا فوّضت الإمامه إلی الناس کان معنی ذلک تزلزل أرکان الدین الإسلامی القائم علی أساس بسط العدل و القِسط و إشاعه التوحید و سلب روح الفضیله و أُسس الوحدانیه؛ و ذلک لأنّه

أوكـل الأـمّه لنفسـها و خوّلهـا انتخاب الإمام، رغم وجود البعض من عبـده الأهواء و حبّ الجاه و الرئاسه الـذين لا يتورّعون عن اعتمـاد الحيله و الخـداع من أجـل الحكم و الأخـذ بزمـام الأـمور؛ و هـذا لن يؤدّى بالتـالى إلّا إلى سـياده الظلمه و الطغاه الـذين يتّخـذون عبـاد اللَّه خولًـا و مـاله دولًا. و عليه و بحكم العقل و المنطق فإنّ اللَّه الـذى أراد لـدينه المُبين أن يكون الـدين الخاتم و الخالـد إلى يوم القيامه، و الذى أسّـس بُنيانه على أساس حكومه العدل و القِسط و بثّ العلم و إشاعه الحريات و الحياه الخالده و العيش الهنى ء الـذى تسوده المسـاواه و المواساه، قـد فرغ من تحديـد تكليف المسـلمين لمرحله ما بعـد رحيل النبى، حـذراً من الهرج و المرج و الفوضـى التى تخلّفهـا حكومه الطُّغـاه، و التى تقود فى خـاتمه المطاف إلى زوال الـدين. و هـذا ما دفع بالطائفه الحقّه لأن تؤمن بأنّ الولايه و الإمامه منصب إلهى ربّانى كالنبوّه، حيث أوجبها اللَّه و حصـرها فى صـفوه من أجل خلود الـدين و بقاء كلمه التوحيد و سياده حكومه العدل العالمى. هذه خلاصه مقتضبه من حكم العقل الذى يرى ضروره وجود الإمام بعد النبى من أجل زعامه الأمّه الإسـلاميه و إداره شـئونها، كما يـدرك هـذا العقل بأنّ اللَّه سـبحانه قـد أودع هـذا المنصب لمن لهم أهليّه القيام بمسئوليته.

القرآن و الإمامه:

مـا يُفهم من القرآن الكريم أيضـاً هو أنّ الإمـامه منصب إلهى، و لاـ بـدّ لنـا من أجـل توضـيح هـذا الأمر أن نسـتعرض النصوص القرآنيه. فالـذى يفيـده القرآن هو أنّ إمـامه الامّه و الولايه عليها إنّما تفوق النبوّه، أى أنّ صـلاحيه الإمامه متوفّره فى النبى، حيث إنّ مجابهته للأحداث و الوقائع المريره

جعلت مقـام النبوّه أعظم ثقلًا فأمـدتّه بالأرضـيه الخصـبه لممارسه منصب زعامه الامّه و إمامتها. و عليه فلا ينبغى أن يسـى ء أحد فهم هذه القضيه ليتصوّر بأنّنا نريد أن نقول:

إنّ الإمـام فوق النبى. كلّا، بل المقصود هو أنّ الإمامه فوق النبوّه و أنّ النبوّه قـد تشـتمل أحياناً على الإمامه. و من هنا يتّضـح بأنّ كـلّ نبى فى نفس الوقت الـذى يبلغ فيه مقـام النبوّه و يخبر عن المغيّبـات فهو إمـام للأُمّه قـد محّص بالبلاء ليكون جـديراً بتولّى منصب الإمـامه. فـالنتيجه التى نخلص إليها أنّ القرآن فى الوقت الـذى يُعتبر فيه الإمامه منصـباً إلهياً، يلفت الانتباه إلى مزيّتها التى تفوق النبوّه، و الآن نتناول بالبحث، الآيات القرآنيه الوارده بهذا الخصوص:

الدليل الأوّل من القرآن

اشاره

قال سبحانه فی کتابه العزیز: وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی قالَ لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ(۱). دراسه الآیه الکریمه: «الکلمه» أحیاناً تطلق هذه اللفظه و یُراد بها المعنی، کما تُطلق أحیاناً أُخری علی الکلام «و کلمه بها کلام قد یؤم»، و قد أطلقها القرآن الکریم علی لسان آیاته علی نوع من الحقائق، کما عبّر عن عیسی علیه السلام بأنّه کلمه إِنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَهٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ(۲). فعیسی علیه السلام حقیقه قیّمه و إنسانیه مدهشه عجیبه، و أنّ اسم هذا الإنسان العجیب هو «عیسی بن مریم». إذن فالکلمه إشاره إلی تلک الحقیقه و الحدّ الوجودی لعیسی، و اسم هذا

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۴.

۲- سوره آل عمران: الآیه ۴۵.

الموجود أو الكلمه هو عيسی، و توكل التفاصيل إلی محلّها(۱). «الابتلاء» الامتحان و التمحيص، و لمّا كان أصله هو البلاء، فكلّ تمحيص و امتحان اشتمل علی البلاء و المصاعب كان ابتلاءً. «الإتمام»: الإكمال و الإتقان.

الهدف من الامتحان:

الهدف من الامتحان هو دراسه قوی الشخص الممتحن و الوقوف علی استعداداته بالنسبه للمادّه التی تخضع للامتحان، فلو امتحن شخص فی مسأله رياضيه، فإنّه يكون موفّقاً فی الامتحان و يُكتب له النجاح إذا تمكّن من حلّ المسأله بصوره صائبه، أمّا إذا عجز عن حلّها و فشل عن الإتيان بالإجابه الصحيحه، إلّا أنّه كتبها بخطّ واضح جميل فإنّ درجته فی الامتحان صفر رغم أنّه أجاد كتابتها بخطّ لطيف. لقد محّص إبراهيم بعدّه حقائق مريره و قد اجتازها بقوّه، و قد خرج مرفوع الرأس أمام الحقّ المطلق فی هذا الاختبار و التمحيص. نعم ما محّص به إبراهيم كان بعض الحقائق الصعبه المريره، أمّا الغرض من ذلك التمحيص فقد تمثّل بالوقوف علی صموده و تجلّده تجاه تلك الحقائق، و حيث نجح فی الامتحان، فقد اتّضح بأنّه عالم ثابت الجِنان صلب بالنسبه لمواد الامتحان.

النبی إبراهيم و التمحيص:

۱- لقد محّص إبراهيم بالإنابه إلی اللّه و التوكّل علی الحقّ و الحقيقه و التوحيد، فخرج من هذا التمحيص مطمئنّ القلب ذا يقين خالص؛ و عليه فإبراهيم كان رجلًا

۱- انظر تفسير« كلام الحقّ» لآيه اللّه الإشراقی.

موقناً و ثابت الجنان منقاداً للحق مسلماً للذات الإلهيه المقدّسه. ۲- إنّ إبراهيم كان يعتمد على علم جمّ فى إثبات مفهوم التوحيد و وجود واهب الوجود بحيث بهت خصمه و لفّته الحيره من منطق إبراهيم و أدلّته و براهينه المحكمه. ۳- كانت شخصيه إبراهيم لا تعرف للقوميه و الوطنيه و القبليه من معنى فى قبال الذوبان و الفناء فى اللَّه و الثبات على العقيده. ۴- أبدى إبراهيم غايه الصبر و الصمود و المقاومه من أجل عقيدته و دافع عنها مستميتاً. ۵- كان خلع حبّ الدنيا عن قلب إبراهيم- و عدم اغتراره بزبرجها- هيناً عليه فى جنب طاعه اللَّه و التسليم لأوامره. ۶- كشف إبراهيم عن مدى شجاعته و عمق شخصيته الذاتيّه فى إطار مواجهته لطاغوت عصره نمرود. ۷- أثبت إبراهيم باستجابته لذبح ابنه مدى زهده فى الدنيا و عشقه للجمال الإلهى المطلق، و أنّه لا يملك لنفسه من خيره تجاه أمر اللَّه سوى الطاعه و التسليم، و ليس هناك من علاقه أسمى من العلاقه باللَّه و الرغبه بامتثال أوامره، و ليس هنالك من أثر يمكنه الحدّ من هذه العلاقه حتّى رابطه الأب بابنه و إن كان وحيده، فقد ملئ قلبه بحبّ اللَّه و لم يدع فيه مثقال حبّه من خردل لحبّ غيره.

مواد التمحيص:

يتبيّن من النقاط آنفه الذكر أنّ المواد التى مُحّص فيها إبراهيم، و قد اجتازها بنجاح هى عباره عن: اليقين التامّ و الإدراك الكامل للحقّ و الحقيقه و خالق العالم،

و الصبر و الاستقامه لإثبات وجود اللَّه، و امتلاکه الحجّه القاطعه و العلم الذی یدعو للحیره و الذهول، و الحلم و التضحیه و الزهد و التغاضی عن زخارف الدنیا و زبرجها، و الشجاعه و المروءه و احتمال الصعاب، و محاربه الأفکار الضالّه و عدم التأثّر بعواطف العوامّ إلی آخر ما هنالک. أجل لقد مُحّص إبراهیم بهذه المواد و قد وفّق فیها جمیعاً، و هو نبیّ، فلمّا مُحّص بهذا التمحیص و کُتب له النجاح و التوفیق جعله اللَّه إماماً مُفترض الطاعه علی الناس. إذن: فالإمامه لا- تتوقّف علی قومیّه الشخصیه أو روابطها النسبیه، و هی لیست تفویضیه، کما أنّها لیست خاضعه لآراء الأمّه و وجهات نظرها من أجل تحدید مصیر البلاد و الإسلام، و لا یمکن لرأی أفراد الأمّه أن یعیّن الزعامه علی الأمّه علی ضوء النظره الإسلامیه، بل الإمامه فی عرض النبوّه و تابعه للإراده الإلهیه و هی منصب ربّانی رفیع لا یشغله إلّا من کان له علم کافٍ و درایه بالأحکام و التعالیم الإلهیه و إشاعه روح التوحید، لیتسنّی له الردّ علی الشبهات و الإشکالات التی تثیرها سائر الأدیان ضدّ اللَّه و الدین، و تفنید النظریات و الفرضیات الجدیده التی تهدف إلی زعزعه أساس التوحید. و علی هذا فلا بدّ أن یکون عالماً بأفکار الناس و عقائدهم و اسلوب تفکیرهم، إلی جانب وقوفه علی العلوم التی من شأنها تهدید الدین الإسلامی الحنیف. بل الإمام هو الشخص الذی لا تأخذه فی اللَّه لومه لائِم و لا یخشی القِتال من أجل الإسلام، و ألّا یُکلّف سوی نفسه فی هذا الشأن. و الإمام هو الشخص الذی لا تزحزحه الشدائد و الویلات و المصائب المروّعه عن الاستقامه و الثبات علی الحقّ، فهو مثال الصبر و الحلم.

و الإمـام هـو الشـخص الـذی لیس لزخـارف الـدنیا و زینتهـا من سبیـل إلی روحه الآـمنه و نفسه المطمئنّه. و الإمـام هو الشـخص المُسـتقیم و الصامـد المضـحّی الـذی لیس لأفکـار العـامّه و خرافاتهـا و انصـیاعها للأراجیف و الأوهام أن تبعـده عن الـدفاع عن العقیـده، و یعیش الاسـتقامه و الصـلابه تجـاه العواطف الطـائشه البعیـده عن التعقّل و المنطق. و أخیراً فالإمام هو الشـخص الـذی یمتلک الشـجاعه و الإقدام الذی لا یدعه یصمت مقابل القوّه الجبّاره التی تناهض اللّه و الحقّ، بل تدفعه شجاعته لإحقاق الحقّ و الإفصاح عن حقائق الدین. ما مرّ معنا کان قبسات مقتضـبه من شـرائط الإمامه، و سنخوض بصوره أکثر تفصیل فی هذا الموضوع من خلال دراسه الآیات الأُخری الوارده بهذا الشأن.

الدلیل الثانی من القرآن

اشاره

قال تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ کُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ ذلِکَ خَیْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِیلًا(۱). کلمه «أمر» لفظ عامّ یشمل جمیع الأقوال و الأفعال، و یمکن اعتباره هنا بمعنی أعمال المجتمع و شئوناته. و لا یُستبعد هنا أن یکون المُراد بالأمر المعنی الاصطلاحی، فیکون المُراد بأولی الأمر فی هذه الحاله الأفراد الذین لهم صلاحیه الآمریه أو إصدار الأوامر، و کأنّ أوامرهم علی درجه من الاعتباریه و وجوب الاتّباع بحیث عرفوا فی القرآن بهذه الصفه «اولی الأمر» أی الأفراد المطاعون فی کلّ ما یأمرون به، فالصفه المذکوره ملازمه لهم، و هی من قبیل الصفه التی ینعت بها بعض الناس الذین ینشطون فی مجال الصناعه و الاستثمار، حتّی صارت صفتهم التی یعرفون بها فیطلق

۱- سوره النساء: الآیه ۵۹.

علیهم أصحاب الصناعه. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ هناک جماعه من الناس تمیّزت فی إسلامیتها بحیث وجبت طاعتهم فیما یأمرون و ینهون، و منصبهم هو منصب إلهی یتمیّز بالإمره حتّی عرفوا بأنّهم «اولی الأمر». و بالطبع فإنّ هنالک مسأله لم یلتفت إلیها البعض من أولئک الذین خاضوا فی مِصداق اولی الأمر أو استغرقوا فی مفهومه، فذهبوا إلی أنّ الأمر بمعنی شأن من الأفعال و الأقوال، ففسّروا اولی الأمر علی أنّهم الأفراد الذین تکون کافّه الشئون و الامور تحت تصرّفهم و ولایتهم.

بحث فی الآیه المبارکه:

الطاعه هی اتّباع الأمر، إذن فمفهومها یفید صدور الحکم و الأمر من المطاع، طبعاً الأصل الأوّلی هو عدم وجود حکومه و إمره لفرد علی فرد آخر. فالإنسان کائن خُلِقَ حرّاً، و ینبغی أن یعیش الحریه فی الفکر و العمل، فالحریه جزء من فطره الإنسان و الأصل الابتدائی لخلقته الإنسانیه، و ذلک لأنّه مجهّز بالفکر و العقل و الإراده، و لا معنی لسلبه حریه التفکیر و الإراده، فهو إنّما یستطیع اتّخاذ القرار فی تقریر مصیره و أعماله و أفعاله علی ضوء العقل، الفصل المیّز للإنسان، فهو یشخص الأمور بقوّه العقل ثمّ تأتی إرادته فی تحقیق الصالح من الطالح من الأعمال. و بناءً علی هذا فهو حرٌّ و مختار فی تقریر مصیره و أعماله و أفعاله علی ضوء إدراکه و عقله، و لیس للآخرین من سبیل لأن یجرّدوه من حریته فی الفکر و العمل و اتخاذ القرار و أن یفرضوا قوّتهم علی إرادته. أضف إلی ذلک أنّ الفرد الذی یری نفسه خاضعاً لتشخیص الآخرین و امتثال أوامرهم و نواهیهم إنّما هو فرد ذلیل؛ لأنّه لیس هنالک من امتیاز لأحد علی آخر فی الخلقه الاولی حتّی یستسلم فرد

لآخر، و لذلک نقول بأنّ الأصل الأوّلی هو عدم حکومه فرد لفرد آخر أو عدّه أفراد. و علی ضوء ما تقدّم فإن کان هنالک بعض الأفراد الذین یتمتّعون ببعض السمات و الامتیازات فهم یتمتّعون ببُعد الآمریه قطعاً. کالأفراد الذین یضاعفون من قواهم العقلیه إثر کثره الدراسات و التحقیقات العلمیه و التجارب فی الحیاه، فتکون لهم قدره تمیِّزهم عن الآخرین فی تشخیص الأمور و تحدید العناصر الأساسیه التی تلعب دوراً فی تحقیق سعاده الإنسان و فلاحه، فمثل هؤلاء الأفراد و بفضل کونهم أکثر درایه و بصیره و أعظم قوّه و اقتداراً و ملکه عقلیه فی إدراک الأمور بما لا یسع الآخرین درکه أن یکون لهم حقّ الإمره و الحکومه علی الأفراد الذین یفتقرون لتلک المواصفات. و لذلک نری الفطره تقود إلی هذا النهج و الأُسلوب، فالطفل الذی یقصّر عن تشخیص الأشیاء أو یفتقر لهذا التشخیص یطیع والدیه و یمتثل ما تقتضیه مشیئتهما، و هذا ما علیه الحال بالنسبه للجاهل تجاه العالم، و الفرد الخام إزاء الناضج، و القلق الخاوی حیال المستقرّ المحکم، فهو یطیعه و یقتفی أثره فی طریقه حیاته. إذن فالأصل الأوّلی یفید عدم تمیّز الأفراد علی بعضهم البعض، و الحرّیه فی العمل، و عدم حکومه فرد لآخر، إلّا أنّ هذا الأصل قد یخرق فی بعض الحالات و لا یمکن تطبیقه، فإذا کان هناک شخص أو أشخاص یتمتّعون بقدرات فکریّه و عقلیّه تفوق الآخرین، فإنّ الفطره تقتضی فی هذه الحاله بضروره تبعیّه الجاهل للعالم و الناقص للکامل و الضعیف للقوی. أمّا الأمر المهمّ الذی لا ینبغی أن یغیب عنّا هنا هو أنّ طاعه الجاهل للعالم لا تقتصر علی علمه فقط، و انقیاد الفرد البسیط للناضج الحکیم إنّما یختص بما له فیه الحکمه و هکذا دوالیک. و لکن إذا فرضنا فرداً کان نموذجاً للآخرین فی تجاربه، و یفوق جمیع الناس

علماً و عملًا و قدره و بصیره و فکراً و إحاطه بدقائق الأُمور، و کان وجوده علماً و إدراکاً و درایه و حکمه، و لم یقصر ببصره علی الدنیا، بل امتدّ نظره إلی الآخره بما یجعله قادراً علی إرشاد الناس و هدایتهم إلی الفلاح و السعاده و الفوز بالحیاه الأبدیّه، بل إذا کان علمه خارقاً محیطاً بجمیع الکمالات و السعادات الأبدیّه، و کان له عقل نورانی لیس معه ظلمه، بل کان کائناً ملائکیاً و منبعاً للفضائل و الخصال الحمیده، فهل تری الفطره فی هذه الحاله أن تکون طاعته محصوره فی حدود معینه، کأن یُطاع فی مورد و یعصی فی آخر؟ أم أنّ الفطره تقتضی التسلیم له و اتّباعه حیثما حلّ و الاستسلام إلی حکومته و تفویضه کافّه مقدّرات حیاته، لیتسنی له أن یبلغ الکمال الإنسانی، و بالتالی یکون المجتمع مجتمعاً مقتدراً فاضلًا یسوده العدل و القسط حتّی تصبح البلاد فی ظلّ طاعته بمثابه المدینه الفاضله؟ لا شکّ أنّ حکم العقل و اقتضاء الفطره یری أنّ طاعه مثل هؤلاء الرجال العِظام لا بدّ أن تکون طاعه مطلقه عمیاء، و سوف لن تعدّ هذه الطاعه مذمومه، و لا تتعارض مع الوجدان و العقل و لا تتضارب و الطبیعه الأُولی فی عدم أحقیّه حکومه فرد لآخر، بل هی طاعه سلیمه کما یراها العقل و یدعو إلیها. فالذی نخلص إلیه ممّا سبق أنّ الأصل الأوّلی و إن أفاد عدم حکومه و إمره فرد علی آخر، إلّا أنّ هذا الأصل لا یصدق فی بعض الأحوال؛ لأنّ العقل یحکم بلزوم طاعه الأُمّه لأفرادها من ذوی الفضل و الکمال، لکن إذا کان فضله و امتیازه محدوداً کانت طاعته محدوده أیضاً، و إن کانت امتیازاته مطلقه کانت طاعته مطلقه فی کلّ شی ء.

لمن الطاعه؟

سؤال: إنّ ما قیل علی سبیل الفرض هو عین الصواب؛ لأنّ العقل یقضی

بالطاعه المطلقه للإنسان بالصيغه المذكوره سابقاً، أى إذا كان المُطاع هو فرد أكمل من الجميع فى كافّه الكمالات و أعلمهم فى جميع العلوم الإنسانيه و أعرفهم بسبيل سعاده الإنسان و فلاحه، فإنّ العقل يحكم بجواز بل بوجوب طاعته، و لكن أين مثل هذا الفرد؟ و لمن ينبغى أن يسند هذا المقام لنطيعه؟ جواب: لقد تكفّلت الآيه القرآنيه- آنفه الذكر- بحلّ إشكاليه هذا السؤال، فالطاعه المطلقه للّه، و اللّه هو الذى عدّ طاعه الرسول كطاعته، كما أنّ اللّه هو الذى أوجب طاعه أُولى الأمر. و عليه فمصداق ذلك الفرد ليس سوى رسول اللّه و أُولى الأمر، لكن يبدو أنّ هناك نقطه مهمّه وردت فى الآيه لا بدّ من الالتفات إليها، فقد وردت لفظه «الطاعه» مكرّره فى الآيه، حيث قالت: أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ و نفهم من هذا التكرار أنّ طاعه رسول اللّه فى طول طاعه اللّه، فطاعه اللّه لا ينبغى أن يتخلّلها أىّ تأمّل و لا يشوبها أىّ توقّف، أمّا طاعه الرسول الواقعه فى طول طاعه اللّه فهى إنّما تنتهى إلى إراده اللّه و تؤدّى إلى تحقّق التوحيد و العدل و الفضائل، و إلّا فإنّ طاعه الرسول ليست لازمه قطّ إذا كانت على الخلاف من ذلك، و كان السبيل الذى يسلكه لا ينتهى إلى اللّه و الفضيله و تحقيق السعاده للناس و لا يقود إلى الكمال، بينما قال سبحانه وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ أى أنّ ما يقوله إنّما هو الشى ء الذى يجب أن يؤول إليه البشر، و الحكومه التى ينهض بها إنّما تمثّل الحكومه التى يجب أن تنضوى كافه الإنسانيه تحت لوائها، لتتمكّن الأُمّه فى ظلّ تلك الحكومه و زعامه ذلك القائد أن تنال الحياه الآمنه و الوادعه المستقرّه المشتمله على السعاده، و أن تجعل دنيا الناس حرّه سعيده متّصله بالآخره بعيده عن كلّ خمول و تخلّف، سواء فى الحياه الدنيويه أو فى كسب الفضائل و التزوّد للحياه الاخرويه الأبديّه. ثمّ أردفت عباره الآيه أَطِيعُوا اللَّهَ بقوله تعالى: وَ أُولِى الْأَمْرِ و لم تتكرر

کلمه «الطاعه» و یعود عدم تکرار الطاعه إلی تساوی و وحده هدف طاعه الرسول و طاعه أُولی الأمر، فکما أنّ طاعه الرسول تؤدّی إلی السعاده و الفلاح و حکومته تبسط الاستقرار و تشیع الخیر و الصلاح فإنّ طاعه أُولی الأمر کذلک. إذن فطاعه الرسول هی طاعه أُولی الأمر، و لیس هنالک أدنی تفاوت و اختلاف فی الآثار و الفوائد التی تترتّب علی کلّ طاعه، سواء کانت طاعه الرسول أم طاعه أولی الأمر. و عوداً إلی الآیه الشریفه، فإنّها ذکرت طاعه النبی و أُولی الأمر و أوجبتها بصوره مطلقه، و حیث أوردتها علی نحو الإطلاق، فإنّ ذلک یعنی أنّ طاعتهم لازمه فی کلّ الأُمور. و علی ضوء هذا الإطلاق و ما ورد فی المقدّمه یتحصّل أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله و ولاه الأمر إنّما هم أفراد یتمتّعون بقوی و قدرات تفوق سائر البشریه، کما یتبیّن أنّهم فی قمّه السموّ و ذروه الکمال الإنسانی، و هم أعظم من غیرهم فی العقل و الإدراک و البصیره و الخبره بکافّه حوادث الدنیا و طرق السعاده و الفلاح، بحیث یحکم العقل و تقضی الفطره بوجوب تسلیم کافّه العُقلاء و العلماء و المجرّبین فضلًا عن سائر شرائح الأُمّه لهم فی کافّه شئون حیاتهم الدنیویه و الأُخرویه.

خلاصه البحث:

۱- الأصل الأوّلی یقتضی عدم أحقیّه حکومه فرد أو أفراد لفرد أو أفرادٍ من الآخرین. ۲- المبنی الأساس لصحّه هذا الأصل هو عدم وجود التمایز بین شرائح الأُمّه من حیث قوی العقل و الإدراک و سائر الصفات و الخصائص المیزه، و لیس هناک من معنی للطاعه فی هذه الحاله سوی صوره واحده، و هی «الترجیح بلا مرجّح» و هذا الترجیح مرفوض بحکم العقل.

۳- یشذّ هذا الأصل فی بعض الحالات و لا یصحّ تطبیقه، أی فی الحالات التی یکون فیها امتیازات لفرد أو بعض الأفراد علی الآخرین من حیث الفضائل المعنویه و القوی العقلیه و البصیره بالأُمور، فإنّ طاعه مثل هؤلاء الأفراد طبیعیه بل ضروره لازمه بحکم العقل و الفِطره، إلّا أنّ هذه الطاعه إنّما تکون بمقدار الامتیاز و مورده. ۴- إذا کان هناک أفراد یتمتّعون بامتیازات مطلقه غیر محدوده فی کافّه الکمالات، فإنّ طاعه الآخرین لهؤلاء الأفراد بحکم العقل مطلقه لا تعرف الحدود، أی لا بدّ من اقتفاء آثارهم فی کلّ أمر و الائتمار بأوامرهم و نواهیهم و التسلیم و الانقیاد التامّ لهم. ۵- طالما أقرّت الآیه الکریمه طاعه الرسول و أُولی الأمر فی طول طاعه اللّه و أوجبت علی الأُمّه مطلق الطاعه، فالذی یتبیّن علی هذا الضوء أنّ ولاه الأمر فی الإسلام کرسول اللّه فی أنّهم ممتازون مطلقاً فی جمیع الصفات الإنسانیه و الکمالات الروحیه. و هنا نقول بعد هذه الخلاصه: إنّنا نعرف رسول اللّه و هو محمّد بن عبد اللّه صلی الله علیه و آله، و نعلم أیضاً بأنّه محیط من خلال الوحی بکافّه الأسرار التی تتضمّن سعاده البشریه، حتّی أوجب القرآن الکریم طاعته المطلقه فقال: وَ ما آتاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا(۱). و لکن من هُم اولی الأمر الذین جعل اللّه طاعتهم فی طول طاعته، ثمّ قرنَ طاعتهم بطاعه رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟ فإن قُلنا- علی ضوء ما تقدّم-: إنّ القرآن و الإسلام لا یری أنّ کلّ فرد یمکنه أن یکون من ولاه الأمر و إن تمّ اختیاره مِن قبل الأُمّه فإنّنا لم نقل جزافاً؛ و ذلک

۱- سوره الحشر: الآیه ۷.

لأنّنا ذكرنا سابقاً بأنّ لأُولى الأمر كما للرسول طاعه مطلقه، كما قلنا بأنّ الطاعه المطلقه مساوقه و ملازمه للاشتمال على الامتيازات المطلقه، أى لا بدّ من القول- على ضوء هذه الآيه دون تفسيرها و تعيين مصداقها- بأنّ اولى الأمر لا بدّ أن يكونوا أفراداً ممّن يستند علمهم إلى معدن الوحى، و إلّا يكون علمهم جهلًا مركّباً، و ألّا يقتصر على مائه آيه أو أقلّ أو أكثر، كما لا يكون علمهم مستنداً إلى تجارب معينه أو دراسات و أبحاث اجتماعيه محدوده، بل لا بدّ أن يكونوا قد نهلوا العلم و رضعوه من ثدى الوحى، و أن يكونوا عالمين بالقرآن و السنّه محيطين بجميع أسرار الدين و مصير المسلمين و سبل السعاده و طرق الشقاوه، و لا بدّ أن يكونوا أفراداً ذوى بصائر مطلقه و تامّه بأوضاع المجتمع و روحيّات الأُمّه و فى اسلوبهم فى الحكم و زعامه المسلمين. و يجب أن يكونوا على درجه من الزهد و الورع و التقوى بحيث لا تحرفهم زخارف الدنيا و زِبرجها و حلاوه رئاستها عن جادّه الصواب و سبيل الحقّ، و ينبغى أن يكونوا على درجه من التوسّم و قوّه التشخيص بما يحول دون خطأهم و زللهم، حتّى لا يصدروا جِزافاً الأحكام الخاطئه و القوانين المخالفه للقرآن و السنّه فيخرّبوا البلاد و يُهلكوا العباد، كما لا بدّ أن يكونوا معصومين من الذنب و الخطأ و الاشتباه، و أخيراً ينبغى ألّا يبخلوا بالتضحيه بالغالى و النفيس و الجود بالنفس من أجل عظمه الإسلام و تحقيق عزّه المسلمين و رفعتهم، و ألّا تأخذهم فى اللّه لومه لائم فى إحقاق الحقّ و استيفاء حقوق المسلمين، و ألّا يألوا جهداً فى الدفاع عن القرآن و الإسلام و تطبيق الأحكام و التعاليم الإسلاميه. إذن و على ضوء سياق الآيه و ما يفهم منها نعرف مَن هم أُولى الأمر؟ فالذى يمكن فهمه من قوله تعالى: وَ أُولِى الْأَمْرِ أى و أطيعوا أُولى الأمر- فإنّ طاعتهم هى طاعه رسول اللّه، و أنّ طاعه رسول اللّه إنّما هى بمثابه طاعه اللّه- هو أنّ أُولى الأمر الذى أوجبت الآيه الكريمه طاعتهم ليسوا إلّا أُولئك الذين رضعوا من ثدى

الوحی عرفوا کتاب اللّه، و علموا بما یجری علی المسلمین من حوادث، و أحاطوا بکافّه أحکام الإسلام استناداً إلی منطق الوحی. نعم، لا یمکن أن یکون ولاه الأمر سوی أولیاء اللّه الذین یتّصفون بالورع و التقوی و الزهد و البصیره و الدرایه و الزهد و العصمه و الشجاعه و السماحه و المروءه و التضحیه من أجل حفظ کیان الإسلام و الذود عن أحکام القرآن.

مزید من الضوء علی آیه أُولی الأمر:

ذکرنا آنفاً أنّ الآیه الکریمه تفید عدّه أُمور: ۱- کون الطاعه المطلقه و مطلق طاعه اللّه و الرسول و أُولی الأمر واجباً و فریضه. ۲- هناک سنخیه بین طاعه الرسول و طاعه اللّه، أی أنّ الرسول لا یهدف فی آمریته سوی رضا اللّه و تحقق التوحید و سعاده الأُمّه، و أنّ کلّ ما یأمر به إنّما یستند إلی حقیقه الوحی و البصیره التامّه و العلم الشامل بمصیر البشریه و الصراط المستقیم الذی ینبغی أن تسلکه الإنسانیه جمعاء. ۳- طاعه أُولی الأمر مساوقه لطاعه رسول اللّه، و علیه فلا بدّ من الإذعان لهذه الحقیقه، و هی أنّهم یستندون فی منطقهم علی غرار رسول اللّه إلی الوحی، و هم یحوزون علی ذات البصیره و العصمه عن الخطأ التی حاز علیها رسول اللّه، و إلّا لما جازت طاعتهم المطلقه فی کافّه شئون الحیاه الدنیویه و الأُخرویه. و لکن هناک نقطه لا بدّ من عدم إغفالها؛ و هی أنّ ولاه الأمر لا یتلقّون الوحی- کالرسول- إلّا أنّ علمهم إنّما یأتی عن طریق مجاری الوحی و تعالیم رسول اللّه لهم، و لکن حیث قرنت طاعتهم بطاعته فإنّ ذلک یوجب علمهم و معرفتهم بکافّه الحوادث الخفیّه التی یعلمها الرسول و یحیط بها.

أجل، إنّ مغزى هذا الكلام هو تعيين مصاديق أُولى الأمر، و لا نرى من حاجه إلى التعيين من خلال سائر الأدلّه، و على هذا الضوء لا بدّ من القول بأنّ جميع الأخبار و الروايات المتواتره التى صرّحت بأنّ أُولى الأمر هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام، لا تعتبر من قبيل الأدلّه التعبديّه التى تفرض علينا التعبّد بها دون الحاجه إلى إقامه البراهين العقليه؛ و لا بدّ من القول أيضاً بأنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام قد أشاروا لما من شأنه أن يفيده التأمّل و التمعّن فى مفاد الآيه الكريمه، و لم يستندوا فى ذلك إلى علمهم بالمغيبات لعدم وجود ضروره تدعو إلى مثل ذلك. و بعباره أُخرى: فإنّ كون الأئمّه الأطهار مصداقاً لعنوان «اولى الأمر» إنّما هو تعيين قهرى لا تعيينهم هم أنفسهم، و إذا تتبّعنا الأخبار فهى ليست سوى إضافه و تصريح لما أفادته الآيه الكريمه، و لا يسعنا هنا إلّا أن نذكر بعض النماذج من الروايات التى صرّحت بولاه الأمر، لعلّنا نتوقّف بصوره أعمق و أكثر جديّه على الحقائق، و إليك ما ساقه الأئمّه الأطهار عليهم السلام بشأن هذه الآيه و سائر الآيات المماثله:

الحديث الأوّل:

ابن بابويه الصدوق قال: حدّثنا غير واحد من أصحابنا قالوا: حدّثنا محمّد ابن همام، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزارى، عن الحسن بن محمّد بن سماعه، عن أحمد ابن الحارث قال: حدّثنى المفضّل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفى قال: سمعت جابر بن عبد اللّه الأنصارى يقول: لمّا أنزل اللّه على نبيّه محمّد صلى الله عليه و آله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قلت: يا رسول اللّه عرفنا اللّه و رسوله فمن أُولو الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم بطاعتك؟ فقال عليه السلام: هم خُلفائى يا جابر و أئمّه المسلمين من بعدى، أوّلهم على بن أبى

طالب، ثمّ الحسن ثمّ الحسين، ثمّ علی بن الحسين، ثمّ محمّد بن علی المعروف فی التوراه بالباقر، و ستدرکه یا جابر، فإذا لقیته فأقرأه منّی السلام، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد، ثمّ موسی بن جعفر، ثمّ علی بن موسی، ثمّ محمّد بن علی، ثمّ علی بن محمّد، ثمّ الحسن بن علی، ثمّ سمیّی محمّد و کَنِیّی حجّه اللّه فی أرضه و بقیّته فی عباده ابن الحسن بن علی»(۱).

ملاحظه:

فی الروایه عدد من النقاط الجدیره بالاهتمام، و هی: ۱- لقد فهم جابر من الآیه الکریمه عین ما ذکرناه کراراً سابقاً، کما ذهب إلی أنّ طاعه أُولی الأمر مماثله و مشابهه لطاعه رسول اللّه صلی الله علیه و آله. ۲- لقد عبّر رسول اللّه صلی الله علیه و آله عن ولاه الأمر بخلفائه و أئمّه المسلمین بعد رحیله، و الحال لیس هنالک من معنی للخلیفه سوی الخلافه فی المناصب و الوظائف الرساليه. ۳- لقد ذکر رسول اللّه صلی الله علیه و آله أسماء الأئمّه من بعده الذین لم یلدوا ذلک الحین، کما ذکر خصال إمامین منهم، و أنّ تسمیتهم بأسمائهم و ذکر بعض صفاتهم و الإخبار عن لقاء جابر للإمام الباقر علیه السلام إنّما یدلّ علی أنّ ذلک الإخبار کان مستنداً للوحی، و أنّ الوحی هو الذی صرّح بأسمائهم و ولایتهم؛ فالذی نخلص إلیه من هذه الروایه هو أنّ اللّه عیّن هؤلاء الأئمّه لا رسول اللّه صلی الله علیه و آله. بعباره أُخری: هناک فرض یصرّح بأنّ الإمامه بعد النبی صلی الله علیه و آله کانت متروکه له، فالنبی یستخلف من یشاء، حیث فوّض اللّه له ذلک. کما هناک الفرض الآخر الذی یذهب إلی أنّ اللّه سبحانه هو الذی عیّن الأئمّه و بیّن صفاتهم للنبی صلی الله علیه و آله،

۱- کمال الدین: ۲۵۳ ح ۳، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۲: ۴۹۳.

و الروایه دلیل علی صحّه الفرض الثانی، و بناءً علی هذا فإنّ الأئمّه الأطهار هم خُلفاء النبی وقاده الأُمّه و زعماء الدین إلی یوم القیامه، و أنّ خلافتهم تستند إلی نصب إلهی، و أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله لم یذکر أسماءهم و صفاتهم إلّا عن طریق الوحی.

تحقیق آخر فی الآیه:

ما المُراد بالطاعه التی یؤخذ بنظر الاعتبار فی مفهومها الأمر و الآمر؟ هل تختصّ طاعه ولاه الأمر ببیان أحکام اللّه و الحلال و الحرام، أی هل یجب علی الأُمّه أن ترجع إلیهم و تطیعهم فی الواجبات و المحرّمات و المستحبّات؟ و بعباره أُخری: هل أنّ الأمر بالطاعه هو أمر إرشادی یقتصر علی رعایه امتثال الأحکام الإلهیه و تطبیقها علی أقوال ولاه الأمر و الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و أن لیس هنالک أیّه طاعه خارج بیان الأحکام؟ فیکون معنی الآیه الکریمه، أن ارجعوا فی تشخیص الواجبات و المحرّمات إلی النبی و الإمام و أطیعوهما؟ أم أنّ ولایه الأمر تعنی ولایتهم للمسلمین فی کافّه الشئون الاجتماعیه و السیاسیه الفردیه و الجماعیه التی تتعلّق بمصیر و تعیین أُسلوب الحکم، و أنّ ولایتهم فی هذا الحکم إنّما ترتکز علی تعالیم الإسلام؟ أم أنّ الطاعه المُفترضه أبعد من هذین الاحتمالین، أی لا بدّ من وجوب طاعتهم فی الواجبات و المحرّمات و المستحبّات و المکروهات و المباحات، کما تجب طاعتهم و الإذعان لهم فی کافّه الشئون الاجتماعیه و السیاسیه و شئون الحکم و تطبیق الإسلام علی أنّهم قاده المسلمین و زعماء الحکومه الإسلامیه؟. یبدو أنّ الاحتمال الثالث هو الأقوی و الأتمّ، أی أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زعماء و أدلّاء علی الطریق مطاعون فی الأحکام التعبدیّه، کما أنّهم رؤساء الحکومه الإسلامیه و الحاکمون علی مقدّرات العالم الإسلامی و مطبّقو الأحکام

و التعالیم القرآنیه؛ لأنّ ظاهر الآیه أُولِی الْأَمْرِ یقول: و أطیعوا أُولی الأمر، و لو اقتصرت طاعتهم علی الأحکام التعبدیّه لما کان هناک من انسجام بین هذا الأمر و التعبیر عنهم بولاه الأمر، فالأمر الذی یُعنی به الشأن أو ذلک المعنی الاصطلاحی لا یمکن الاقتصار به علی أحکام الإسلام، بل یمکن القول: إنّهم لیسوا آمرین فی تفسیر أحکام القرآن و بیان السُنّه النبویّه، إنّما هُم مفسّرون و شارحون. و من هنا یتبیّن أنّ ولایه الأمر تشتمل علی معنی أکثر شمولیه من تفسیر القرآن الکریم و تبیین الحلال و الحرام. و علیه: فإنّ طاعه ولاه الأمر تعنی الانقیاد لهم فی کافّه الشئون الاجتماعیه و المهامّ السیاسیه للبلاد الإسلامیه، و إذا أصبحوا هم القاده و الزعماء وجب أن تکون للإسلام مؤسّساته و جمعیاته و حکومته التی تستند إلی القرآن و السنّه النبویّه، فالأئمّه الأطهار هم رؤساء هذه الحکومه، و کما استطاع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله أن یشکّل الحکومه الإسلامیه و یدیر شئون البلاد، فقد تزعمها کذلک أمیر المؤمنین علی علیه السلام معتمداً نفس الاسس و الخطط التی اعتمدها النبی صلی الله علیه و آله. و لدینا بعض الروایات التی تؤکّد هذا الأمر: فقد صرّحت بعض الروایات المعتبره فی کتاب الکافی و غیره بهذا المضمون:

«نزلت: أطیعوا اللَّه و أطیعوا الرسول ... فقال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی علی علیه السلام: ألا من کنت مولاه فعلیّ مولاه»(۱). إذن فالآیه «أطیعوا اللَّه ....» بانیه دعامه الوحده الإسلامیه و الحکومه الإسلامیه، و معتبره الأئمّه الأطهار زعماء هذه الحکومه.

الحدیث الثانی:

محمّد بن یعقوب الکلینی، عن علی بن إبراهیم، عن محمّد بن عیسی، عن

۱- الکافی ۱: ۲۸۶ ح ۱، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۳: ۴۹۶- ۴۹۷.

یونس، عن حمّاد بن عثمان، عن عیسی بن السری قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السلام:

حدّثنی عمّا بنیت علیه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بها زکی عملی و لم یضرّنی جهل ما جهلت بعده، فقال: «شهاده أن لا إله إلّا اللّه، و أنّ محمّداً رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و الإقرار بما جاء به من عند اللّه، و حقّ فی الأموال من الزکاه، و الولایه التی أمر اللّه بها ولایه آل محمّد صلی الله علیه و آله- إلی أن قال:- قال اللّه عزّ و جل: أَطِیعُوا اللَّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فکان علیّ علیه السلام، ثمّ صار من بعده حسن، ثمّ من بعده حسین، ثمّ من بعده علی بن الحسین، ثمّ من بعده محمّد بن علی، ثمّ هکذا یکون الأمر، إنّ الأرض لا تصلح إلّا بإمام»(۱).

الحدیث الثالث:

محمّد بن یعقوب الکلینی، عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمّد بن أبی عمیر، عن عمر بن أُذینه، عن برید العجلی، عن أبی جعفر علیه السلام فی قول اللّه عزّ و جل: فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً(۲) جعل منهم الرسل و الأنبیاء و الأئمّه، فکیف یقرّون فی آل إبراهیم علیه السلام و ینکرونه فی آل محمّد صلی الله علیه و آله؟ قال: قلت: وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً؟ قال: الملک العظیم أن جعل فیهم أئمّه، من أطاعهم أطاع اللّه و من عصاهم عصی اللّه، فهو الملک العظیم(۳). و هنا لا بدّ من الالتفات إلی أنّ «الملک» بمعنی البلاد بضمّ المیم و بکسرها یعنی المال، کما یُقال: المَلِک لصاحب البلاد؛ و المالک لصاحب المال؛ و لذلک فاللّه سبحانه هو ملک الوجود و مالکه قُلِ اللَّهُمَّ مالِکَ الْمُلْکِ ...(۴) و حیث کانت مالکیه الحقّ

۱- الکافی ۲: ۲۱ ح ۹.

۲- سوره النساء: الآیه ۵۴.

۳- الکافی ۱: ۲۰۶ ح ۵، و عنه تفسیر کنز الدقائق ۲: ۴۸۲- ۴۸۳.

۴- سوره آل عمران: الآیه ۲۶.

تبـارک و تعالی علی الإطلاق مالکیه حقیقیه لا اعتباریه؛ لـذلک یُقال له: «مالک الملک». إذن فقولنا: صاحب المُلک و صاحب المِلـک لا یتنافی و الآیه القرآنیه الکریمه، و هناک الآیات القرآنیه الأُخری التی تؤیـد هـذا المعنی فی أنّ الملک بالضمّ یعنی به البلاد، فقد صرّحت الآیه قائله: وَ شَدَدْنا مُلْکَهُ وَ آتَیْناهُ الْحِکْمَهَ وَ فَصْلَ الْخِطابِ(۱) إلّا أنّ هذه الآیات التی تتحدّث عن الملک لا تقتصـر علی الإشاره إلی البلاد، بل الأهمّ من ذلک: أنّها تتحدّث عن صاحب البلاد، فمثلًا هذه الآیه التی تقول بخصوص نبی اللّه داود: وَ شَـدَدْنا مُلْکَهُ تفیـد أنّ البلد الذی یقوده داود علیه السـلام قد أصـبح بلداً قویاً إثر زعامته و قیادته، و کأنّ الذی یتبادر من الآیه أنّ قوّه البلاد إنّما تکمن فی قیادته و زعامته القویّه و العالمه المقتـدره، إذن فالملک العظیم هو البلد القوی الذی یحکم من قبـل زعیم قوی و مقتـدر و عـالم، بحیث إذا قیل: البلـد الفلانی هو بلـد قویّ و واسع و عامر، کان لا بـدّ من الإذعان إلی أنّ هـذه المَنعه و القوّه إنّما تعود إلی زعامه ذلک البلـد. إذن فالملک العظیم من وجهه نظر القرآن إشاره إلی امتلاک الزعامه الناجحه، و هـذا بدوره یزیح السّـتار عن أمر عظیم فی العثور علی بلد عامر و قوی و مسـتقلّ من شأنه أن یلعب دوراً عالمیاً من خلال اعتماده علی ذاته و مقوّمـاته، أی أنّ رمز ظهور مثـل هـذه البلـدان لیس سوی امتلاکها لزعیم قوی مقتـدر. و بناءً علی هـذا فإنّ قول الباقر علیه السـلام هو عین الصواب، و حقاً إنّه لباقر علوم الأوّلین و الآخرین إذ قال علیه السلام: «الملک العظیم أن جعل فیهم أئمّه ...» و من هـذه الجهه فإنّ هذه الآیه دلیل واضح علی وجوب کون الأئمّه الأطهار هُم زعماء البلاد وقاده الأُمّه، فإذا ما کانوا قاده الأُمّه کانت بلاد المسلمین قویّه مقتدره.

۱- سوره ص: الآیه ۲۰.

الحديث الرابع:

من الروايات المشهوره و المعروفه بين الفريقين التى لا يشكّ أحد فى تواتُر صدورها عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله روايه الثقلين، و التى يمكن الجزم بأنّ دلالتها صريحه فى وجوب طاعه الأئمّه الأطهار عليهم السلام. و قد صرّح العالم النحرير شيخ المشايخ و استاذ الفُقهاء الشيخ مرتضى الأنصارى فى كتاب الرسائل- الذى يعدّ من الكتب النفيسه فى أُصول الفقه- فى فصل حجيّه ظواهر الكتاب(۱) قائلًا: «ليس لخبر الثقلين من ظهور سوى فى وجوب طاعه القرآن و العتره و حرمه مخالفتهما». و هنا لا بدّ من القول: بأنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله إنّما قال حديث الثقلين تأييداً و بياناً لقوله سبحانه: أَطِيعُوا اللَّهَ و على ضوء الخبر فإنّ العتره لا بدّ أن تكون فى عرض القرآن الكريم، فالقرآن مُطاع و العتره مُطاعه كذلك. و القرآن كتاب سماوى محيط عليم بكافّه الحوادث و الوقائع التى يعيشها المسلمون، و قوانينه جاريه إلى يوم القيامه، و هى أساس تشكيل الحكومه الإسلاميه على مدى التأريخ، و العتره المُرادفه للقرآن كذلك، و لذلك حين تطالعنا الأخبار المتظافره التى تصف أمير المؤمنين على عليه السلام بأنّه القرآن الناطق(۲) و الكتاب السماوى هو القرآن الصامت فبالالتفات إلى آيه أَطِيعُوا اللَّهَ و حديث الثقلين، و لا ينبغى أن يكون هناك شكّ و ترديد فى هذا الأمر. و رغم كون هذا الأمر غنيّاً عن التوضيح و أنّ مفاد خبر الثقلين هو ذات مفاد آيه أَطِيعُوا اللَّهَ و لحصول المزيد من الاطمئنان، لا بأس بتسليط الضوء على هذا الأمر، فنقول: هناك نوع من تجريد الفرد المطيع من الاختيار فى حياته فى ظلّ الطاعه

۱- فرائد الاصول، المعروف ب« الرسائل» ۱: ۱۱۹.

۲- بحار الأنوار: ۳۹/ ۲۷۲.

المطلقه، و ذلک لأنّ المطیع إنّما یجعل فکره و إرادته و عمله تحت تصرّف المُطاع، و قد ذکرنا بأنّ علّه طاعه المُطاع بنحو مطلق هی کون المُطاع یمتلک علماً مطلقاً، و بصیراً و ذا درایه بکافّه سبل الهدایه و طرق السعاده و الفلاح، و هو عارف بنمط الحیاه التی یسودها الأمن و الاستقرار و السکینه، و التی لا تعرف القلق و الاضطراب، کما أنّه خبیر بکلّ ما یؤدّی إلی السعاده و الشقاوه، و حیث تحکم الفطره بضروره التسلیم لمثل هذا الفرد، کان لا بدّ من القول بأنّ الآیه أَطِیعُوا اللَّهَ إنّما توجب علی الناس الانقیاد و التسلیم إلی اللَّه و الرسول و ولاه الأمر، بالشکل الذی تکون فیه إراده الناس تابعه إلی إراده ذلک الفرد، فلم تعد لهم من إراده، و هذا ما یمثّل منتهی الإدراک و العقل و الدرایه بحیث یکون الإنسان علی هذا النوع من التسلیم تجاه معلّمیه من ذوی العلم و البصائر لیظفر بسعادته و فلاحه. هذا هو المعنی الذی نفهمه من الآیه الشریفه، و هو نفس المعنی الذی یفیده حدیث الثقلین، لا سیّما بالالتفات إلی کلمه «التمسّک» الوارده فی الحدیث «إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا أبداً: کتاب اللَّه، و عترتی ...»(۱) فالتمسّک یعنی التسلیم و الانقیاد للمتمسّک به، فهی لا تفید سوی الطاعه المطلقه للمُطاع التی صرّحت بها الآیه الشریفه. و أخیراً فإنّا نری أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قد خلّف للمسلمین ثقلین: الأوّل هو القرآن الکریم الذی یُعتبر دستور الحکومه الإسلامیه و رکنها الرکین و قائدها، فإنّ الأئمّه الأطهار هم أساس الحکومه و زعماؤها و لیس للأُمّه من سبیل سوی الانصیاع لقیادتهم و الانقیاد لهم.

خلاصه التحقیقات:

علی ضوء الروایه المنقوله عن ابن بابویه القمی فإنّ النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قد عیّن

۱- بحار الأنوار ۲۳: ۱۰۴- ۲۰۵ ب ۷.

ولاه الأمر، و قد كان مفاد الروايه- التى وردت بشأن الآيه القرآنيه- أَطِيعُوا اللَّهَ- أنّ الأئمّه عليهم السلام هم اثنا عشر و أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله نصبهم بوحى من اللَّه، أى أنّ اللَّه هو الذى نصبهم و جعلهم أئمّه، فما كان من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلّا أن أبلغ المسلمين الخبر. كما اتّضح من «التحقيق الآخر فى الآيه الكريمه» أنّ وظيفه الأئمّه لا تقتصر على شرح و بيان الحلال و الحرام، بل هم زعماء الأُمّه وقاده البلاد و رؤساء الحكومه الإسلاميه، و أنّ رسالتهم هى تطبيق التعاليم الإسلاميه و الأحكام القرآنيه فى العالم الإسلامى، و الأُمّه مأموره بطاعتهم ليتمكّنوا من إجراء الأحكام الإسلاميه و يأخذوا بيد الأُمّه إلى شاطئ السعاده و الفلاح، كما أنّ زعامتهم أبديه خالده، كما ذكرنا بعض الروايات التى تؤيّد بل تشكّل الدليل القطعى على هذا المدّعى، و قلنا بأنّ طاعه الأئمّه لا- تعنى سوى آمريتهم و زعامتهم للحكومه الإسلاميه، كما فهمنا من روايه بريد العجلى عن الإمام الباقر عليه السلام بأنّ الأُمّه إذا أقرّت بمثل هذه الزعامه للأئمه، كانت حصيله هذه الزعامه بلاد واسعه و مستقلّه و حرّه قائمه على أساس العدل و القسط، و قد ذكّر الإمام بأنّ شرط الحكومه الإسلاميه العالميه و الملك العظيم إنّما يكمن فى زعامه الأئمّه الأطهار و حاكميتهم المطلقه. كما ذكرنا بأنّ مفاد حديث الثقلين هو نفس مفاد آيه الطاعه، أى أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قد جعل القرآن و العتره الركيزتين الأساسيتين لقيام الحكومه الإسلاميه. و بناءً على ما تقدّم فليست هناك من حاجه لأن نستعرض سائر الروايات لإثبات ما ذا تعنى ولايه الأمر؟ و من هُم ولاه الأمر؟ و ما هى وظيفه ولاه الأمر؟ إلّا أنّنا نذكّر بقضيه مهمّه أشرنا إليها سابقاً، و هى أنّ شخصيه الإمام ليست شخصيه علميه شارحه و مفسّره لأحكام القرآن الكريم و السنّه فحسب، بل

الإمامه مساویه للنبوّه و من المناصب الإلهیّه، أی أنّ اللّه سبحانه قد جعل صفوه من الناس بعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أئمّه الدین و جعل لهم الحکومه التی یصرفون شئونها بالاستفاده من علومهم التی ورثوها عن النبی صلی الله علیه و آله و لم یجعل اللّه الزعامه و الإمامه الإسلامیه إلّا إلی الصفوه التی اتّصفت بالزهد و البصیره و العصمه و الشجاعه و المروءه و التضحیه، العالمه بأوضاع الأُمّه و التی لیس لعلمها حدود بالحوادث الواقعه، لیبقی الدین خالداً أبدیاً و الأُمّه قویّه مستقله سعیده فی دینها و دنیاها، کما أنّ بقاء دین الحقّ و شعور المسلمین بالحیاه الحرّه الکریمه و الاستقلال من شأنه أن یفجّر طاقاتها و یجعلها تعیش الحیاه الهانئه و تسعی لنیل الحیاه الأُخرویّه.

الإمام فی رساله سیّد الشهداء علیه السلام

أشار الإمام الحسین علیه السلام إلی مقام الإمام فی رسالته التی بعثها ردّاً علی رسائل أهل الکوفه الذین کتبوا إلیه مطالبین بزعامته و تشکیل الحکومه الإسلامیّه تحت لوائه فقال علیه السلام: «فلعمری ما الإمام إلّا الحاکم بالکتاب، القائم بالقسط، الدائن بدین الحقّ، الحابس نفسه علی ذات اللّه و السلام»(۱)، فالرساله تشیر إلی لحاظین مهمّین بالنسبه للإمام: اللحاظ الأوّل: ما هو مقام الإمام فی الأُمّه؟ فالإمام لیس ذلک الفرد الذی یقبع فی زاویه و ینأی بنفسه بعیداً عن التدخّل فی شئون الأُمّه و تحقیق مصالح عامّه الناس، بل لا بدّ أن یکون الإمام هو الآخذ بزمام الامور و علی رأس الحکومه، و هو حاکمها المطلق الذی یسعی لاستیفاء حقوق الضُّعفاء من الأقویاء.

۱- الإرشاد لأبی عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النعمان العکبری البغدادی، المعروف بالشیخ المفید(م ۴۱۳). تحقیق مؤسسه آل البیت لتحقیق التراث، مجلّدان. نشر و طباعه دار المفید ج ۲ ص ۳۹.

اللحاظ الثانی: إنّ وظیفه الإمام فی هذه الحکومه هی العمل بالقرآن و تطبیق أحکامه و تعالیمه، فالقرآن لم ینزل لتقتصر الأُمّه علی تلاوته، و تحتکم فی عملها و وظائفها للقوانین الوضعیه التی یبتدعها بعض الأفراد بما لدیهم من أفکار و آراء؛ الأفراد الذین لا یسعهم النظر إلی أبعد من الواقع الذی یعیشون فیه و یفتقرون للإحاطه التامّه بجمیع المصالح و المفاسد، فالمجتمع فی ظلّ حکومه هؤلاء الأفراد یعیش فی دوامه من القلق و الاضطراب و الفساد و الانحراف، فهی حکومه الأهواء و الشهوات التی تحرق الأخضر و الیابس من قیم الأُمّه. أجل لا بدّ أن یکون القرآن هو المنهج الذی تستمدّ منه القوانین فی الدوله الإسلامیّه التی یتزعّمها الإمام، فتکون وظیفته الانتصار للمظلوم و بسط القسط و العدل، بحیث لا یطمع القوی فی حیفه و لا ییأس الضعیف من عدله، و لا ینبغی أن ینحرف الإمام قید أنمله فی إجرائه للقوانین الإسلامیه التی تضمن العدل و تزیل الظلم و الجور، و أن یحبس نفسه للّه و لا یری سوی رضاه. و بناءً علی هذا لا ینبغی لأیّ عنصر سوی الحقّ أن یؤثّر علی الإمام فی بسطه للعدل و القسط، من قبیل النسب و الحصول علی الجاه، و القبلیه و القومیه، و ما إلی ذلک، و إلّا فهو أسیر بید الشیطان، و لیس لمثل هذا الفرد أهلیه زعامه الإسلام و المسلمین. هذه هی وظائف الإمام، و لذلک قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام حین ولی أمر الخلافه: «لیس أمری و أمرکم واحداً، إنّی ارید کم للّه و أنتم تریدوننی لأنفسکم، أیّها الناس أعینونی علی أنفسکم، و أیم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزامته حتّی أورده منهل الحقّ»(۱). فأمیر المؤمنین إنّما یحکم من أجل اللّه، و حکومته إجراء العدل و الانتصار

۱- نهج البلاغه/ لمحمّد عبده: ص ۳۰۶.

للمظلوم من الظالم، لا یری سوی اللّه و لیس للهوی من سبیل إلیه. و بناءً علی ذلک فمن وجهه نظر أمیر المؤمنین و ولده السعید الحسین الشهید علیهما السلام أنّ الإمام هو ذلک الشخص الذی یهیّئ نفسه لقیاده المسلمین و زعامتهم، و أنّ الإمام هو الشخص الذی یتربّع علی کرسی الحکم و یکوّن حکومه اجتماعیه فعّاله تستهدف تجسید العداله و الوقوف إلی جنب المظلوم، و تطبّق القرآن الکریم فی المجالات المختلفه للحیاه. و الإمام فی تطبیقه لهذه البرامج یکون شخصیّه إنسانیّه متساميه، لا یفکّر بغیر اللّه تعالی، و لا مجال للأهواء و الشهوات فی إداره تلک الحکومه، و لا یحکم إلّا من أجل رضا اللّه تعالی. و إذا لم یتّخذ القرآن الکریم برنامجاً لعمله، لا لأجل تثبیت سلطته الشخصیه، التی تجد طریقها إلی قلوب الناس من خلال إشاعه العدل و التوحید، و من خلال هذا الطریق یحاول أن یثبّت سلطته و یُحکم سیطرته، بل تطبیق العداله لأجل العدل و إصلاح البلاد و إعمار المدن، و إیواء المظلومین و الأخذ بحقّهم، و إحیاء آثار النبوّه، و حفظ کتاب اللّه، و أخیراً لإحیاء اسم اللّه و دعوتهم إلیه سبحانه و إقبالهم علی اللّه تعالی بقلوب متیّمه بحبّ الذات الأقدس. و لذلک یصف علیه السلام هدفه من الحکومه و زعامه المسلمین: «اللهمّ إنّک تعلم أنّه لم یکن الذی فینا منافسه فی سلطان و لا التماس شی ء من فضول الحطام، و لکن لنردّ المعالم من دینک و نظهر الصلاح فی بلادک، فیأمن المظلومون من عبادک و تقام المعطّله من حدودک»(۱).

۱- نهج البلاغه/ لمحمّد عبده: ص ۳۰۰.

يـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا مَـنْ يَرْتَـدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَـوْفَ يَـأْتِي اللَّهُ بِقَـوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ أَعِزَّهٍ عَلَى الْكـافِرِينَ يُجاهِـدُونَ فِي سَبِيـلِ اللَّهِ وَ لا يَخـافُونَ لَوْمَهَ لائِم ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ (سوره المائـده: الآيه ۵۴) إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ (سوره المائـده الآيه: ۵۵). وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ (سوره المائده: الآيه ۵۶)

الدليل الثالث من القرآن

اشاره

إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ(۱). الولايه للّه و الرسول، ثمّ لعدد من المؤمنين، و كلمه «الذين آمنوا» ذات دائره واسعه، ممّا حدا بالقرآن لقصرها على طائفه خاصّه من المؤمنين فقال: الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ. فليس لجميع المؤمنين الولايه على الآخرين، بل الولايه لفئه منهم، فإن قيل بأنّ «الذين آمنوا» لها ظهور فى عامّه الأفراد، و هى تشمل كافّه المؤمنين على نحو القضيه الحقيقيه، و لا تُشير على نحو القضيّه الخارجيّه إلى طائفه معينه، نقول: ليس لهذا الكلام من معنى قابل للإدراك و التعقّل؛ لأنّه لا يمكن أن تكون الولايه لجميع المؤمنين على أنفسهم، فولايه الجميع على الجميع لا تكون سوى الفوضى و الهرج و المرج و انهيار النظام الاجتماعى، فى حين وردت الآيه القرآنيه فى مقام جعل

۱- سوره المائده: الآيه ۵۵.

منصب الولایه، أی کما أنّ الرسول هو ولی الأُمّه الإسلامیه و القائم علی تدبیر شئونها؛ فإنّ لبعض المؤمنین- بنص الآیه- مثل هذا المنصب، و القرائن التی وردت قبل هذه الآیه و بعدها إنّما تؤیّد صحّه هذا المدّعی. فقد خاطبت الآیه السابقه جمیع المسلمین قائله: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ .... و صرّحت الآیه اللاحقه بنفس المضمون قائله: وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ.

توضیح المُراد:

الادّعاء القائم هو أنّ العباره «و الذین آمنوا»- فی الآیه التی نحن بصدد بحثها- مقتصره علی جماعه معیّنه من المؤمنین، فولایه المسلمین بعد رسول اللّه لهذه الجماعه، و الشاهد علی صحّه و تمامیّه ذلک الآیه التی سبقت: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا و الآیه اللاحقه وَ مَنْ یَتَوَلَ، فالآیه الشریفه خطاب لکافّه المسلمین، فالمراد بالضمیر المتّصل فی جمله إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ هؤلاء المسلمون، و المعنی: «أیّها المسلمون إنّما ولیکم اللّه و رسوله و بعض من المؤمنین». أمّا إذا قلنا إنّما ولیّکم اللّه و رسوله و أنتم المسلمون جمیعاً، فإنّ هذا المعنی لیس بمعقول، فإنّه لا یمکن أن یکون للمسلمین جمیعاً الولایه علی أنفسهم، أ فلیس مثل هذا الجعل للحکم و المنصب لغواً؟ أو لا یوجب مثل هذا الأمر تصدّع و انهیار النظام الاجتماعی؟!. أمّا الآیه اللاحقه وَ مَنْ یَتَوَلَّ اللَّهَ ... أی أنّ کلّ من امتثل حکومه و ولایه هؤلاء الأفراد بعد اللّه و رسوله، فإنّ ذلک سیؤدّی إلی ظهور مجتمع قوی مقتدر و حزب یعرف باسم حزب اللّه و ستکون له الغلبه علی الدوام.

بناءً على هذا فإنّ هناك طائفه تقرّ بهذه الولايه «و من يتولّ اللَّه ...» و هناك طائفه يجب أن تكون هى المتولّيه للأُمور، و عليه: فعباره «و من يتولّ اللَّه» إنّما تعيّن وظيفه المسلمين فى الانقياد للجماعه ذات الولايه، و العباره «و الذين آمنوا» تعيّن ولاه المسلمين «إنّما وليكم اللَّه و رسوله و الذين آمنوا». و بناءً على ما ذكر فإنّ العباره «و الذين آمنوا» حصرت ولاه الإسلام فى جماعه خاصّه و طبقه معيّنه محدوده، إضافه إلى ما ذكرنا من أنّ الآيه الكريمه وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ ... قد حثّت المؤمنين على الانضواء تحت ولايه تلك الجماعه المعيّنه و تشكيل حزب هو حزب اللَّه الذى يتمتّع المسلمون فى ظلّه بالقوّه و المنعه بحيث لن تنالهم الهزيمه أبداً. فالذى نستفيده من الآيات الثلاث:- ۱- تحذير الأُمّه من التراجع و النكوص عن دينها و خسارتها للمقام الذى حباها اللَّه تعالى به، و تذكيرها بعناصر القوّه من جهه أُخرى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ .... ۲- أنّ الأُمّه الإسلاميّه محتاجه إلى مَن يقودها، و وليّ الأمر و القيّم على أُمورها هو اللَّه و النبى ثمّ طائفه من المؤمنين. ۳- الاستجابه لهذه الولايه ستؤدّى- قهراً- إلى ظهور حزب قوى يتكفّل بغلبه الأُمّه على أعدائها و عدم الفشل و الهزيمه.

قضيه مهمّه:

كان بحثنا السابق يدور حول ظاهر الآيه الشريفه. أمّا إذا أردنا أن نخوض فى سبب النزول فإنّ المُسلّم به هو أنّ الآيه المُباركه قد نزلت بشأن أمير المؤمنين على عليه السلام. فقد ذكر أبو ذر الغفارى: أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله صلّى الظهر بالمسلمين، فدخل فقير المسجد و سأل فلم يجبه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء و قال: اللّهمّ اشهد

إنّی سألت فی مسجد نبیّک فلم یعطینی أحد شیئاً، و کان علی علیه السلام راکعاً، فأشار إلی السائل بیده فانتزع خاتمه، فلمّا رأی ذلک رسول اللّه صلی الله علیه و آله و فرغ من الصلاه قال:

اللّهمّ إنّی أسألک ما سألک موسی علیه السلام فی أخیه هارون فاستجبت له، اللّهمّ اجعل علیّاً علیه السلام خلیفتی، اشدد به أزری و أشرکه فی أمری. قال أبو ذر: فو الله ما أتمّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله دعاءه حتی نزل علیه جبرائیل بالآیه إِنَّما وَلِیُّکُمُ اللَّهُ ...(۱). هذه واحده من عشرات الروایات التی أشارت صراحه إلی مصداق قوله.

الَّذِینَ آمَنُوا و لا نری حاجه للخوض فی الروایات التی وردت فی سبب النزول؛ لأنّها صرّحت علی سبیل القطع بأنّها نزلت فی علی علیه السلام، علماً أنّ منهج الکتاب إنّما یستند إلی القرآن لا الروایات. أمّا الحدیث، فقد أکّد أنّ «و الذین آمنوا» إنّما هم عدّه خاصه، و لیس للجمیع النهوض بهذه الوظیفه الخطیره المتمثّله بالزعامه، و لا ینبغی التصدّی لها إلّا من قِبل أولئک الذین لهم صلاحیه و أهلیه التصدّی، و أفضل نموذج للتصدّی لها هو علی علیه السلام. إذن فالقرآن الکریم فی هذه الآیه المُبارکه قد عیّن أئمّه المسلمین، کما أشار إلی زعامه علی بن أبی طالب علیه السلام، و لا یقتصر هذا الکلام علی عُلماء الشیعه و کبار المحدّثین، بل ذهب مفسّرو العامّه إلی أنّ هذه الآیه قد نزلت فی علی علیه السلام. فقد شحن تفسیر ابن کثیر بعدّه روایات عن عتبه بن أبی حکیم، و عن سلمه بن کهیل. و کذلک عن مجاهد و ابن عباس بعدّه طرق، و عن السدّی أنّ الآیه قد وردت بحقّ علی علیه السلام(۲)، و من أراد المزید فلیراجع ما سطّرته العامّه من کتب بهذا الشأن. و بناءً علی ما سبق فإنّ الآیه الَّذِینَ آمَنُوا قد أشارت إلی موقع بعض

۱- مجمع البیان ۳: ۳۴۶- ۳۴۷.

۲- تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ۲: ۷۱.

المسلمین الذین لهم کفاءه التصدّی لُامور المسلمین، و هذا ما علیه عُلماء الشیعه و السنّه فی أنّ الآیه نزلت بشأن علی علیه السلام و زعامته. و حیث لا یعقل نهوض جمیع المسلمین بمنصب الزعامه و الإمامه، و کان من القطع أن تکون آیه الَّذِینَ آمَنُوا محصوره فی بعض الأفراد الأکفّاء، و تری الشیعه بأنّ علی علیه السلام من هؤلاء الأفراد، کما تری العامّه أنّ المُراد بالآیه هو مولی المتّقین علی علیه السلام، کان لا بدّ من القول علی ضوء اعتراف الفریقین و بالاستناد إلی عدم معقولیه کون المُراد بالآیه الَّذِینَ آمَنُوا عموم المسلمین، أنّ القرآن الکریم قد صرّح فی هذه الآیه بإمامه المسلمین و قلّدها ربیب النبوّه علی بن أبی طالب علیه السلام.

إشاره إجمالیه إلی بعض الروایات الوارده فی تفسیر الآیات الدالّه علی الإمامه

یسرّنا هنا أن نتناول بالبحث بعض الروایات لنستمع من خلالها إلی ما صرّح به نفس الأئمّه علیهم السلام بشأن ما أوردناه سابقاً من زعامتهم و إمامتهم: ۱) وردت فی کتاب وسائل الشیعه روایه عن الصدوق بسند معتبر عن المعلّی ابن خنیس، عن الإمام الصادق علیه السلام قال: قلت له: قول اللّه عزّ و جل: إِنَّ اللَّهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلی أَهْلِها وَ إِذا حَکَمْتُمْ بَیْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْکُمُوا بِالْعَدْلِ(۱) فقال: «عدل الإمام أن یدفع ما عنده إلی الإمام الذی بعده، و امرت الأئمّه أن یحکموا بالعدل، و امر الناس أن یتّبعوهم»(۲). ۲) کما وردت روایه عن الکلینی: محمّد بن یعقوب عن عدّه من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، عن محمّد بن عیسی، عن أبی عبد اللّه المؤمن، عن ابن مسکان، عن سلیمان بن خالد، عن أبی

۱- سوره النساء: الآیه ۵۸.

۲- الفقیه ۳: ۲ ح ۲، و عنه وسائل الشیعه ۲۷: ۱۴، کتاب القضاء، أبواب صفات القاضی ب ۱ ح ۳۳۰۸۴.

عبد اللّه علیه السلام قال: «اتّقوا الحکومه؛ فإنّ الحکومه إنّما هی للإمام العالم بالقضاء العادل فی المسلمین لنبیّ أو وصیّ نبیّ»(۱). ۳) و روی العیاشی أنّ سعد قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن الآیه الشریفه:

لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها(۲) فقال: «آل محمّد صلی الله علیه و آله أبواب اللّه و سبیله و الدعاه إلی الجنّه و القاده إلیها و الأدلّاء علیها إلی یوم القیامه»(۳). ۴) نقل حمزه بن الطیّار أنّه عرض علی أبی عبد اللّه علیه السلام بعض خطب أبیه حتّی إذا بلغ موضعاً منها قال له: «کفّ و اسکت، ثمّ قال أبو عبد اللّه علیه السلام: إنّه لا یسعکم فیما ینزل بکم ممّا لا تعلمون إلّا الکفّ عنه و التثبّت و الردّ إلی أئمّه الهدی حتّی یحملوکم فیه علی القصد و یجلوا عنکم فیه العمی، و یعرّفوکم فیه الحقّ. قال اللّه تعالی:

فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ(۴)»(۵). ۵) و نورد هنا بعض ما أوصی به أمیر المؤمنین علی علیه السلام لکمیل: «یا کُمیل لا تأخذ إلّا عنّا تکن منّا ... یا کُمیل هی نبوّه و رساله و إمامه، و لیس بعد ذلک إلّا موالین متّبعین أو عامِهین مبتدعین، إنّما یتقبّل اللّه من المتّقین»(۶). ۶) الحدیث المتواتر و المتّفق علیه من العامّه و الخاصّه و المعروف بحدیث الثقلین الذی لم ینکره أحد، و أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله قاله علی سبیل الیقین، فقد عیّن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی هذا الحدیث وظیفه المُسلمین إلی یوم القیامه، معتبراً فیه القرآن

۱- الکافی ۷: ۴۰۶ باب أنّ الحکومه إنّما هی للإمام ح ۱.

۲- سوره البقره: الآیه ۱۸۹.

۳- تفسیر العیّاشی ۱: ۸۶ ح ۲۱۰، و عنه بحار الأنوار ۲: ۱۰۴.

۴- سوره النحل: الآیه ۴۳ و سوره الأنبیاء: الآیه ۷.

۵- الکافی ۱: ۵۰ باب النوادر ح ۱۰.

۶- تحف العقول: ۱۷۱ و ۱۷۵.

و العتره الثقلین الذین لن تضلّ الامّه إذا ما تمسّکت بهما إلی یوم القیامه، فقال صلی الله علیه و آله:

«إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا: کتاب اللّه، و عترتی أهل بیتی و إنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض»(۱). ۷) هناک روایه صحیحه أو حسنه فی کتاب الوسائل عن محمّد بن یعقوب، عن علی بن إبراهیم، عن أبیه و عن عبد اللّه بن الصلت جمیعاً، عن حمّاد بن عیسی، عن حریز بن عبد اللّه، عن زراره، عن أبی جعفر علیه السلام فی حدیث فی دعائم الإسلام، قال: «أما لو أنّ رجلًا قام لیله، و صام نهاره، و تصدّق بجمیع ماله، و حجّ جمیع دهره، و لم یعرف ولایه ولی اللّه فیوالیه، و یکون جمیع أعماله بدلالته إلیه، ما کان له علی اللّه حقّ فی ثوابه و لا کان من أهل الإیمان»(۲). فالذی یتّضح من هذا الحدیث أنّ الإتیان بالتکالیف و الوظائف الإسلامیّه لا بدّ أن یکون من خلال إرشادات و ولایه الأئمّه الأطهار علیهم السلام، فهم زُعماء الدین وقاده المُسلمین، و لا بدّ من تفویض الأعمال إلیهم بهدف حفظ النظام الاجتماعی و منع الفوضی و الهرج و المرج. ۸) ورد فی الکتاب المذکور عن محمّد بن یعقوب، عن عدّه من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن الحسین بن سعید، عن النضر بن سوید، عن عاصم بن حمید، عن أبی بصیر یعنی المرادی، عن أبی عبد اللّه علیه السلام- فی قول اللّه عزّ و جل: وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ(۳)- «فرسول اللّه صلی الله علیه و آله الذکر، و أهل بیته المسئولون و هم أهل الذکر»(۴).

۱- کفایه الأثر: ۸۷؛ مختصر بصائر الدرجات: ۲۱۳ ح ۲۵۴؛ المراجعات: ۲۷۹.

۲- وسائل الشیعه ۱: ۱۱۹ ح ۲۹۸ نقلًا عن الکافی ۲: ۱۹ ح ۵.

۳- سوره الزخرف: الآیه ۴۴.

۴- وسائل الشیعه ۲۷: ۶۲ ح ۳۳۲۰۳.

دراسه ضروریّه

استفاضت لدینا الروایات- کهاتین الروایتین- التی صرّح فیها الأئمّه علیهم السلام قائلین: نحن أهل الذکر و حمله القرآن، و علی الأُمّه أن تأخذ بهدینا فی عملها بالقرآن، فهذه الروایات تفوّض المسئولیه للأئمه علیهم السلام، و علیه: فلا بدّ أن یُناط حلّ المشاکل و إرشاد الأُمّه و الأخذ بیدها- مع الأخذ بنظر الاعتبار تفسیر الأئمّه علیهم السلام للآیه الکریمه- بزعماء الدین. أمّا ما ورد فی الآیه الشریفه وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ فإنّه یدعونا إلی التأمّل فی سوره الزخرف حیث تقول: فَاسْتَمْسِکْ بِالَّذِی أُوحِیَ إِلَیْکَ إِنَّکَ عَلی صِرَاطٍ مُسْتَقِیمٍ* وَ إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ(۱)، فقد قال الإمام الباقر و الصادق علیهما السلام: نحن قوم النبی صلی الله علیه و آله. فالآیه تصرّح بأنّ الصراط المستقیم هو القرآن، و قد قلّدک القرآن- و الأئمّه من بعدک- مسئولیه خطیره، کما أفاض علیکم هذا الکتاب علماً و إدراکاً لیس لکم أن تنهضوا بعبئه و مسئولیته. أ فلا نفهم من هذه الآیه و بضمیمه الروایه أنّ المسئولیه التی کلّف بها رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد کلّف بها الأئمّه الأطهار علیهم السلام أیضاً؟ أو لیست هذه الآیه فی مقام نصب الأئمّه کهداه للُامّه الإسلامیه علی غرار النبی الأکرم صلی الله علیه و آله؟ بلی، الآیه الکریمه علی ضوء تفسیر الإمام قد جعلت الأئمّه کرسول اللّه صلی الله علیه و آله هداه أدلّاء علی الطریق، و أنّ الصراط الذی یسلکونه هو الصراط الذی أوحاه لهم القرآن الکریم، و أنّ هذه الهدایه وظیفه خطیره و مسئولیه عظیمه بحیث إنّهم یُسألون عنها یوم القیامه: «و سوف یُسألون».

۱- سوره الزخرف: الآیتان ۴۳- ۴۴.

إذن فهم الأئمّه و الزُعماء إلى يوم القيامه، و عليهم أن ينهضوا بهذه المهمّه و لا يتوانوا فى أدائها، و ذلك أنّهم مسئولون عنها يوم القيامه. و بناءً على ما تقدّم فالذى نستفيده من الآيه الكريمه و روايه التفسير:- ۱- أنّ الأئمّه عليهم السلام كالنبى صلى الله عليه و آله هم هُداه و أدلّاء على الطريق. ۲- أنّهم إنّما يستندون إلى الآيات القرآنيه فى هذه الهدايه. ۳- أنّ وظيفه الأئمّه كوظيفه النبى بالتمسّك بالقرآن من أجل الهدايه. ۴- أنّ هذه الوظيفه- أى هدايه الأُمّه بالقرآن- هى وظيفه أبديّه إلى يوم القيامه. ۵- أنّ مسئوليّه الأئمّه كالنبى فى القيام بهذه الوظيفه، فهى مسئوليه كبيره و ليس لهم أن يقصّروا فى أدائها. ۶- الأئمّه كرسول اللَّه صلى الله عليه و آله سيسألون يوم القيامه عن القيام بهذه الرساله الخطيره. ۷- للأئمه كما لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله إحاطه تامّه بالقرآن و أسراره؛ لأنّه ذكر لهم كما هو ذكر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله: وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ. و عليه: فإنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم زُعماء مسئولون، و أنّ القرآن قد حباهم بشرائط الإمامه و ألهمهم الإحاطه بامور المسلمين، و عليهم أن يقوموا بوظيفتهم بإمامه كافّه شئون المسلمين و حلّ مشاكلهم و تلبيه متطلّباتهم، و أن يأخذوا بأيديهم من خلال التمسّك بالقرآن إلى شاطئ الأمان و السعاده و الفلاح. ملاحظه: لقد تواترت الروايات التى تجاوزت حدّ الاستفاضه فى تفسير هذه الآيه، و من أراد المزيد من أجل الوقوف على صحّه هذا الادّعاء فليراجع الأخبار الوارده بهذا الشأن. ۸- ورد فى الكتاب المذكور و الباب المذكور عن الصدوق فى كتاب الأمالى و عيون الأخبار، عن على بن الحسين بن شاذويه، و جعفر بن محمّد بن مسرور

جمیعاً، عن محمّد بن عبد اللّه بن جعفر الحمیری، عن أبیه، عن الریّان بن الصلت، عن الرضا علیه السلام- فی حدیث- أنّه قال للعلماء فی مجلس المأمون: أخبرونی عن معنی هذه الآیه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۱)، فقالت العلماء: أراد اللّه بذلک الامّه کلّها، فقال الرضا علیه السلام: «بل أراد اللّه- عزّ و جلّ- العتره الطاهره»(۲).

بحث مختصر:

الاصطفاء: علی وزن الافتعال و أصله من الصفو، و الصفو یعنی الخالص، و علیه: فإنّ الاصطفاء یعنی الانتخاب الخالص، و المصطفی یعنی المنتخب الخالص «صفوه الشی ء: خالصه». عباد جمع عبد، و العبد هنا بمعنی العابد، لا بمعنی المملوک؛ لأنّ جمع العبد بمعنی المملوک هو عبید. قال الراغب الأصفهانی فی المفردات: «و جمع العبد الذی هو مسترقّ عبید، و جمع العبد الذی هو عابد عباد». و یؤیّد القرآن الکریم قول الراغب، فقد نعتت جمیع الآیات القرآنیه التی تحدّثت عن الکُفّار الذین اتّبعوا هوی أنفسهم و الأوثان بالعبید، بینما أطلقت لفظ «العباد» علی من عبد اللّه سبحانه، و لم تستعمل لفظه «العباد» فی مقابل «الإماء» إلّا فی آیه واحده هی وَ أَنْکِحُوا الْأَیامی مِنْکُمْ وَ الصَّالِحِینَ مِنْ عِبادِکُمْ وَ إِمائِکُمْ(۳)، و لا یبعد هنا أن تکون لفظه «العباد» قد جاءت من أجل التشاکل اللفظی.

۱- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۲- وسائل الشیعه ۲۷: ۷۲، کتاب القضاء، أبواب صفات القاضی ب ۷ ح ۳۳۲۳۳ عن أمالی الصدوق: ۶۱۵ ح ۸۴۳ و عیون أخبار الرضا علیه السلام ۱: ۲۲۸ ب ۲۳ ح ۱.

۳- سوره النور: الآیه ۳۲.

و یؤیّد ذلک ما ورد فی النصوص الفقهیّه و آثار الأئمّه علیهم السلام، حیث وردت کلمه «العبید و الإماء» حیثما کان الکلام عن العبد المملوک. علی کلّ حال فإنّ العباد فی الآیه الشریفه هی جمع عابد. فقد ردّ الإمام الرضا علیه السلام علی العُلماء الذین قالوا: إنّ المراد بالآیه الشریفه الأُمّه کلّها، بأنّ اللَّه أراد بها العتره الطاهره، فاحتجّ علیه السلام بالآیه الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا حیث المصطفی من العباد غیر جمیع العباد، فهو أضیق دائره، و لمّا کان المصطفی یعنی المنتخب الخالص، فإنّهم من العباد المخلصین و الموحّدین، و لذلک لا بدّ أن یکون هؤلاء الأفراد مصطَفین تامّی الإخلاص فی عباده الحقّ. و بعباره أوضح: أنّ مُراد الآیه: أخلص الناس فی عباده الحقّ من بین عباد اللَّه الموحّدین، و لیس هناک بین الناس أخلص فی عباده اللَّه تعالی- بعد النبیّ صلی الله علیه و آله- غیر الأئمّه علیهم السلام. و لذلک قال علیه السلام: لیس المراد بالعباد- هنا بقرینه الاصطفاء- سوی العتره الطاهره، فالقرآن یقول: لیس لکلّ فرد وراثه القرآن، و إنّ وراثته مختصّه بمن اصطفینا من العباد، و قال الرضا علیه السلام: نحن ورثه القرآن، فالأئمّه هم ورثه الکتاب، و لمّا کان الانتقال مُعتبر فی مفهوم «الإرث» یتبیّن أنّ ما أفاض القرآن علی النبی صلی الله علیه و آله إنّما ینتقل إلی الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و نحن نعلم أنّ القرآن إنّما أفاض علی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله العلم و الحکمه و الإمامه و الولایه و المسئولیه و أمثال ذلک، و علیه:

فالأئمّه إنّما یرثون هذه الأمور عن النبی صلی الله علیه و آله. فکما أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عالم بدقائق القرآن و أسراره، فالأئمه علیهم السلام عالمون بها بالوراثه، و کما أنّ النبی یدرک بالوحی بطون القرآن، فإنّ للأئمّه مثل هذا الإدراک و الإحاطه بالوراثه. و أخیراً فکما أناط القرآن بالنبی صلی الله علیه و آله وظیفه الزعامه و تفسیر الأحکام و بیان التعالیم و إمامه الأُمّه الإسلامیه فإنّ الأئمّه علیهم السلام قد ورثوا عنه هذه الوظائف، و لذلک

لمّا كان يوم الدار- أوائل بعثه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- جعل النبى صلى الله عليه و آله علياً عليه السلام خليفته و نصبه إماماً، فقال: «هذا أخى و وارثى و وزيرى و خليفتى فيكم بعدى»(۱) و قد صرّحت بعض الروايات بأنّ عليّاً عليه السلام قال: «يا رسول اللّه و ما أَرِثُك؟»، قال: «ما ورثت الأنبياء قبلى: كتاب اللّه و سنّتى»(۲).

خلاصه ما مرّ:

إنّ الإسلام ليس دين الاعتزال و الرهبه، بل دين يشتمل على برامج و تعاليم من شأنها تنظيم حياه البشريه و ضمان المعيشه الهنيئه التى يسودها العدل و الإنصاف و المساواه و الإخاء و التساوى فى الحقوق الاجتماعيه المقرّره لكلّ طبقه بما يصونها عن السلب و النهب، و إنّ هناك حاجه ماسّه فى هذا الدين لتدوين دستوره المتين الذى يقف حائلًا أمام الظلمه، فلا يدعهم يمدّون أيديهم ليعتدوا على حقوق الأُمّه، كما يتكفّل بحفظ الشخصيه الإنسانيه لكلّ فرد فى المجتمع من سطوات الجبابره و عداوتهم، و تتحقق فى ظلّه العداله الاجتماعيه و التمتّع بالحقوق الفرديه و الجماعيه و ارتفاع المستوى العلمى و الثقافى للناس و نيلهم السعاده الدنيويه التى تؤهّلهم لنيل الخلود و استثمار الإيمان الذى يدعو إلى كسب الفضائل الأخلاقيه و المعنويه، و ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن الكريم هو دستور الإسلام الذى تكفّل بتحقيق هذه الأهداف: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ(۳). إلّا أنّ هذا القرآن قد تعرّض لشئونُ حياه الأُمّه من خلال آياته الشريفه، و لا تتفق هذه الآيات بأجمعها فى كيفيّه شرحها لمفردات الحياه التى تعيشها الأُمّه،

۱- علل الشرائع ۱: ۱۷۰، ب ۱۳۳ ح ۲، و عنه بحار الأنوار ۱۸: ۱۷۸ ح ۷.

۲- تفسير فرات الكوفى: ۲۲۷ ح ۳۰۴، بحار الأنوار ۳۸: ۳۴۶ ح ۲۱، تفسير الميزان ۸: ۱۱۷.

۳- سوره الإسراء: الآيه ۹.

فهناک بعض الآیات القرآنیه التی وردت بصیغه الرمز و الإشاره و الکنایه، بل وردت مُبهمه متشابهه بحیث قد تکون أحیاناً أقرب إلی خلاف المراد فی دلالتها اللفظیه، و هذا ما أشارت إلیه الآیه: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ(۱). فالقرآن شأنه شأن سائر القوانین، حیث وردت بعض نصوصه مجمله، و واضح أنّ المجمل یحتاج إلی ما یُفسّره و یوضّحه. و القرآن کسائر القوانین، قد یصدر أحکامه علی نحو العموم ثمّ یخصّصها بینما یصدرها علی نحو الإطلاق لکنّها تتضمّن التقیید. فأحکامه علی أنواع من قبیل العام و الخاص و المطلق و المقیّد و .... و القرآن یتطرّق أحیاناً إلی قصص الامم الماضیه من أجل تحقیق بعض الأهداف الکُبری و إثبات دعوی النبوّه، فیورد حقبه تأریخیه عمیقه فی جمله قصیره مقتضبه، بالشکل الذی یتطلّب الوقوف علی تلک الحقائق إلی مؤرّخ عالم بنشوء الأدیان و قصص سالف الامم و متخصّص بلغه القرآن، و القرآن قد یصدر حکماً معیناً لمده استناداً للمقتضیات السیاسیه و المصالح الإسلامیه العلیا ثمّ ینسخه بحکم حقیقی آخر لا بدّ من مراعاته و تطبیقه، و القرآن قد عیّن المقنن و المنفذ من أجل بسط العدل و القسط و تحقق الوحده و التضامن و المجتمع الإسلامی، لیتسنی للُامّه أن تقیم الحکومه العادله فی ظل ولایه و زعامه هؤلاء الأفراد. و أخیراً فإنّ بعض الآیات القرآنیه تحمل رساله دعوی الناس إلی الصراط المُستقیم الذی یؤدّی إلی السعاده الأبدیّه و الجنّه الخالده، إلی جانب کسب الفضائل الإنسانیه و بلوغ السموّ و الکمال.

۱- سوره آل عمران: الآیه ۷.

إذن فدستور الإسلام هو القرآن، و إنّ الحياه الحره الكريمه المقرونه بالرفاه و السعاده فی القرآن. و القرآن طائفه من الآيات التی تشكّل موادها أساس النظام الداخلی للحياه، غير أنّنا رأينا أنّ آياته قد تكون مجمله و أحياناً مُتشابهه كما قد تكون أحياناً أُخری مُطلقه أو مقيّده و ناسخه أو منسوخه، كما فهمنا أنّ القرآن هو دعامه حكومه العدل و القسط بالنسبه للُامّه الإسلاميه، و عليه شئنا أم أبينا؛ فإنّ القرآن يتطلّب استاذاً ماهراً و دليلًا عليماً ليوضّح مجمله و يحلّ معضله و يبيّن مطلقه من مقيّده و يفسّر متشابهه، و أن يكشف النّقاب عن قصص الامم السابقه بما يخرجها عن حاله الإجمال التی أوردها القرآن، و بالتالی عليه أن يميط اللثام عن أسراره و يميّز ناسخه من منسوخه، ليجعل الأُمّه تقف بما لا يقبل الشكّ علی مفردات دستور الإسلام من أجل تشكيل الحكومه الإسلاميه، ليتمكن المسلمون فی ظل حكومه العدل القرآنی من العيش بأمن و سلام فی حياتهم الدنيويّه، بالشكل الذی يمهّد السبيل أمامهم لنيل سعاده الآخره. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ إدراك جميع حقائق القرآن- بغضّ النظر عن آياته الصريحه أو الظاهره- بحاجه إلی معلّم و دليل، و كذلك الحكومه الإسلاميه المستنده للقرآن بحاجه إلی إمام و ولی أمر. فالذی نخلص إليه هو أنّ القرآن محتاج إلی مرشد، و المسلمون أيضاً محتاجون إلی الإمام، و هنا لا بدّ أن نسأل: من هو المرشد إلی القرآن و إمام الإسلام؟ لقد دلّت الآيات و الروايات التی أوردناها فی هذا الفصل أنّ المرشد الأبدی و الإمام الواقعی للمسلمين بعد النبی صلی الله عليه و آله و فی ظلّ تعاليمه هم الأئمّه الأطهار عليهم السلام كما صرّحت الأخبار بأنّ الزعامه قد فوّضت إليهم إلی يوم القيامه(۱)، و عليه فلن يسع

۱- الكافی ۱: ۲۶۵- ۲۶۸.

المسلمون قطّ أن يشكّلوا الحكومه العادله و المدينه الفاضله دون هؤلاء الهداه الذين لهم ولايه الأمر. فإن قال قائل: لسنا بحاجه لهذه المدينه الفاضله الإنسانيه، كما لا نريد الحكومه القائمه على أساس القرآن، فالبشريه قد شكّلت الحكومه على أساس قدراتها العلميه و العقليه و التى حقّقت لها السعاده. فإنّا نقول: لا بدّ- على ضوء هذا القول- من غضّ الطرف عن القرآن و اعتبار الإسلام دين العزله و الرهبنه، فى حين لا بدّ لمن يؤمن بالقرآن و الإسلام أن يذعن بأنّ القرآن و الإسلام من شأنهما فقط إداره شئون الحياه الإنسانيه، و أن يقرّ أيضاً أن ليس هنالك من زعامه للحكومه الإسلاميه و هدايه بالقرآن و إحاطه بحقائقه و معارفه سوى للأئمه الأطهار عليهم السلام، و لا يمكن للقرآن- بما أوردناه من خصائص- أن يكون هادياً للبشريه دون أولئك الهُداه الذين يهدون بأمر اللّه، كما لا يمكن القول بأنّ الحكومه العادله مطلوبه، لكن دون الحاجه إلى زعماء الدين و مجسّدى أحكام و قوانين القرآن؛ لأنّ الأخبار و الآيات دلّت على أنّ أئمّه الدين و هُداه المسلمين هم تلامذه الرساله و ربيبى مدرسه النبوّه الأئمّه الأطهار عليهم السلام. إذن، فلا يمكن ألّا يكون هؤلاء ممن توفّرت فيهم شرائط الهدايه بالقرآن و امامه الأُمّه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و بناءً عليه فلا بدّ أن يكونوا محيطين بجميع رموز القرآن و أسراره، عارفين بمحكمه و مُتشابهه و مطلقه و مقيّده، عالمين بجميع الحوادث التى تواجه المسلمين؛ و إلّا فأنّى لهم أن ينأوا بالمجتمع بعيداً عن آفات تلك الحوادث؟ فهل يسع ربّان السفينه أن يتكفّل بضمان سلامه ركّابها و هو يشقّ عباب البحر دون علم بأمواجه و جزره و مدّه و الحوادث التى يمكن أن تطرأ عليه؟!

خلاصه البحث:

یمکن خلاصه ما مرّ منّا خلال البحث فی ما یلی: ۱- لا یستغنی الدین الإسلامی عن إمام، کما لا یستغنی القرآن- الذی یُعتبر دستور و قانون المجتمع الإسلامی- عن شارح و مفسّر. ۲- لا یقتصر الإسلام علی کونه سلسله من الصفات الأخلاقیه و المعنویه المکمله للخصائص الإنسانیه السامیه فحسب، بل هو دین ینطوی علی تعالیم شامله تستهدف بناء المجتمع الإسلامی المقتدر فی ظلّ الحکومه الإسلامیه التی تنشد تربیه الإنسان الصالح. ۳- تستند الحکومه الإسلامیه إلی اسس القوانین و التعالیم القرآنیه و مبادئ السنّه النبویّه الشریفه. ۴- یتعذّر التعامل مع النصوص القانونیه القرآنیه دون توضیحها و شرحها من قِبل ذوی الاختصاص من زعماء الدین. ۵- تفید الآیات و الأخبار أنّ للأئمّه صلاحیه و أهلیه الخوض فی التعالیم و البرامج القرآنیه و توضیحها و سبر أغوارها. ۶- أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زُعماء الأُمّه الإسلامیه بعد النبی صلی الله علیه و آله، و أنّهم مکلّفون بالنهوض بمسئولیه هذه الزعامه إلی یوم القیامه. ۷- نتیجه هذه الخلاصه هی أنّ الأئمّه یملکون شرائط الزعامه و الإمامه، و حیث إنّ أحد شروط زعامه المسلمین إلی یوم القیامه یتمثّل بالعلم التام و الوقوف علی جمیع الحوادث و الأخبار الخاصّه، و الإحاطه بأسرار القرآن، و المعرفه بما غاب عن فهم الأُمّه و إدراکها من الامور، کان من اللازم القول بأنّ للإمام علماً و إحاطه تامّه بخفایا القرآن و السنّه، و بخلافه فلیس بوسعه أن یکون زعیماً للأُمّه إلی الأبد و مفسّراً للقرآن هادیاً به.

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (سوره البقره: الآیه ۱۲۷) رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنا مَناسِكَنا وَ تُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (سوره البقره: الآیه ۱۲۸) رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ (سوره البقره: الآیه ۱۲۹)

الدليل الرابع من القرآن

اشاره

لم نتعرّض فی الآیات السابقه إلی جذور الإمامه و لا إلی الصفوه من بنی هاشم التی تتمثّل بشکل واضح بالأئمّه الأطهار علیهم السلام، بل أشرنا إلی أنّ «أُولی الأمر» هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، کما ذهبنا إلی أنّهم مصداق قهری لهذا العنوان من خلال التأمّل فی آیات القرآن الکریم، و قلنا فی خصوص الآیه «و الذین آمنوا»: إنّها تشیر إلی شکل الزعامه و الإمامه، ثمّ خلصنا إلی أنّ أمیر المؤمنین علی علیه السلام هو مصداق هذه الزعامه، بالاستعانه بالروایات و أسباب النزول، أمّا الآیات التی نعرض لدراستها الآن فهی تتناول أصاله الإمامه و تجذّرها فی القرآن الکریم إلی جانب تأریخ تبلور و نشأه إمامه أئمّه الإسلام منذ زمان إبراهیم الخلیل علیه السلام. أجل، إنّ إبراهیم علیه السلام سأل اللّه أن یرزقه من ذریّته إماماً یتزعّم شئون الأُمّه الإسلامیه، و ذریّه صالحه تتولّی من بعده زعامه الأُمّه. و بعباره أوضح: فإنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللّه أن یبعث رسولًا من بنی هاشم، و أن تکون لهذا النبی ذریّه تتولّی هدایه الأُمّه و إمامتها.

إذن، فالآیه القرآنیه المُبارکه قد خاضت بوضوح فی أصاله الإمامه و ضخامه ثقلها فی المجتمع، و أشارت بصراحه إلی صفوه من بنی هاشم من شأنها زعامه و إمامه الأُمّه الإسلامیه. یبدو أنّ إثبات هذا الادّعاء یتطلّب مزیداً من الدقّه و التأمّل فی عدّه آیات من سوره البقره وردت بهذا الشأن، راجین من القُرّاء الأعزّاء الالتفات إلی النقاط التی بحثت سابقاً، لیصدروا بعدها أحکامهم المنصفه بهذا الخصوص.

دعوه النبی إبراهیم علیه السلام:

ما الذی أراده إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام من الحقّ تبارک و تعالی؟ یقول القرآن: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام هما رافعا قواعد بیت اللّه و الکعبه، فقد کان إبراهیم یبنی البیت و کان إسماعیل یساعده فی هذا البناء، بینما کان إبراهیم منهمکاً بالبناء- یساعده فی ذلک إسماعیل- سأل اللّه تعالی أن یتقبّل منهما هذا العمل. إذن فالبنّاء هو إبراهیم، و العامل إسماعیل، و المقاول هو اللّه جلّ و علا. فالبناء کان یهدف إلی إنشاء مرکز التوحید و العباده و هذا المرکز هو الکعبه، و یصرّح القرآن بأنّ لإبراهیم و إسماعیل خمس دعوات سألاها اللّه سبحانه، و هی: ۱- ربّنا اجعلنا مسلمَین لک. ۲- و من ذرّیتنا أُمّه مسلمه لک. ۳- أرنا مناسکنا و تُب علینا. ۴- و ابعث فیهم رسولًا منک. ۵- یتلو علیهم آیاتک و یعلّمهم الکتاب و الحکمه و یزکّیهم.

الآيات و الالتفاتات:

تطالعنا فی هـذه الآيات عدّه أُمور، منها: ۱) فنّـدت الآيه مزاعم اليهود بشأن الكعبه و قبله المسـلمين حين كثر اللغط الذی يصـرّح بعدم صـحّه نبوّه النبی صـلی الله عليه و آله فهو يصلّی الصبح صوب بيت المقدس، ثمّ يستقبل الكعبه فی صلاه العصر، و إنّ مثل هـذه الأعمال لا تصـدر من عاقل، و إلّا لما غيّر القبله، فقد كان الهدف المهم هو بيان أصاله الكعبه؛ لأنّ إبراهيم هو الذی بناها و رفع قواعـدها، و إن كـان النبی صـلی الله عليه و آله قـد اسـتقبل بيت المقـدس لمـدّه قصـيره فإنّمـا كـان ذلـك طبقاً لمقتضـيات المصالـح الإسـلاميه العُليـا لا- على أسـاس عـدم العلم و الإحاطه بالمغيبات. ۲- نبيّنا محمّـد صـلی الله عليه و آله شخصـيه أصـيله متجذّره تسـتند رسالته و نبوّته لدعاء إبراهيم و إسـماعيل عليهما السلام، إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام اللذان أعادا بناء مركز التوحيـد، و هما عبْدا اللَّه، الذين أخلصا له العبوديّه و الطاعه، فسألاه تبارك و تعالى أن يبعث من ذريّتهما رسولًا ينطلق من قاعده الإخلاـص و العبوديه و الطـاعه، و عليه فـاليهود ينظرون أعمق من غيرهم إلى أصـاله محمّـد صـلی الله عليه و آله. ۳- أنّ محمّداً صلی الله عليه و آله الذی ينتمی إلى ذريّه إبراهيم و إسـماعيل عليهما السلام هو من طائفه بنی هاشم، و قد سألا الحقّ سبحانه أن يبعث هـذا النبی من تلك الطائفه لينهض بمسـئوليه تعليم و تزكيه هـذه الطائفه: وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ .... و بعباره اخرى: أنّهمـا سألاـ اللَّه أن يبعث رسولًا من بنی هـاشم يتولّی تعليم و تزكيه جمـاعه من بنی هـاشم، أمّا كيف نـدّعی أنّ الرسول المطلوب من بنی هـاشم و أنّه يعلّم و يزكّی جمـاعه من بنی هـاشم، فممّا لا شكّ فيه أنّ إبراهيم و إسـماعيل عليهما السـلام طلبا رسولًا من عقبهما لتعليم و تزكيه ذريّتهما، حيث سألا أن يكون

ذلک الرسول المبعوث هو معلّم تلک الذریّه، فقد قالا: وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... و حیث استجیب الدعاء المطلوب؛ و هو بعث محمّد صلی الله علیه و آله کنبیّ، و محمّد من نسل إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام و من نسل بنی هاشم، فالطائفه التی یتوجّه إلیها التعلیم و التزکیه لا بدّ أن تکون تلک الطائفه الصالحه المُنقاده للّه من نسل بنی هاشم. فالخلاصه، تفید الآیه: وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ... أنّ نبی الإسلام صلی الله علیه و آله یجب أن یتلو آیات القرآن علی بنی هاشم و یعلّمهم القرآن و أسرار الدین، لینتهی بهم إلی التزکیه و الطهر و النزاهه.

دلیل حی:

قلنا: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللّه سبحانه أن یبعث من ذریّتهما رسولًا من بنی هاشم، ثمّ سألاه أن یعلّم هذا الرسول طائفه من بنی هاشم خفایا الدین و أسرار القرآن و معالم الإسلام. أمّا شاهدنا علی ذلک فروایه وردت فی تفسیر العیاشی و هو من الکُتب المعتبره، ففیه: عن أبی عمرو الزبیری، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: قلت له: أخبرنی عن امّه محمّد صلی الله علیه و آله من هم؟ قال: أُمّه محمّد بنو هاشم خاصّه، قلت: فما الحجّه فی امّه محمّد أنّهم أهل بیته الذین ذکرت دون غیرهم؟ قال: قول اللّه عزّ و جل: وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَیْتِ وَ إِسْماعِیلُ ...(۱) فلمّا أجاب اللّه إبراهیم و إسماعیل و جعل من ذریتهما امّه مسلمه، و بعث فیها رسولًا منها- یعنی من تلک الامّه- یتلو علیهم آیاته و یزکّیهم و یعلّمهم الکتاب و الحکمه(۲).

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۷.

۲- تفسیر العیّاشی ۱: ۶۰ ح ۱۰۱.

مزید من التوضیح:

نورد مزیداً من الإیضاح رغم أنّ الحدیث المذکور صریح فی ما ادّعیناه، فالواو فی الآیه المُبارکه: وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ(۱) عاطفه، أی و اجعل من ذُرِّیَّتِنَا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ نسألک لبعض هذه الذریّه ما سألناک لأنفسنا أن اجعلنا مسلمین لک، فاجعلهم مسلمین لک، و بناءً علی هذا فکلمه «من» فی قوله: «و من ذریّتنا» تفید التبعیض، أی بعض هذه الذریّه. إذن، فسنخ تسلیم هذه الطائفه من سنخ تسلیم إبراهیم و إسماعیل، و من هنا یعلم أن عطف طلب إبراهیم و إسماعیل، یعود إلی ظهور طائفه مصطفاه من الأُمّه الإسلامیه تکون فی مصاف آبائها إبراهیم و إسماعیل فی الخشوع و الطاعه و التسلیم. و علیه: فدعاء إبراهیم و إسماعیل لا یشمل کافّه ذریّه إسماعیل لیکونوا علی هذه الدرجه من التسلیم، لیصدق ذلک علی جمیع قریش، و ذلک لأنّنا أشرنا إلی أنّ «من» تفید التبعیض لا التبیین، أضف إلی ذلک- کما ذکرنا- أنّ الرسول المبعوث من ذریّه هاشم، و ذلک الرسول هو معلّم هذه الذریّه طبق ظاهر الآیه، و هذا ما ذکّر به الإمام الصادق علیه السلام.

کشف النقاب عن أصاله الإمامه:

قلنا: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللّه سبحانه طائفه من الذریّه تکون بمستوی آبائها فی الإخلاص و الطاعه و التسلیم، کما قلنا: إنّ هذه الطائفه لیست إلّا الصفوه من بنی هاشم، و هنا تتّضح حقیقه اخری؛ و هی أنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام کما سألا اللّه بعث رسول لهدایه الامّه، قد سألاه أیضاً مثل هذه الهدایه لطائفه من

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۸.

بنی هـاشم، سألاـه أن یبعث رسولًـا من بنی هاشم، و أن تتربّی و تتلمّـذ علی یـدیه هـذه الطائفه المتّصـفه بالعبودیّه و الإخلاص و التسلیم الکامل للّه، لتکون جدیره مؤهّله و صالحه لزعامه الإسلام و إمامه المسلمین، و إلّا لما کان هناک من هدف لسؤالهما اللّه ظهور تلک الطائفه التی تضاهی آباءها فی الطاعه و التسلیم، و سؤال اللّه تعلیمهم و تزکیتهم من قِبل الرسول المبعوث.

ما نخلص إلیه من هذه الآیات:

بعد أن رفع إبراهیم و إسماعیل قواعد البیت بأمر اللّه و من أجل اللّه و إعاده بناء مرکز التوحید، سألا اللّه ثلاثه امور أساسیه مهمّه من أجل تحقیق السـعاده و الفلاح لـذریتهما علی مدی التأریخ، و هی: ۱- سألاـه أن یبعث رسولًا من ذریّتهما. ۲- أن یکون هذا الرسول من بنی هاشم، و قـد قال النبی صـلی الله علیه و آله: أنا دعوه إبراهیم علیه السـلام(۱). ۳- أن تکون طائفه من بنی هاشـم مطیعه و مسـلمه تنهض بزعـامه و إمـامه الأُمّه الإسـلامیه، و أن تسـتند فی إمامتها إلی تعالیم النبی صـلی الله علیه و آله و تعلیمه و تزکیته لهم و إلی القرآن و آیاته الحکیمه.

نتیجه هذه الدراسات:

کما أنّ رساله النبی صـلی الله علیه و آله أصـیله متجذّره لیست حادثه طارئه؛ فإنّ إمامه الأئمّه هی الأُخری أصـیله متجذّره، و هی اسـتجابه لدعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام. و علی ضوء هذا المشروع الذی تضمنه الدّعاء، کان لا بدّ لرسول اللّه صلی الله علیه و آله أن یخضع تلک الطائفه من بنی هاشم لتعلیمه المُباشر و یحیطهم علماً بکافّه أسرار و خفایا القرآن،

۱- الفقیه ۴: ۳۶۹، بحار الأنوار ۳۸: ۶۲.

بفضل ما منحهم اللّه من أهليه و استعداد، ليعدّهم لإمامه المسلمين، و عليه: فإنّ هذه الطائفه حائزه على شرائط الإمامه من خلال تعليم النبى و ما أفاض الحقّ عليهم من إخلاص و تسليم. فالذى نخلص إليه من هذه الأبحاث هو أنّ الإمامه أصيله متجذّره كالرساله، و ليست الإمامه سوى للطائفه المصطفاه من بنى هاشم.

سؤال يطرح نفسه:

هنالك سؤال يطرح نفسه على ضوء الشرح الذى أوردناه على الآيات، و هو هل أنّ رسول اللّه مبعوث لبنى هاشم فقط ليجتهد فى إرشادهم و هدايتهم و تزكيتهم؟ و هل سأل إبراهيم اللّه سبحانه نبياً عائلياً لتعليم و تربيه أولاده و ذريّته؟

حتّى يقال: إنّ اللّه استجاب دعوه إبراهيم من أجل تعليم و تربيه أولاده، إذن فهو معلّم خصوصى من أجل طائفه خاصّه من ولد إسماعيل.

جواب:

لا شكّ أنّ النبى صلى الله عليه و آله إنّما بعث لكافّه الناس إلى يوم القيامه، فقد اعتبره القرآن الكريم خاتم الأنبياء(۱)، و منذر من بلغ(۲). فما الذى حدث ليدعو إبراهيم بأن يكون النبى المبعوث من ذريّه إسماعيل لتزكيه و تعليم طائفه من ذريّتهما؟ فإبراهيم عليه السلام يعلم بأنّ رسول اللّه محمّد المصطفى صلى الله عليه و آله سيبعث بالرساله، و أنّه من ذريّته و هو خاتم الأنبياء، و دينه ناسخ لكافّه الشرائع و مكمّل لكافّه الأديان، و أنّه سيصبح إماماً للبشريه جمعاء، و هذه ليست من الامور التى لا يعرفها إبراهيم عليه السلام، فالقرآن

۱- سوره الأحزاب: الآيه ۴۰.

۲- سوره الأنعام: الآيه ۱۹.

یصرّح بأنّ موسی و عیسی علیهما السلام یعلمان بأنّه النبی الخاتم، و هذا ما تشهد به سائر الکُتب السماویه، بل أبعد من هذا هو أنّ الامم الماضیه- و بغضّ النظر عن الأغراض- تعلم بوضوح کافّه خصائص آخر قائد للعالم، فلِمَ کانت هذه الدعوه من إبراهیم و إسماعیل؟ الجواب علی هذا السؤال هو ما أوردناه سابقاً من أنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا الله أن یبعث نبیاً من ذریّتهما، و أن یقوم هذا المبعوث بتربیه و تزکیه طائفه لیبلغ بها السموّ و الکمال الذی یؤهّلها لزعامه الأُمّه الإسلامیه، و علیه فقد بلورا و أسّسا مبدأ الإمامه، و سألا تحقیق و تفعیل هذا المبدأ الحیوی من أجل الزعامه الإسلامیّه. و بناءً علی ما تقدّم لم یکن هناک ما یستدعی لأن یکون هذا المبعوث لطائفه معیّنه، بل کان ذلک یستدعی أن یکون مبعوثاً للعالم کافّه، یکون من ذریّتهما، و أن یعدّ طائفه معیّنه من تلک الذرّیه لبعض الأهداف و الغایات العلیا السامیه. و بعباره اخری: فإنّ الدعوه کانت لجعل النبوّه و الإمامه فی ذریّه بنی هاشم، و هی فی ذات الوقت تفید کون النبوّه و الإمامه زعامه عالمیه إلی الأبد. جدیر بالذکر أنّ دعوه إبراهیم علیه السلام لیست جدیده، فقد سأل اللّه بشأن منصب الإمامه فی ذریّته لما استکمل شرائط الإمامه و بشّره سبحانه: إِنِّی جاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِماماً، فردّ اللّه سبحانه هذا المنصب عمّن لا یستحقّه من تلک الذریّه لا یَنالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ(۱). حیث استثنی سبحانه الظلمه من النهوض بهذه المسئولیه العظیمه.

حدیث مع صاحب تفسیر المنار:

أعتقد أنّ صاحب «تفسیر المنار» قد التفت إلی ذلک الأمر المهمّ فی الآیات

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۴.

الشریفه و دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام، فهو یستند فی فهمه للقرآن إلی ظواهر الألفاظ و خصائص الکلمات، إلّا أنّ روح التعصّب إذا استولت علی عالم تدفعه إلی ما یأباه الذوق السلیم و الطبع القویم، بحیث أخذ یتخبّط تخبط عشواء لیموّه علی الحقائق التی انطوت علیها الآیه الکریمه. فقد علّق صاحب تفسیر المنار علی عباره «إنّک أنت العزیز الحکیم» بأنّها وردت لتزیل إشکالًا قد یتبادر إلی الأذهان بأنّ دعوه إبراهیم تتنافی و الطبع العربی؛ لأنّ العرب تقولبت بالبداوه و أنست بالغلظه و الخشونه، و علیه فالأقوام العربیه لا تأنس بالعلم و الحکمه، بل هی عدوه للتهذیب و التربیه، فالبداوه العربیه لا تخضع قطّ للنظم الاجتماعیه و هی بعیده عن الحضاره و المدنیه، فطبیعتهم البداوه، و لمّا کان تعلیم الکتاب و الحکمه و تهذیب الأخلاق لا یعنی سوی التسلیم للنظام الاجتماعی و تقبّل الحضاره و المدنیه و التطبّع بالعادات الإنسانیه، فأنّی لإبراهیم أن یدعو اللَّه بأن یبعث محمّداً صلی الله علیه و آله لیعلّم أولئک العرب الکتاب؟ و یعلّمهم الحکمه و یزکّیهم و یهذّب أخلاقهم. فقد حصر صاحب «المنار» هذا السؤال فی زاویه حرجه، ثمّ قال للهرب منه:

نعم، إنّ هذا الوهم وارد لو لم یکن اللَّه عزیزاً و حکیماً، و حیث إنّ إبراهیم علیه السلام یعلم بأنّ اللَّه عزیز و حکیم، فإنّ ذلک الوهم لیس بوارد. أجل، فاللَّه عزیز و حکیم و بیده حلّ جمیع المشاکل، و لیس هنالک من شی ء یمکنه أن یقف حائلًا أمام إرادته، إذن، صحیح أنّ العرب تعادی العلم و الحکمه و المدنیه، إلّا أنّ إبراهیم علیه السلام یعلم بأنّ اللَّه عزیز و حکیم، و علیه فدعوته لیست مستحیله، فللقادر العزیز أن یبلغ بهذه الأُمّه منتهی العلم و التمدّن و یجعلها مستعدّه لحمل أعباء الرساله(۱). کانت هذه بعض العبارات التی ذکرها صاحب المنار بشأن الآیات الکریمه،

۱- تفسیر القرآن الحکیم، الشهیر ب« تفسیر المنار»: ۱/ ۴۶۵- ۴۷۳.

و الحقّ أنّ صاحب المنار قد عمد إلى اسلوب التوريه بما فهمه من الآيات الكريمه، و أعرض عن بيان حقيقه الأمر، كما حاول أن يموّه على المطلب الأساسى أثناء إيراده لذلك الوهم، فقد أدرك مدلول الآيه، إلّا أنّه و بذكره لذلك الوهم قد عدل عن السبيل الصحيح. و لنا أن نسأل صاحب المنار هذا السؤال: هل استنبطت من الآيات أنّ إبراهيم عليه السلام سأل اللَّه أن يبعث محمّداً صلى الله عليه و آله ليعلّم العرب الكتاب و الحكمه و الانصياع للنظم الاجتماعيّه؟ و تريد أن تقول بأنّ الدين الإسلامى ليس ديناً عالميّاً، و لم يبعث محمّد صلى الله عليه و آله إلّا للعرب البدو ليجرّهم إلى المدنيه و الحضاره و الالتزام بالقوانين السماويه للقرآن. و بعباره أُخرى: فإنّك استفدت التعليم العام من الآيه، إلّا أنّك تعتبر هذا العموم مقتصراً على فئه خاصّه من الأُمّه الإسلاميه، و هم العرب البدائيّون؟ فإن كان هذا هو الذى فهمته، كان عليك أن تقرّ بأنّ المراد الأصلى من بعثه محمّد صلى الله عليه و آله هو الاقتصار على تعليم و تزكيه العرب، و بالذات العرب البعيدين عن الحضاره و المدنيه الذين لم يألفوا التعليم و التربيه و يأنسون بالغلظه و الخشونه؛ و هل يمكنك على ضوء هذا الإقرار أن تزعم بأنّ محمّداً صلى الله عليه و آله قد بعث للناس كافّه على مدى التأريخ؟ و إذا زعمت بأنّ هذه الآيات تستهدف تعليم النظم الاجتماعيّه الإسلاميه و تعليم و تزكيه جماعه معينه، دون أن يتنافى هذا الأمر و كون الدين الإسلامى ديناً عالمياً، إلّا أنّ إبراهيم عليه السلام سأل اللَّه ليقوم محمّد صلى الله عليه و آله بتزكيه ذريّته، و ما ذريّته سوى العرب البدو الذين لا يأنسون بالعلم و الحكمه. ففى هذه الحاله لا تكون هذه الآيات بصدد إثبات عالميه الدين المقدّس، بل هى عباره عن دعوه تضمّنت تعليم و تزكيه و إعداد طائفه خاصّه، الأمر الذى أوردناه سابقاً ... إذن، فالدعوه لم تكن بعث رسول من ذريّه إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام إلى طائفه

معیّنه، بل کانت تفید بعث رسول عالمی من ذریّتهما، و یقوم بتعلیم صفوه معیّنه من خاصّه القرآن و أسرار الخلقه، و یبلغ بروحهم الطاهره أقصی درجات السموّ و الطهاره و الکمال. و بناءً علی هذا فإنّنا و إیّاکم نتّفق علی معنی واحد أفادته الآیات الکریمه، و هی أنّ دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام تفید تعلیم النبی صلی الله علیه و آله و تزکیته و إعداده لطائفه خاصّه من ذریّتهما، إلّا أنّنا نختلف بخصوص هذه الطائفه الخاصّه، فنحن نقول بأنّ هذه الطائفه الخاصّه هی الصفوه من بنی هاشم، بینما ذهبتم إلی أنّها العرب البدائیّین المعادین للعلم و المعرفه. فسلکتم إثر ذلک طریقاً مسدوداً، لم یسعکم الخروج منه سوی بتفسیرکم للعزیز الحکیم الذی یفید أنّ اللّه قادر علی أن یبلغ بالعرب البدائیین قمّه التمدّن، و یجعلهم یتناولون العلم و لو کان فی الثریا بعد أن کانوا أعداءً حقیقیّین لهذا العلم، و أخیراً یجعل أخلاقهم إنسانیه ملکوتیه تفیض بالطهر و العفاف. و الآن نسألک هذا السؤال: أیّ دلاله فی الآیات جعلتک تستند إلی هذا المعنی؟

فقد أراد إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أن یُبعث رسول من ذریّتهما و قد بُعث محمّد صلی الله علیه و آله، أو لیس محمّد صلی الله علیه و آله الذی ینتمی إلی ذرّیه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام من بنی هاشم؟ أولم یسأل هذان النبیّان أن یبعث نبی من ذریّتهما؟ رَبَّنا وَ ابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ فإذا کان محمّد صلی الله علیه و آله من بنی هاشم، فهل هناک غیر بنی هاشم مرادون بالضمیر «هم» فی کلمه «منهم»؟ قطعاً لیس لک الّا أن تجیبنا بالإیجاب. و علیه فالنبیّ محمّد صلی الله علیه و آله هاشمی، مبعوث من بنی هاشم، و هذه هی دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام.

سؤال آخر:

إذا سلّمنا بأنّ محمّداً صلی الله علیه و آله قد بعث بدلاله الآیه من بنی هاشم، فمن هم الأفراد

الذین سأل إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أن یقوم هذا النبی الهاشمی بتعلیمهم و تربیتهم؟

فقد صرّح القرآن قائلًا: رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِکَ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ(۱) أو لیست الآیه صریحه بأنّ هذا الرسول الهاشمی منتخب من بین الهاشمیین، أی أنّه یعلم و یزکّی فریقاً منهم؟ و هل من الصواب القول أنّ معنی الآیه هو أن یقوم هذا النبی الهاشمی المبعوث من بنی هاشم بتعلیم و تزکیه عامّه البدو من العرب؟ سنترک الجواب للقُرّاء الأعزاء بعیداً عن التعصّب و اللفّ و الدوران. و علیه: فإنّنا سنخرج صاحب المنار من ذلک الطریق المسدود، فنقول: إنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام سألا اللَّه أن یبعث رسولًا من طائفه من ذریّتهما. و لمّا کانت الطائفه التی بعث منها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هی بنی هاشم، فإنّ المبعوث من هذه الطائفه- بنصّ الآیه- لا بدّ أن یقوم بتعلیم و تزکیه هذه الطائفه، و أمّا الطائفه التی کانت تدور فی ذهنک و التی تستلزم الدعوه الخاصّه لمهمّه خاصّه، لیست إلّا طائفه من بنی هاشم، و لذلک نقول: إنّ آباء محمّد صلی الله علیه و آله قد سألا اللَّه أمرین أساسیین: ظهور رساله النبی العالمی للإسلام فی طائفه من ذرّیتهما، و الإمامه العالمیه للدین فی نفس تلک الطائفه، الإمامه التی یتلقّی الأئمّه علومها علی ید رسول اللَّه و دروسه الخاصّه لینهضوا بزعامه المسلمین إلی الأبد. و علی ضوء ما تقدّم لا یرد ذلک الوهم فی أنّه کیف سأل إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام اللَّه أمراً مشکلًا بل محالًا عادیاً لکی یجاب علیه من خلال عزّه اللَّه و حکمته. و هنا یبرز هذا السؤال: هل نهض النبی صلی الله علیه و آله بوظیفه تزکیه و تعلیم هذه الطائفه المعیّنه؟ و الجواب سیکون بالسلب؛ لأنّ النبی صلی الله علیه و آله مارس وظیفته من أجل تعلیم و تزکیه الجمیع بما فیهم البدو من العرب و العجم و الأُوربیین و غیرهم. و القرآن لم

۱- سوره البقره،: الآیه ۱۲۹.

یصرّح بأنّه معلّم خاص، بل صرّحت الآیات بعمومیّه تعلیمه للجمیع، من قبیل الآیه: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ(۱). فالآیه الکریمه صریحه فی عمومیه تعلیم و تربیه رسول اللَّه للُامّه، و کذلک الآیه الکریمه من سوره الجمعه، رغم أنّها خصّت تعلیم الرسول بالامیّین و عرب مکّه و أُمّ القری، إلّا أنّها أزالت تلک الخصوصیه و منحت ذلک التعلیم بعداً عمومیاً، فقالت: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ* وَ آخَرِینَ مِنْهُمْ لَمَّا یَلْحَقُوا بِهِمْ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ(۲). کما صرّحت الآیه: کَما أَرْسَلْنا فِیکُمْ رَسُولًا مِنْکُمْ یَتْلُوا عَلَیْکُمْ آیاتِنا وَ یُزَکِّیکُمْ وَ یُعَلِّمُکُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُعَلِّمُکُمْ ما لَمْ تَکُونُوا تَعْلَمُونَ(۳). و بناءً علی هذا فالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله معلّم عام للناس کافّه، و لا نرید أن نقول بأنّ التعلیم إنّما یقتصر علی طائفه محدوده هی طائفه من بنی هاشم، بل نقول: إنّ دعوه إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام هی قیام النبی محمّد صلی الله علیه و آله من أجل تربیه و إعداد هذه الصفوه من أهل بیت النبوّه، و هذا ما لم یتحفّظ علیه جمله من مفسّری العامّه التی أوردت فی تفاسیرها لهذه الآیات کلمه «أهل البیت». و قد کان حدیث أبی عمرو الزبیری عن الإمام الصادق علیه السلام الذی أوردناه سابقاً صریحاً فی هذا المعنی. و لا بأس بدراسه سائر الآیات بهذا الخصوص من أجل توضیح المراد بما

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۴.

۲- سوره الجمعه: الآیه ۲- ۳.

۳- سوره البقره: الآیه ۱۵۱.

لا یبقی معه مجال للشکّ، ففی الوقت الذی یعتبر فیه القرآن الکریم تعلیم الکتاب و الحکمه لکافّه الناس، نراه قد صنّف مثل هذا التعلیم لینتقل به من الاختصاص إلی العموم؛ أی أنّه خصّ التزکیه و التعلیم بالأنبیاء و من الأنبیاء إلی طائفه خاصّه و من هذه الطائفه إلی عامّه الناس، و لا یسعنا هُنا إلّا أن نستعرض هذا التصنیف کما صرّح به کتاب اللَّه: ۱- قال اللَّه تعالی بشأن عیسی علیه السلام: وَ یُعَلِّمُهُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ التَّوْراهَ وَ الْإِنْجِیلَ(۱)، و خاطب النبی الأکرم صلی الله علیه و آله قائلًا: وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَیْکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً(۲). فالآیتان الکریمتان و أمثالهما مختصّتان بأنبیاء اللَّه، فاللَّه هو معلم عیسی و محمّد صلی الله علیه و آله، و قد تولّت الذات الإلهیّه المقدّسه تعلیم الأنبیاء الکتاب و الشرائع و أسرار الحکمه، فاللَّه هو المربّی و النبیّ هو التلمیذ و علم الکتاب و الحکمه هی المواد الدراسیه. ۲- قام الأنبیاء فی بعض الأحیان بوظیفه التعلیم الخصوصی، فأعدّوا طائفه من المتخصّصین فی علم الکتاب و الحکمه و تزکیه النفس و تهذیبها، فقد علّم الخضر موسی علیه السلام، کما کان أمیر المؤمنین علیه السلام التلمیذ الممتاز الخاصّ للنبی الأکرم صلی الله علیه و آله، حیث قال: «علّمنی ألف باب»(۳) و قد تتلمّذ هارون علی ید أخیه موسی علیه السلام، کما تتلمّذ الحواریون علی ید عیسی علیه السلام. و أوضح آیه یمکننا الاستشهاد بها بشأن تعلیم النبی الخاصّ لتلامذته و خاصّته من أهله، هی التی نخوض فی بحثها وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ. ۳- أمّا الآیات التی تدلّ علی عمومیه رساله النبی صلی الله علیه و آله و کون التهذیب

۱- سوره آل عمران: الآیه ۴۸.

۲- سوره النساء: الآیه ۱۱۳.

۳- الإرشاد للمفید ۱: ۳۴، إعلام الوری ۱: ۳۱۸، بحار الأنوار ۴۰: ۱۴۴ ح ۵۰.

الأخلاقی و التعلیم و التزکیه عامّه للجمیع، فهی الآیه الثانیه من سوره الجمعه و الآیه ۱۵۱ من سوره البقره و الآیه ۱۶۴ من سوره آل عمران التی ذکرناها سابقاً. فالذی تفیده الآیات الوارده فی هذا الباب هی: ۱- أنّ الأنبیاء تلامذه مدرسه الوحی. ۲- الأنبیاء أساتذه المجتمعات البشریه. ۳- تلامذه الأنبیاء علی قسمین: تلامذه متفوّقون یتعلّمون و یتزکّون مباشره من قبل النبی و تعلیمه الخاصّ، و تلامذه اعتیادیون یتلقّون تعلیم النبی و هدایته و إرشاده العام. ۴- المهمّ فی جمیع هذه المدارس هو تعلیم کتاب اللَّه و الحکمه، فاللَّه یعلّم أنبیاءه کتابه من خلال الوحی کما یعلّمهم أسرار الخلقه و الدین، فیقوم الأنبیاء بتعلیم هذه الأُمور بصوره خاصّه إلی التلامذه المتفوّقین الذین یضاهون الأنبیاء بلطف اللَّه فی إخلاصهم و طاعتهم و تسلیمهم للَّه، کما یقومون بأنفسهم أو بواسطه هؤلاء التلامذه الأکفّاء بتعلیم هذه المواد العلمیه إلی عامّه التلامذه.

إشکال مهمّ:

کان البحث فی أن تستنبط قضیه الإمامه من الکتاب، و قد استشهدنا بالآیات المرتبطه بدعوه إبراهیم علیه السلام علی أنّ مبدأ الإمامه قد طرح منذ زمان إبراهیم علیه السلام، و الشرائط التی ینبغی أن تتوفّر و تکتمل فی الإمام هی الوقوف التام علی کتاب اللَّه و أسرار الدین، و اشتماله علی النفس الزکیه و الروح السامیه، التی لا یشوبها أدنی دنس أو سابقه من شرک و ظلم و رجس أخلاقی و عباده للهوی و الهوس و الخرافات. و قد تمسّکنا- لإثبات هذا الأمر- بذیل الآیه التی قالت: وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ یُزَکِّیهِمْ ... و الحال أنّ هذه الآیه وردت بشأن تعلیم و تزکیه

عامّه المسلمین، و قد ورد فی القرآن قوله: لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ(۱). و بناءً علی هذا فکما یتمتّع الإمام بتعلیم و تزکیه النبی، فإنّ هذا التعلیم و التزکیه یشملان عامّه المسلمین، فأیّ امتیاز للأئمه ورد فی هذه الآیات؟ فکما أنّ النبی معلّمهم و مواده الدراسیه هی الکتاب و الحکمه و التزکیه، فهو معلّم الجمیع و یعلّمهم ذات المواد، فلیس هنالک أیّ مزیّه للأئمّه علی غیرهم، فی أنّهم تلامذه مدرسه الوحی، و أنّ لهم اطّلاعاً و إحاطه بجمیع کتاب اللَّه و أسرار الشریعه و یشتملون علی کافّه الکمالات الإنسانیه، فلو کانوا کذلک، لکان کلّ تلمیذ فی هذه المدرسه کذلک أیضاً؛ لأنّ الآیات لم تثبت سوی کون النبی صلی الله علیه و آله معلّماً لهم بصوره خاصّه و لعامّه الناس بصوره عامّه و کون المواد الدراسیّه نفسها. هذه خلاصه الإشکال الذی قد یقتدح فی ذهن مَن لیس له معرفه بالقرآن الکریم، و هنا لا بدّ من الالتفات إلی أصل القضیه لیتّضح الأمر. فقد سأل إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أمرین مهمّین هما: ۱- بعث نبیٍّ من ذریّتهما من طائفه بنی هاشم. ۲- قیام النبی المبعوث من هذه الطائفه بتعلیم و تزکیه طائفه من أهل بیت النبوّه، بحیث ینهض رسول اللَّه بهذه الوظیفه مُباشره دون واسطه. و بناءً علی هذا فإنّ مثل هذا التعلیم الخاص کان غایه و دعوه إبراهیم و ولده إسماعیل علیهما السلام، و قد أُجیبت دعوتهما، أی قد بعث نبی من هذه الطائفه، کما قام الرسول بوظیفته التعلیمیه مُباشره، و لا تعنی استجابه الدعاء أنّ إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام یریدان فیقوم النبی و یمارس وظیفته التعلیمیّه دون أن یکون للأئمّه من دور فی هذا الأمر، بل معنی استجابه الدعاء هو ظهور أفراد أشدّاء و أزکیاء

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۴.

و عُلماء بكتاب اللَّه و آيات الرحمن، و من ذوى البصائر بفلسفه الدين و أسرار الخليقه. و دليل هذا الظهور أنّهم فى الوقت الذى يعيشون الإخلاص و التسليم، و تنبض قلوبهم بالتوحيد و عشق الحق، فقد كانوا يتضرّعون لأن يظهر مثل هؤلاء الأفراد فى هذه الطائفه يتّصفون بالإخلاص فى العبوديه للَّه، و يعيشون الانقطاع و التسليم للَّه و الطهاره من كلّ رجس و دنس، و عليه: فهذه الطائفه المخلصه كانت تمتلك الاستعداد الروحى، و قد تعلّمت و تزكّت بفضل هذا الاستعداد فى مدرسه الرساله تحت إشراف النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و تعليمه الخاصّ. و لعلّ كلمات أمير المؤمنين على عليه السلام فى نهج البلاغه بشأن كيفيّه ترعرعه فى حضن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و السموّ و الكمال الذى بلغه فى ظلّ العنايه التى أولاها إيّاه النبى صلى الله عليه و آله و منزلته الخاصّه لديه إشاره إلى هذا المعنى، فقد قال عليه السلام: «وضعنى فى حجره و أنا ولد يضمّنى إلى صدره، و يكنفنى إلى فراشه، و يمسّنى جسده و يشمّنى عرفه، و كان يمضغ الشى ء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لى كذبه فى قول، و لا خطله فى فعل. و لقد قرن اللَّه به صلى الله عليه و آله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره. و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امّه، يرفع لى فى كلّ يوم من أخلاقه علماً يأمرنى بالاقتداء به، و لقد كان يجاور فى كلّ سنه بحر فأراه و لا يراه غيرى، و لم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و خديجه و أنا ثالثهما، أرى نور الوحى و الرساله، و أشمّ ريح النبوّه، و لقد سمعت رنّه الشيطان حين نزل الوحى عليه صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول اللَّه ما هذه الرنّه؟ فقال: هذا الشيطان آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبىّ، و لكنّك وزير و إنّك لعلى خير»(۱).

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۴۳۶- ۴۳۷.

فکلمات أمیر المؤمنین علیه السلام تجیب عن کلّ دعوات إبراهیم علیه السلام و توضّح استجابه دعائه. فقد سأل إبراهیم علیه السلام اللّه أن یتصدّی النبی الأکرم صلی الله علیه و آله لتعلیم و تزکیه طائفه من ذریّته، فیقول أمیر المؤمنین علیه السلام: وضعنی فی حجره و أنا ولد یضمّنی إلی صدره، و یکنفنی إلی فراشه و یُمسّنی جسده، و یُشمّنی عَرفه، و کان ... یرفع لی فی کلّ یوم من أخلاقه علماً، و یأمرنی بالاقتداء به، و قد جهد نفسه فی تربیتی و تزکیتی حتّی أصبحت أری ما یری و أسمع ما یسمع، و لم یعد هناک من فارق بیننا سوی فی النبوّه و حقیقه الرساله، فلما رأی ذلک منّی قال صلی الله علیه و آله: إنّک لست بنبیّ، و لکنّک وزیر و إنّک لعلی خیر. فهؤلاء- أی بنی هاشم- هم مفاد الآیه وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ. أمّا سائر الآیات فلیست لها من دلاله علی قیام النبی بمثل هذه الوظیفه تجاه سائر الناس، و ذلک لأنّ سائر الآیات لا تفید أنّ کافّه الناس یملکون استعداداً لتقبّل هذه التعلیمات، أو أنّ النبی صلی الله علیه و آله کان مجبراً علی أساس وظیفته الشخصیّه علی إیصال کافّه الناس إلی تمام مراحل الکمال و تهذیب النفس و أسرار الدین، بل کانت الوظیفه فی أن یلقی النبی صلی الله علیه و آله دروسه العلمیه التربویه، و یحیط الآخرین علماً بالآیات القرآنیه و الأحکام و التعالیم الإسلامیه و الأسرار الدینیه، و لکن هل تبلغ الأُمّه تمام هذه المراحل و تحیط بکافّه أسرار القرآن و تسلّم لتعلیمات محمّد صلی الله علیه و آله و آیات القرآن؟ لم تبحث مثل هذه الأُمور فی الآیات القرآنیه، کلّ ما هنالک هو أنّ القرآن الکریم قد أکّد فی أکثر من آیه أنّ وظیفه النبی صلی الله علیه و آله تجاه الناس لیست بإیصالهم إلی آفاق العلم و التهذیب و الکمال، بل وظیفته إضاءه الطریق و التعریف بمعالم الدین و الطرق التربویه العلمیه، فمن أراد أن یبلغ هذه الحقائق وجب علیه أن یبذل جهده و یستفرغ وسعه فی اتّباع المبادئ الإسلامیه، و من لم یرد فعلی نفسه

لا إِكْراهَ فِی الـدِّینِ قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْـدُ مِنَ الْغَیِّ فَمَنْ یَکْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ یُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْـتَمْسَکَ بِالْعُرْوَهِ الْوُثْقی لَا انْفِصامَ لَها وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ(۱). بل القرآن یؤکّد أنّ وظیفه النبی صلی الله علیه و آله هی بیان الحقائق، و الأُمّه مکلّفه بالتفکیر فی هذه الحقائق و اتّباعها: وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ(۲). و أخیراً فإنّ القرآن لم یأمر النبی صلی الله علیه و آله بحمل الناس بالقوّه علی التعلیم و التهذیب، بل وظیفته الإبلاغ و الإنذار، و وظیفه الأُمّه التدبّر فی التعالیم، فقد صرّحت الآیه قائله: کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ مُبارَکٌ لِیَدَّبَّرُوا آیاتِهِ وَ لِیَتَذَکَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ(۳)، بل سلب القرآن عن النبی صلی الله علیه و آله القیام بهذا الأمر: فَذَکِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَکِّرٌ* لَسْتَ عَلَیْهِمْ بِمُصَیْطِرٍ(۴). و علیه: فالآیات لا تصرّح بأکثر من وظیفه عامّه للنبی صلی الله علیه و آله فی إبلاغ القرآن و الأحکام و سبل التعلیم و التربیه و التزکیه، و الأُمّه مخیّره بین الاتّباع و عدمه. أمّا الآیات التی نحن بصددها و بقرینه أنّ طائفه بنی هاشم بدعاء إبراهیم و إسماعیل علیهما السلام أنّها تمثّل العبودیه و التسلیم المحض للّه، و بقرینه وظیفه النبی بتعلیمهم و تزکیتهم مُباشره دون واسطه، إلی جانب تصریح أمیر المؤمنین علیه السلام بقیام النبی بهذه الوظیفه المهمّه، و بقرینه ما هو أهم من دعاء الأجداد و هو إرساء مقام الإمامه، فإنّ هؤلاء عُرفاء بفنون القرآن، و خبراء بفلسفه الأحکام، و بُصراء بأسرار الکتاب، و علماء بحکمه الخلیقه و الکون، و علیه فإنّنا نستطیع أن نقول بأنّ

۱- سوره البقره: الآیه ۲۵۶.

۲- سوره النحل: الآیه ۴۴.

۳- سوره ص: الآیه ۲۹.

۴- سوره الغاشیه الآیتان ۲۱- ۲۲.

الآیه الکریمه تفید أنّ هؤلاء زُعماء وقاده و فقهاء فی الدین، و عُلماء بتعالیم الإسلام، و خُبراء ببرامج و خطط القرآن، و عُرفاء بالسیاسه و النظم الاجتماعیّه و بکافّه خفایا و مغیبات العالم. فالآیه الشریفه بصدد بیان مقام و شخصیه الإمام و شرائط إمامه المسلمین من وجهه نظر القرآن الکریم. و علیه: فالفارق فی النتیجه هو أنّ النبیّ- المعلّم الأوّل- هو مربّی طائفه من بنی هاشم، و نتیجه هذا الأمر مفیده للغایه و قیّمه، و نفس هذا النبی معلّم لعامّه الناس، إلّا أنّ نتیجه هذا الأمر تعتمد علی نفس المسلمین، و معلوم أنّ توقّع النبی من الطائفه الأُولی لا یمکن أن یکون کتوقّعه من عامّه الناس أبداً. و هذا ما أشار إلیه أمیر المؤمنین علی علیه السلام إذ قال: «لا یُقاس بآل محمّد صلی الله علیه و آله من هذه الأُمّه أحد، و لا یُسوّی بهم من جرت نعمتهم علیه أبداً، هم أساس الدین و عماد الیقین، إلیهم یفی ء الغالی، و بهم یلحق التالی، و لهم خصائص حقّ الولایه، و فیهم الوصیه و الوراثه»(۱). و قال علیه السلام: «آل النبی علیه الصلاه و السّلام موضع سرّه و لجأ أمره و عیبه علمه و موئل حکمه و کهوف کتبه و حبال دینه، بهم أقام انحناء ظهره و أذهب ارتعاد فرائصه»(۲).

فقول أمیر المؤمنین علیه السلام یفید أن لیس هنالک سوی أهل البیت الذین لهم الإحاطه بالدین، و هم عیبه علم رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و ملاذ المسلمین فی النوائب و المصائب، و هذا دلیل علی صحّه ما أوردناه سابقاً بشأن الآیات التی صرّحت بهذا الأمر، حیث أثبتنا حینها أنّ الأئمّه علیهم السلام و بفضل التعلیم المُباشر لرسول اللّه صلی الله علیه و آله لهم معرفه و اطّلاع کامل علی جمیع أسرار القرآن و کافّه شئون الإسلام و الحوادث الغیبیه و الخفایا الکونیه، کما یؤکّد علی أنّ تعلیمات النبی و إن کانت عامّه

۱- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۸۲- ۸۳.

۲- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۸۲- ۸۳.

و للمسلمين أن يغترفوا من هذه العلوم و المعارف القرآنيه و الأسرار الدينيه، غير أنّه لا يمكن مقارنتهم قط بآل محمّد صلى الله عليه و آله، فهم معدن العلم و الحكمه، و إليهم يفى ء الغالى و بهم يلحق التالى، و لا يستند أحد إلى علمه بشأن الدين إلّا أن يخرج عن الاعتدال أو يتخلّف عن قافله المسلمين، و بناءً على هذا فالإشكال السابق الذى يُطرح بشأن مزيه الأئمّه عليهم السلام ليس بوارد، حيث دلّتنا الآيات الكريمه على فضلهم و سبب ترجيحهم.

فهرس الكتاب إلى هنا:

ما مرّ معنا لحد الآن بعض الأُسس المتينه فى الإمامه، نشير إلى فهرسها بصوره مختصره: ۱- الدين الإسلامى دين خالد و على هذا الدين أن يعتمد السبل التى من شأنها الإبقاء على أبديّته. ۲- يقتضى حكم العقل أن يوفّر كلّ ذى هدف إذا أراد لهدفه الإتقان كافّه العلل و الأسباب التى تؤثّر فى تحقيق الهدف و ثباته، و لمّا أراد الحقّ الخلود للدين الإسلامى فبحكم العقل قد أعدّ موجباته، و بخلافه سينتقض الغرض، و تتصدّع عرى الدين و اسس الإسلام. ۳- لقد تكفّل الحقّ بنصب الأئمّه على ضوء الآيات القرآنيه و الأخبار التى صرّحت بهذا الأمر، بغيه الحيلوله دون فناء الدين و بقاء كلمه التوحيد، و إعداد العناصر و الأفراد الذين بلغوا قمّه الكمال الإنسانى و الذين يعدّون الخلق إلى العالم الأُخروى الأبدى. ۴- الأئمّه على ضوء تصريح و نصّ رسول اللّه هم اثنا عشر، و قد أشرنا سابقاً إلى هذا الأمر، و سيأتى تفصيله فى المجلد الثانى من الكتاب.

۵- لأئمّه الإسلام وظيفه فی زعامه الأُمّه و هدايتها، و هدفهم إقامه النظام الاجتماعی علی ضوء القرآن و السنّه النبويّه. ۶- إمامه أئمّه الإسلام خالده أبديّه. ۷- واجب الأُمّه تجاه هؤلاء الأئمّه هو الانقياد و الطاعه و التسليم، و ذلک بفضل مزاياهم فی کافّه شئون الزعامه و الإمامه. ۸- الإمام کما يصفه أمير المؤمنين و الإمام الحسين عليهما السلام من يقوم للّه بهذه الوظيفه، و يعمل بالعدل و القسط و الانتصار للمظلوم و إنقاذ الضعفاء و إعمار البلاد و ضمان حقوق الأفراد، و إحياء معالم الدين و سنن القرآن، و عدم الاغترار بالدنيا و زخارفها. و نخوض الآن فی شرائط الإمامه رغم اتّضاح هذا الأمر من خلال الأبحاث السابقه، و لکن قبل الدخول فی تفاصيل هذا الأمر، لا بدّ من التعرّض إلی:

سؤال يثير الأسف:

لقد ذکرتم بأنّ القرآن الکريم أشار إلی مکانه و منزله الإمام، و أنّه يستند فی تشکيله للحکومه إلی القرآن الذی يعتبر هو الدستور، و قلتم بأنّ القرآن يری الأئمّه هم زعماء الأُمّه الذين يقيمون حکم اللّه و يعملون علی إحقاق حقوق الأُمّه و إعمار البلاد، و قلتم و قلتم ... و هنا يرد هذا السؤال الذی يثير الأسی و الأسف، فإذا کان الإمام بهذه المنزله التی رسمها القرآن و حدّد معالمها، لِمَ لم يصبح الأئمّه الأطهار زُعماء للُامّه؟ و إذا کانت وظيفه الإمام تکمن فی القيام من أجل ضمان مصالح المجتمع و بسط العدل و القسط فی ربوع البلاد، لما ذا لم ينهض أئمّه الإسلام و اعتزلوا الساحه، و لم يتزعّم أحد منهم الحکومه سوی أمير المؤمنين علی عليه السلام؟

أ فلم ينصّبهم اللّه أئمّه؟ و القرآن يدعو لقيام الحکومه الإسلاميه بزعامه هؤلاء

الصفوه! و هل هذا النصب الذی لم یکن له من یشغله و هذه الحکومه التی نهض بها من لیس لها بأهل! أ فلا یدعو هذا الأمر إلی أنّ ذلک النصب و التصریح بزعامه هؤلاء للحکومه کان لغواً و عبثاً؟

الجواب:

هذا السؤال مؤسف، مؤسف فی أنّه لِمَ لم یتزعّم أولیاء اللّه الحکومه، فی حین وقعت بید بنی أُمیّه و بنی العباس! و هنا لا بدّ من القول بأنّ المراد لم یکن حتمیه تزعّم الصفوه للحکومه، بل کان الحدیث فی أنّ القرآن یری أنّ هذه الصفوه هی الجدیره بمقام الإمامه و زعامه الحکومه الإسلامیه. هذا هو مشروع الإسلام و تخطیط القرآن، أمّا المنفّذ لهذا المشروع فهو الأُمّه، الأُمّه کانت موظّفه بإقصاء بنی أُمیّه عن الحکم و الانقیاد لأولیاء اللّه من بنی هاشم، إلّا أنّها لم تفعل و لم تنفّذ الخطّه القرآنیه، کما ولّت ظهرها لسائر أحکام القرآن و تعالیم الإسلام، فهل یعتبر قانون تحریم المسکرات لغواً إذا ما تفشّت هذه المسکرات فی أوساط المجتمع؟ أم أنّ التحریم صائب لکن الأُمّه شقیه، مع ذلک لا بدّ من القول بأنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام قد نهضوا و قاموا و سیأتی الیوم الذی تشکّل فیه حکومه العدل الإلهی العالمیه، و سنترک تفاصیل هذا الأمر إلی المجلد الثانی، لیعلم حینها أنّ الأئمّه علیهم السلام قد نهضوا بالأمر ما استطاعوا إلی ذلک سبیلا، و قد شکّلوا الحکومه الحقّه أو کشفوا للآخرین عن معالمها، و أخیراً رسموا طریق الحقّ حتّی فی حکومه الآخرین ... سنتابع الإجابه عاجلًا.

قبسات من شرائط الإمامه

اشاره

هنالک عدّه أُمور من شأنها کشف النقاب عن شرائط الجهاز الحاکم و النهوض بمهمّه الزعامه و الإمامه مِن قبیل: خلود هذه الزعامه و اعتماد القرآن دستوراً للحکومه الإسلامیه، و إیصال الأُمّه إلی بغیتها و طموحها، و تحقیق أهدافها الإنسانیه العُلیا، و بسط العدل و القسط، و إشاعه مفاهیم الإیمان، و القضاء علی الفتن و المفاسد و الانحرافات، و تحقیق استقلال البلاد، و القیام بکلّ هذه الامور للّه و فی اللّه، و الابتعاد عن زخارف الدنیا و زبرجها و عدم الاغترار بها، و الشفقه و الرأفه بالرعیه، بحیث لا یسلب نمله جلباب شعیره، کما قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام(۱) و الاغتمام و التألّم من الاعتداء علی حقوق المسلمین، إلی جانب ذلک نری ضروره التعمّق فی القرآن الکریم من أجل الوقوف علی هذه الشرائط، و ما أورده علماء الکلام بهذا الشأن.

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۴۹۵.

خلاصه شرائط الإمامه:

۱- العصمه ۲- الأفضلیه و الأرجحیه ۳- عدم الاشتمال علی الظلم و الشرک ۴- العلم التامّ و الإحاطه بالقرآن و الأحکام الإسلامیه ۵- الکرم ۶- الزهد ۷- الحلم ۸- سداد الرأی ۹- الفصاحه ۱۰- الشجاعه ۱۱- المروءه و الشهامه ۱۲- طهاره المولد ۱۳- سلامه البدن و عدم النقص فی الخلقه. هذه نبذه من الصفات التی ینبغی توفّرها فی الإمام، و هناک صفات أُخری یمکن إیجازها فی هذه العباره: «أفضلیته فی جمیع الکمالات النفسیه علی سائر الأفراد و اشتماله علی کافّه الشرائط، و تمتّعه بالسلامه الجسمیه التامّه الخالیه من النقص و العیب».

بحث فی تفاصیل هذه الشرائط:

علل الزعامه: لا تعتبر الزعامه بطبعها أمراً تعاقدیاً و لو تقدّمت جماعه علی أُخری؛ فإنّ هناک عناصر توجب مثل هذا التقدّم، من قبیل التمتّع ببعض المزایا التی

تجعل البعض يتقدّم على البعض الآخر الذى لا يتحلّى بمثل هذه المزايا، الأمر الذى يحتّم على الفاقد اتّباع الواجد و الخضوع له. فلو كان هناك طفل أعقل و أفضل و أرأف و أكفأ من سائر الأطفال؛ فإنّه يلفت نظرهم إليه و يُشار له بالبنان فى محلّته بما يجعله رئيساً لهم فى اللعب مثلًا. و لو كان هناك فى السوق فرد ذو كفاءه و درايه، و كان بعيداً عن الغشّ و التدليس فى معاملاته و ذا أفكار تفيد الآخرين فى التجاره، و يعتمد العفو و الشجاعه و الأخذ بيد الضعفاء و إعانه الفقراء من أهل السوق، فممّا لا شكّ فيه أنّه سيصبح قدوه للآخرين الذين يرون أنفسهم مضطرّين لاتّباعه و اقتفاء أثره، و بالتالى سيحتلّ موقعاً يجعله مرشداً و هادياً لزملائه فى العمل.

و هكذا سائر الموارد. و تصدق هذه القضيه بالنسبه للشرائط التى يرى الإسلام إيجابها لنهوض بعض الأفراد بقياده الامّه. و الذى نريد أن نخلص إليه هو عدم وجود القيود المفروضه من قِبل الإسلام على إشغال هذا المنصب، بل هنالك شرائط مطلوبه يقتضى الطبع السليم و الفطره الطاهره توفّرها فى الإمام، فطبيعه فطره الإنسان تقوده إلى اختيار مثل هؤلاء الأفراد الذين يتمتّعون بهذه المزايا.

سؤال:

يمكن أن يُطرح سؤال، و هو إذا كانت هذه الشرائط متوافره فى شخص فمن الطبيعى على الأُمّه أن تختاره زعيماً و لا ترى لغيره مثل هذا المقام، فكيف اعتبرت- فيما مضى- قضيّه الإمامه انتصابيه، و أثبتَّ أنّ الإمامه من المناصب الإلهيه المرادفه للنبوّه و التى تتعيّن من خلال الوحى؟ فهل هناك من حاجه لهذا النصب الإلهى إذا كانت الشرائط المذكوره متوفّره؟ فإنّه من الطبيعى لواجد هذه الشرائط أن ينتخبه الناس.

الجواب:

أوّلًا: كما قيل سابقاً فإنّ الانتخاب الصائب أمر فرضى، و لا يمكن لهذا الانتخاب أن يتحقّق فى المجتمعات التى يقودها الظلمه الذين يتلاعبون بمقدّرات الأُمّه، و هذا ما لمسناه فى التجربه الإسلاميه التى هبّ فيها الظلمه لحرفها عن مسارها الصحيح. ثانياً: على فرض إمكانيه حدوث الانتخاب الصائب فهناك مشكله عويصه تكمن فى تعذّر تشخيص الأُمّه للفرد الجامع لهذه الشرائط، بل مثل هذا الأمر محال على الأُمّه، بسبب ضعف قدره تشخيصها، و لذلك كانت هذه المهمّه للّه المحيط بكافّه خصائص الأفراد إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ(۱). و الآن لا بدّ أن أنّه نرى هل تعرّض القرآن الكريم لهذه الشرائط المعتبره فى الإمام؟ و على فرض استعراض القرآن لهذه الشرائط، هل اعتبر النجاح و الموفقيّه كامنه فى هذه الشرائط؟ و بعباره أُخرى: هل يحكم القرآن بما تحكم به الفطره بالنسبه لمقام الإمامه و يمضى هذا الحكم، أم يفرض إرادته فى هذا النصب بما لا ينسجم و العقل و الفطره السليمه؟

القرآن و شرائط الإمامه

قلنا- سابقاً- بأنّ إبراهيم عليه السلام قد أصبح إماماً بعد أن اجتاز الاختبارات السبع، و قد تمثّلت مواد الاختبار بامتلاك القدره العميقه من أجل الزعامه و المنطق القوى الاستدلالى و الشجاعه و الزهد و المروءه، و فى مقدّمتها الشجاعه فى مجابهه

۱- سوره غافر: الآيه ۴۴.

الأفكار السائـده القائمه على أساس الجهل و الخرافه، فقد كان إبراهيم عليه السـلام شديداً فى التنمّر للحقّ مضـحّياً فى سبيل اللَّه. كـلّ هـذه الامور أعـدّت إبراهيم عليه السـلام للإمامه، حتّى أفاضـها اللَّه عليه، و عليه فقصّه إبراهيم عليه السـلام قـد ركّزت على شرائط الإمامه، مع ذلك سنحاول دراسه سائر الآيات الوارده بهذا الشأن.

أَ لَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ مِنْ بَعْدِ مُوسی إِذْ قالُوا لِنَبِیٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِکاً نُقاتِلْ فِی سَبِیلِ اللَّهِ قالَ هَلْ عَسَیْتُمْ إِنْ کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا قالُوا وَ ما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِیارِنا وَ أَبْنائِنا فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ. وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً قالُوا أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وَ زادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ. وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ آیَةَ مُلْکِهِ أَنْ یَأْتِیَکُمُ التَّابُوتُ فِیهِ سَکِینَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ بَقِیَّةٌ مِمَّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِکَةُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (سوره البقره: الآیات ۲۴۶- ۲۴۸).

طلب قائد للجيش

تتحدّث هذه الآيات عن قصّه نبى من أنبياء بنى إسرائيل، و طلب أتباعه منه بعث ملك و قائد من أجل استعاده الأراضى السليبه، و نتعرّف فى هذه القصه على شخص باسم طالوت الزعيم المصطفى من قِبل اللَّه، و جالوت الدكتاتور الغاشم، فقد نزح بنو إسرائيل عن وطنهم من جرّاء قهر جالوت و جبروته، و قد تركوا أموالهم و أبناءهم فى قبضه جيش جالوت ليعيشوا بعيدين عن وطنهم، فسألوا نبيّهم أن يبعث لهم قائداً لمقاتله جالوت و استعاده أراضيهم و العوده إلى ديارهم و أبنائهم فاستجاب لهم نبيّهم، فاصطفى لهم اللَّه طالوت قائداً. و لكن لم يصمد للقتال إلّا فئه قليله من تلك الجماعه العظيمه، و أخيراً تمكّنت تلك الفئه القليله بعد الاتّكال على اللَّه و الصبر و الصمود من إلحاق الهزيمه بالعدو و الانتصار عليه. و نحاول الآن تسليط الضوء على هذه الآيات للوقوف على بعض الأُمور: فقد طلبت جماعه عظيمه من نبيّها أن يختار لها قائداً من أجل التخلّص من الأسر و النزوح و خوض معركه مقدّسه (فى سبيل اللَّه) فأراد ذلك النبى أن يعرف

مدی استعدادهم للقِتال، فطرح علیهم هذا السؤال: هل أنتم مستعدّون لخوض القتال إذا کُتب علیکم؟ فأجابوه جمیعاً: و ما لنا ألّا نُقاتل فی سبیل اللّه، بعد أن فقدنا کلّ شی ء!

ملاحظه مهمّه:

لقد استعدّت تلک الجماعه و تأهّبت للقِتال من أجل استعاده وطنهم و تحریره من المحتلّین الظلمه، و قد فوّضوا لنبیّهم اختیار قائد یقودهم. و هنا ورد التعبیر عن هذه المعرکه بالقتال فی سبیل اللّه، و علیه: فإنّ القتال من أجل استقلال البلاد و تطهیرها من دنس الأعداء یعتبر قتالًا فی سبیل اللّه، و لمّا کان الهدف الأصلی فی مثل هذه المعارک إحیاء معالم الأنبیاء و معارف الدین و تحقق کلمه التوحید، فإنّ أبطال هذه المعرکه إنّما یُقاتلون فی سبیل اللّه، و هذا هو سبیل المجد و العظمه و تنظیم شئون المجتمع و تحریره من براثن المستعمرین، أی أنّ المقاتلین و باتّکائهم علی اللّه و القرب منه لا- بدّ أن یکون هدفهم الأصلی هو تقویه الأسس الدینیه و التعالیم الإلهیه؛ و سیضاعف هذا الهدف من قدرتهم القتالیه بما یجعلهم یخرجون منتصرین من تلک المعرکه. و بناءً علی هذا لا ینبغی أن یقتصر دافع القتال علی استعاده الأراضی المحتلّه، و لا بدّ أن یکون الدافع الرئیسی هو القتال فی سبیل اللّه، و هو الدافع الذی یتضمّن الاستقلال و التحریر أیضاً، و بالنتیجه فإنّ مثل هؤلاء المقاتلین سینتصرون و یهزمون الأعداء. إذن، فالاستقلال و النصر و طرد الأعداء لا- یقتصر علی دافع حبّ الوطن فحسب، بل ینبغی أن یکون حبّ اللّه هو الهدف، و الذی تتمکّن البشریه من خلاله تحقیق الانتصارات الباهره و الحصول علی الاستقلال.

طالوت:

لقـد اسـتجاب النبی لطلب قومه، فسـأل اللّه ملکـاً مقتـدراً علیمـاً من أجـل زعامه الجیش فی القتال. فبعث اللّه طالوت ملکاً، فأخبر النبی قومه بـأنّ أمیرهم المنَصَّب من قِبـل اللّه هو طـالوت. أمّـا طـالوت فلم یکن من الطبقه المترفه الرفیعه فی المجتمع، و لم یکن ثریـاً عزیزاً حسب الطرق المُتعـارفه، بـل کـان ینتمی إلی طبقه فقیره معـدمه فی المجتمع، غیر أنّه کـان قویاً لا یُضاهی فی العلم و الشـجاعه، و قد زاده اللّه بسـطه فی العلم و الجسم، إلی جانب خبرته بفنون القِتال. و له قلب سـلیم مملوء بحبّ اللّه، و بالتالی فإنّ طالوت اصطفی من قِبل اللّه من بین تلک الجماعه العظیمه للقیام بهذه الوظیفه الخطیره، و هنا التفت النبی إلی قومه المبعدین عن وطنهم و الذین یئنّون من أسـر نسائهم و فلذات أکبادهم لدی جالوت، و هم یعیشون القلق و الاضطراب من أجل استعاده وطنهم و الإطـاحه بجالوت، فقال لهم: لقـد بعث اللّه لکم طالوت فهبّوا للقتال تحت إمرته. عاده ما تنصاع عامه الناس لمثل هؤلاء القاده، أمّا الطبقه المرفّهه و المتْرَفه الثریه التی تعتقـد بأنّ الثروه تضـفی علیهم جمالًا باطنیاً زائـداً علی جمالهم الظاهری المزیّف، و حیث کـانوا یمتلکون الأـموال فهم یرون أنفسـهم جامعین لکلّ شـروط الکمال، و علیه فهم الـذین ینبغی أن یتزعّموا البلاد و یأخـذون بزمـام الأُمور، و علی الجمیع أن یخضـعوا لإرادتهم و ینصاعوا لأوامرهم، فوقفوا بوجه نبیّهم قائلین: ما ذا یعنی هـذا الاختیار؟ أنّی یکون له الملـک علینـا و لم یؤت سـعه من المـال؟ هو لیس بغنی لیتزعّمنـا و تکون له الإـمره علینا! أو لست إلی جانب زعامتنا یا رسـول اللّه؟ أو لیس رسـاله الأنبیـاء هی دعم الأغنیـاء؟ أ و لیس الـدین من إفرازات البنیه الفکریه للأغنیـاء؟ و قـد انبثقت دعـوته لتأمین منافع و مصالح هذه الطبقه، فکیف تبرّر قضیه

انتخاب طالوت؟ نحن لا نراه لنا زعيماً، و لا نرى له من مقام، و الزعامه و القياده من حقوقنا المسلّمه، فلدينا الثروه و الأموال. هذه هى اللغه التى اعتمدها الأثرياء و الأغنياء فى اعتراضهم على الأمر. فأجابهم نبيّهم قائلًا: أنا رسول اللَّه و لا أنطق إلّا عن الوحى، و قد اختار اللَّه القادر الحكيم طالوتَ لإخلاصه ملكاً عليكم، فكيف ترون أنفسكم أحقّ بالإمامه و الزعامه من أجل خلاص وطنكم و إنقاذه من أيدى الظلمه، و الحال ليس لكم سوى مزيّه فارغه لا- تقوى أن تمنحكم ما تريدون! كيف ترون لباس الزعامه يسعكم و ليس لكم من أفضليه على الآخرين سوى هذه الثروه المزيّفه؟! و هل للثراء من سبيل إلى الزعامه؟! فما العلاقه بين المال و الثروه و زعامه المجتمع! أمّا طالوت فهو جدير بمقام الإمامه و الزعامه، لاشتماله على شرائطها و مقوّماتها، فهو عالم مقتدر ذو بسطه و قدره بدنيه تؤهّله للصمود أمام العدوّ، بل هو أشجع المقاتلين. إنّ إمامه الأُمّه و زعامه الجيش فى الحرب من أجل إحقاق حقوق الضُّعفاء إنّما تتطلّب فرداً عالماً، ملمّاً بفنون القتال، شجاعاً و مقداماً و متماسكاً أمام العدو، قادراً على السيطره على الجيش و تحقيق النصر، و قد جُمعت كلّ هذه الصفات فى طالوت. طالوت الذى يمكنه أن يكون إماماً، بفضل اشتماله على مقوّمات الإمامه، ينبغى أن يكون له الملك حتّى يحقّق الاستقلال، و يستعيد الأراضى السليبه، و يعيد النساء و الأطفال إلى أحضان آبائهم، و يستردّ الأموال و الثروات التى نهبها الأعداء، و هذا هو الغرض من الزعامه و الإمامه، و إذا لم تكن هذه الأُمور متوفّره فى الإمام فأنّى له حفظ استقلال البلاد و سيادتها و وحده أراضيها و دحر العدوّ الطامع؟! فالملك للَّه، يؤتى ملكه من يشاء، و ليس لكلّ فرد التصرّف فى هذا الملك، و هو العالم بمَن يسعه القيام بمهمّه الإمامه و من هو أولى بها من غيره، و ليس بينكم

من هو أولی بها من طالوت. نعم، إنّ اللّه یؤتی ملکه من تعلّقت به مشیئته، و تعلّق المشیئه لیس أمراً اعتباطیاً، فلم تتعلّق مشیئه اللّه بطالوت عبثاً، و ما ذلک إلّا لإخلاصه و علمه الذی جعل اللّه یختاره ملکاً و اماماً علی الناس.

خلاصه هذا البحث:

یمکن خلاصه ما مرّ من الدراسه المفصّله فی الآیه القرآنیه الشریفه:- وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَکُمْ طالُوتَ مَلِکاً قالُوا أَنَّی یَکُونُ لَهُ الْمُلْکُ عَلَیْنا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْکِ مِنْهُ وَ لَمْ یُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمالِ قالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ وَ زادَهُ بَسْطَهً فِی الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ یُؤْتِی مُلْکَهُ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِیمٌ. لم یستجب قوم بنی إسرائیل و خاصّه الملأ منهم لهذا النبیّ کعدم استجابه الغالبیه من الناس لدعوات الأنبیاء علیهم السلام، فاضطرّ ذلک النبی للإتیان بشاهد حیّ لتأیید صحّه قوله، و لیفهم الجمیع بأنّ لطالوت صلاحیه الملک و الإمامه، و لنفهم نحن أیضاً ما هو الشرط الآخر الذی ینبغی توفّره من أجل الإمامه و الشاهد الحیّ هو «التابوت».

التابوت:

وردت کلمه «التابوت» فی هذه القصّه القرآنیه، و الألف و اللام فی الکلمه تفید کون ذلک التابوت معرفه، أی کان معروفاً من قِبل بنی إسرائیل. و الذی نفهمه من القرآن أنّ ذلک التابوت کان یضمّ بعض الودائع- التی من شأنها إشعار بنی إسرائیل بالسکینه- و آثاراً ترکها موسی و هارون علیهما السلام، و یعبّر القرآن عن هذه الصوره بقوله: یَأْتِیَکُمُ التَّابُوتُ فِیهِ سَکِینَهٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ بَقِیَّهٌ مِمَّا تَرَکَ آلُ مُوسی وَ آلُ هارُونَ

. و قبل الخوض فی التفاصیل لا بدّ من القول بأنّ التابوت یعنی الوعاء و الصندوق. فقد ورد فی اللغه أنّ التبوت، کصبور: لغه فی التابوت(۱). و قیل: هو صندوق التوراه من خشب(۲). و أمّا الأُمور التی تستفاد من الآیه فهی: ۱- أنّ ذلک الصندوق کان یضمّ ودائع و أمانات توجب سکینه الإنسان. ۲- کانت تلک الودائع تحمل السکینه بعنایه اللّه و لطفه. ۳- نفهم من مناسبه الحکم و الموضوع- أی الشی ء الذی یؤدّی إلی سکینه بنی إسرائیل- أنّ ذلک الصندوق کان یضمّ بلا شکّ التوراه أو بعض آیاته، لأنّ التوراه التی من شأنها سکن و هدوء بنی إسرائیل. ۴- یفهم من العباره «و بقیه ...» أنّ ذلک الصندوق لم یضمّ التوراه لوحدها، بل کانت هناک الأشیاء التی تناقلتها أیدی أهل موسی و هارون من قبیل عصا موسی و ما شابه ذلک. ۵- أنّ الصندوق قد نهب، و هو الأمر الذی جعل بنی إسرائیل یشعرون بالتذمّر؛ لأنّه کان یرمز لعظمتهم إبّان عصر موسی و هارون علیهما السلام، و واضح أنّ الصندوق قد سلب منهم بسبب عدم کفاءتهم، کما لیس لهم القدره علی إعادته. ۶- کان بنو إسرائیل مطّلعین علی أهمّیه ما یحمل من أسرار. ۷- أنّ لکلِّ مَن یسعه الإتیان به جداره زعامه الأُمّه و قیادتها. و لذلک اعتبر ذلک النبی أنّ أفضل دلیل علی کفاءه طالوت و أهلیته للملک تکمن فی إتیانه بذلک الصندوق، کما أنّ بنی إسرائیل سیقرّون بصلاحیه طالوت و الإذعان بعجزهم و عدم صلاحیتهم إذا ما قام طالوت بتلک الوظیفه الخطیره، و خلاصه ما أوردناه قد ورد فی هذه الآیه الشریفه: وَ قالَ لَهُمْ نَبِیُّهُمْ إِنَّ آیَهَ مُلْکِهِ

۱- تاج العروس ۳: ۲۵.

۲- مجمع البحرین ۱: ۲۳۳.

أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَهٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّهٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَ آلُ هارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَهً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. ثمّ إنّا و قد استفدنا من الآيه الكريمه ما ذكرناه و قلنا: إنّ ظاهر الآيه الشريفه تدلّ على المطلوب، لكن مع غضّ النظر عن ذلك نشير إلى روايه وارده حول تفسير الآيه الشريفه.

حديث أبى بصير:

على بن إبراهيم قال: حدّثنى أبى، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبى، عن هارون بن خارجه، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام قال: «إنّ بنى إسرائيل بعد موت موسى عملوا بالمعاصى و غيّروا دين اللَّه و عتوا عن أمر ربّهم، و كان فيهم نبى يأمرهم و ينهاهم فلم يطيعوه، فسلّط اللَّه عليهم جالوت؛ و هو من القبط، فأذلّهم و قتل رجالهم و أخرجهم من ديارهم و أموالهم و استعبد نساءهم- إلى أن قال- فقال لهم نبيّهم: «إنّ آيه ملكه ...» و كان التابوت الذى أنزل اللَّه على موسى فوضعته فيه امّه و ألقته فى اليمّ، فكان فى بنى إسرائيل معظّماً يتبرّكون به، فلمّا حضرت موسى الوفاه وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آيات النبوّه و أودعه يوشع وصيّه، فلم يزل التابوت بينهم حتّى استخفّوا به، و كان الصبيان يلعبون به فى الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل فى عزّ و شرف ما دام التابوت عندهم، فلمّا عملوا بالمعاصى و استخفّوا بالتابوت رفعه اللَّه عنهم، فلمّا سألوا النبىّ بعث اللَّه تعالى طالوت عليهم ملكاً يُقاتل معهم ردّ اللَّه عليهم التابوت»(۱). و نفهم من هذا الحديث ما يلى: ۱- اهتمّ القرآن الكريم اهتماماً كثيراً بقضيه الإمره و الزعامه، و ليس لأىّ فرد النهوض بهذه المهمّه.

۱- تفسير القمّى ۱: ۸۱- ۸۲، و عنه بحار الأنوار ۱۳: ۴۳۸ ح ۴.

۲- ینبغی أن یکون الزعیم الدینی عالماً و مقتدراً، أی یمتلک العلم و القدره. ۳- لا بدّ أن یکون بصیراً ملمّاً حتّی بفنون القتال. ۴- یجب أن یتمتّع بقدره بدنیه مرموقه. ۵- لا بدّ أن یتحلّی بحنکه الزعامه. ۶- یجب أن یرد میدان الحرب بنفسه إذا اقتضت ذلک مصالح الأُمّه. ۷- لا بدّ أن یکون شجاعاً باسلًا فی الحروب. ۸- یجب أن یحفظ استقلال البلاد و یستأصل جذور الاستعمار. ۹- لا بدّ أن یعید إلی الأذهان أمجاد الماضی التی اعتراها النسیان. و علیه: فخلاصه الشروط التی یراها القرآن الکریم فی منصب الزعامه تتمثّل بالجداره، العلم، القدره، الخبره بأوضاع المجتمع، سلامه الجسم، الإحاطه بفنون القتال، الشجاعه و الإقدام و التدبیر، کما یفهم من الآیات أنّ الزعامه منصب إلهی، و اللّه هو الذی ینصّب الزعیم.

قولنا أم قول المفسّرین؟

نحن نقول بأنّ التابوت کان بید جیش جالوت، و کان باستطاعه طالوت أن یستعیده، و هذه العملیه المعقّده کانت دلیلًا علی صلاحیّته لإمره الجیش و الزعامه، إلّا أنّ القرآن الکریم یقول: یأتیکم التابوت. أ و لیست هذه العباره تؤیّد تلک الطائفه من المفسّرین التی قالت بأنّ التابوت قد رفع إلی السماء و إنّ رجوعه من السماء معجزه تبیّن صحّه قول النبی بشأن إمره طالوت؟ فقد جاء التابوت و رآه بنو إسرائیل فأذعنوا لزعامه طالوت و تأهّبوا للقتال، و هلّا کانت عباره «و تحمله الملائکه» تؤیّد أقوال المفسّرین؟

الجواب:

یبدو أنّ هذا القول لیس بتام- و اللّه أعلم- لأنّ عباره «یأتیکم التابوت» «التابوت» فاعل للفعل «یأتی» دلیل علی أنّ القوم کانوا منزعجین جدّاً من فقدان التابوت الذی یحتوی آیات المجد و العظمه، و أنّهم کانوا یتطلّعون إلی الظفر به ثانیه.

و جمله «یأتیکم التابوت» تشعر بأنّ نبیّهم قد بشّرهم بعوده التابوت، حیث قال لهم: «یأتیکم التابوت فیه سکینه من ربّکم» و هذا وعد من نبیّهم لیس أکثر، أمّا القطعی فهو قول النبی الذی یستند إلی کفاءه طالوت بحیث قال: إنّ التابوت یأتیکم، و هو کاشف عن مدی جداره و أهلیه طالوت، و هو الأمر الذی ینسجم و الدلاله علی زعامته، و إلّا فإنّ مجی ء التابوت من السماء لیس له من علاقه بکفاءه طالوت من قریب أو بعید، بل هو دلیل علی صدق نبیّ بنی إسرائیل، بینما نعلم أنّهم طالبوه بآیه بحقّ طالوت، لا آیه تثبت صحّه قوله. فالآیه وارده بشأن مَن یستعید التابوت. و بناءً علی هذا فإنّ العباره «یأتیکم التابوت» وعد قطعی باسترداد التابوت من قبل طالوت الجدیر بهذه المهمّه، و الآیه اللاحقه تکشف أنّ هذا الأمل هو الذی دفعهم لقبول إمرته و التأهّب للقتال، و لذلک صدّر القرآن الجمله اللاحقه بالفاء «فلمّا فصل طالوت»، أی أنّهم استعدّوا لاسترداده علی ضوء ذلک الأمل. و قد نسب شیخ الطائفه- و هو أحد جهابذه الفقهاء و المحقّقین و المفسّرین- فی تفسیره المعروف «التبیان» هذا المعنی إلی ابن عباس، کما نقل عن الإمام الصادق علیه السلام فقال: «و قیل: إنّ التابوت کان فی أیدی أعداء بنی إسرائیل من العمالقه الذین غلبوهم علیه علی قول ابن عباس و وهب، و روی ذلک عن أبی عبد اللّه علیه السلام»(۱).

۱- التبیان فی تفسیر القرآن ۲: ۲۹۲.

و لا ـ ينبغى أن يفهم من كلمه «و روى» التى أوردها الشيخ فى الروايه عن الصادق عليه السلام توحى بعدم الوثوق بها؛ لأنّ كلّ من له معرفه بتفسير التبيان، يعلم أنّ عصر الشيخ رحمه الله كان يقتضى مثل هذه التعبيرات فى الروايات المعتبره، فقد كان يحتاط و يفهم الآخرين بعدم انطواء تفسيره على التعصّب، و لذلك كان يتعرّض فى تفسيره إلى أقوال العامّه و يحاكمها بأُسلوب علمى رصين بعيداً عن التعصّب. أمّا الروايه الأُخرى التى تؤيّد ذلك، فما ورد فى تفسير نور الثقلين عن عيون الأخبار، أنّ شامياً قد سأل أمير المؤمنين على عليه السلام فى مسجد الكوفه عدّه أسئله و منها: «يا أمير المؤمنين أخبرنى عن يوم الأربعاء و تطيّرنا منه و ثقله و أىّ أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء فى الشهر و هو المحاق، و فيه قتل قابيل هابيل أخاه- إلى أن قال:- و يوم الأربعاء أخذت العمالقه التابوت(۱). فالروايه واضحه بأنّ التابوت كان بيد العمالقه(۲)، إلّا أنّه كان فى السماء و استعاده طالوت.

زبده الكلام:

اتّضح من هذه الآيات- مع الأخذ بنظر الاعتبار المؤيّدات و الروايات- أنّ الزعامه من وجهه نظر القرآن قائمه على أساس بعض الشرائط، فالزعيم لا بدّ أن يمتلك العلم و التجارب المريره فى الحياه، لا بدّ أن يكون ذا قدره بدنيه تؤهّله لإداره

۱- تفسير نور الثقلين ۲: ۳۷۴، نقلًا عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ۱: ۲۴۷.

۲- نتيجه التحقيقات التى أوردناها تفيد بما لا يقبل الشك أنّ التابوت كان بيد العمالقه و جلاوزه جالوت الطاغى، و لعلّه يقال: لم يأت طالوت بالتابوت، بل كان ذلك آيه وقعت قبل التأهّب للقتال و دليل من أجل تقبّل إمره طالوت، أى أنّ اللَّه جعل الإتيان بالتابوت آيه لزعامه و إمره طالوت حتّى تنصاع الأُمّه لأوامره، و ربّما كانت علاقه الحكم بالموضوع تتفق و هذا الأمر، و ذلك لأنّه ما لم يكن هناك اطمئنان لزعامه طالوت، سوف لن يكون هناك تأهّب للقتال، و عليه فمن الضرورى حصول هذه الآيه ابتداء، و هذا لا يتنافى و عظمه التابوت من وجهه نظر بنى إسرائيل، و لا يخدش المراد بقضيه الإمامه استناداً للآيات الشريفه.

شئون الحکومه و الحفاظ علی استقلال البلاد، و ما إلی ذلک من الشرائط و المقومات التی ذکرناها کراراً و مراراً. و لکن قد یبرز هنا هذا السؤال: سؤال: أوّلًا: لقد ذکر القرآن الکریم هذه الشرائط بالنسبه للقیاده العسکریه، أی أنّ قائد الجیش ینبغی أن یکون صاحب رأی سدید و مقتدر و ذا قوّه بدنیّه و عالماً بفنون القتال. و لیس فی هذه الشرائط ما یدعو للغرابه، فجمیع العُقلاء و المفکّرین یتفقون علی هذا الأمر، إلّا أنّ البحث کان فی الإمامه. فکیف یستدلّ علیها بهذه الآیات؟ ثانیاً: القصّه وارده فی بنی إسرائیل و زعامه طالوت فی ذلک الزمان، فکیف یمکن تعمیمها لتشمل زعماء الإسلام فی أنّه لا بدّ أن یکونوا جامعین لهذه الشرائط؟

و إلّا للزم من ذلک أن نقول بکلّ شرط إلهی ورد فی زعامه موسی و أمثاله، بالنسبه لزعماء و أئمّه الإسلام! جواب: یمکن طرح هذا السؤال بصیغتین: ۱- هل أنّ شرائط الإمامه فی بنی إسرائیل ذاتها فی الإسلام، و کلّ شرط للزعامه فی بنی إسرائیل لا بدّ أن نراه شرطاً فی الإسلام أیضاً؟ ۲- تنطوی إمره الجیش علی بعض الشرائط الطبیعیه و العقلائیه، و هذا ما أشارت إلیه الآیات الکریمه، فهل الإمامه کذلک فی أنّها تتوقّف علی الموازین العُقلائیه و الطبیعیه؟ أم أنّ تلک القیود مختصّه بقائد الجیش، فمثلًا قائد الجیش لا بدّ

أن يكون ذا قدره بدنيه و إحاطه بفنون الحرب و القتال، فلم يكن طالوت على ضوء الآيه أكثر من قائد للجيش. للردّ على السؤال الأوّل نقول: النقطه الأُولى: أنّ أُصول الأديان واحده من حيث البنيه العقائديه، و ليس هنالك من دين ناسخ لآخر من هذه الناحيه، فنسخ أُصول الدين ليس بمعقول، و لمّا كان الكلام عن النسخ، لا بأس ببحث هذه المسأله لتتّضح حقيقه الموضوع. النسخ: النسخ يعنى إزاله الشى ء و استبداله بآخر بحيث يحلّ الثانى بدل الأوّل، فالعرب تقول: «نسخت الشمس الظلّ» و «نسخ الشيب الشباب»(۱). و عليه فهناك أمران معتبران فى مفهوم النسخ إلى جانب إزاله المنسوخ، و هما: ۱) اعتبار ما يحلّ محلّ المنسوخ. ۲) اعتبار النقل و التبديل. و يؤيّد ما ذهبنا إليه استعمال كلمه «المناسخه» فى باب الإرث، فكلّما مات وارث و حلّ محلّه وارث آخر، أو مات هذا الثانى و حلّ مكانه ثالث استعملت لفظه المناسخه بهذا الشأن، و نلاحظ هنا بأنّ وارثاً قد خلّف وارثاً آخر، و قد حدث انتقال و تبديل فى الإرث من يد إلى أُخرى. و قد عبّر القرآن بالتبديل عن نسخه بعض الأحكام و الآيات، فقد قالت الآيه الشريفه: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَهً مَكانَ آيَهٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ(۲). فالآيه الثانيه تزيل الاولى و تحلّ محلّها، و هذا هو النسخ.

۱- انظر التبيان فى تفسير القرآن ۱: ۳۹۳، مجمع البيان ۱: ۳۰۰.

۲- سوره النحل: الآيه ۱۰۱.

و على كلّ حال، فى القرآن الكريم آيات ناسخه لآيات أُخرى، و الآيه المنسوخه باقيه على حالها مدوّنه فى القرآن، و النسخ لا يعنى إزاله صورتها من كونها آيه، فهى باقيه و محفوظه من حيث النزول، و لكن لم يعدّ لها من أثر، و فقدان الشى ء لأثره يعنى فى الواقع زواله و تساوى وجوده و عدمه ... إذن، فالنسخ لا يعنى شيئاً أكثر من زوال الأثر. و بعباره أوضح: فإنّ نسخ الآيه هو عباره عن إزاله حكمها و استبداله بحكم الآيه الثانيه «الناسخه». و نخلص من هذا إلى أنّ نسخ الآيات إنّما يقتصر على الآيات المتعلّقه بالأحكام، و لا يسرى هذا النسخ أبداً إلى الآيات التى تتعرّض إلى الحقائق المسلّمه التى لا يعتريها التغيير. أ فيمكن تصوّر النسخ بحقّ الآيه الشريفه اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ؟ أو يمكن زوال الحقائق الثابته و الدائمه؟ و لمّا كانت الأديان واحده فى العقائد، و قد نهض جميع الأنبياء بمهمّه هدايه الامم لهذه العقائد، فإنّه يمكننا القول بأنّه ليس هنالك من دين ينسخ آخر من حيث الاصول العقائديه، فالاعتقاد باللَّه و الثواب و العقاب و الحساب و صفات الجمال و الكمال إنّما هى من الحقائق المسلّمه التى تأبى التغيير و الزوال، و لذلك فإنّ النسخ إنّما يكون فى الشرائع. و بعباره أُخرى: لا بدّ من الإذعان بأنّ الدين الإسلامى ليس بناسخ لنبوّه و رساله من كان قبله من الأنبياء، بل القرآن ناسخ لشرائع سائر الأنبياء، فهذا القرآن لا ينفكّ يؤكّد أنّ الكتاب السماوى الإسلامى مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ(۱) مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ(۲). مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ(۳). مُصَدِّقاً لِما مَعَكُمْ(۴)

۱- سوره البقره: الآيه ۸۹، ۱۰۱.

۲- سوره آل عمران: الآيه ۸۱.

۳- سوره الأنعام: الآيه ۹۲.

۴- سوره البقره: الآيه ۴۱؛ سوره النساء: الآيه ۴۷.

مُصَدِّقاً لِما مَعَهُمْ(۱)، وَ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراهِ ...(۲). و لكن لا ينبغى أن نغفل عن قضيه، و هى أنّ كلّ ما يقوله موسى و عيسى عليهما السلام بالنسبه للّه، يقوله خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله، فالجميع يصفون اللّه بأنّه حكيم و قدير و عليم و سميع، غير أنّ أُسلوب الأنبياء يختلف فى معرفه حقيقه كون اللّه حكيماً و سميعاً و عليماً و ... لأنّ أتباع الرسل يختلفون فى درجه الفهم و الإدراك، بل حتّى الأنبياء يختلفون فى مدى إدراكهم لجميع المغيّبات تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ(۳). فالأُمّه الإسلاميه قد بلغت آخر مراحل الفهم و الإدراك، و من الطبيعى أن تكون الحقائق التى تطرح على هذه الأُمّه متعذّره الفهم و الإدراك على الامم الماضيه، و أنّ الحقائق و الإدراكات و الأنوار التى أفاضها اللّه على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله لا يسع سائر الأنبياء تحمّلها و استيعابها. فالحقائق فى كافّه الأديان واحده، غير أنّ طرق التعرّف عليها متشعّبه، و كلّما تطوّرت العلوم و المعارف تعمّق هذا الفهم و الإدراك بالنسبه للحقائق، و لذلك يمكن القول بأنّ محمّداً صلى الله عليه و آله قد سلك آخر مراحل التوحيد، و للُامّه الإسلاميه فقط و بفضل التطوّر العلمى الذى تشهده أن تبلغ ما تشاء من الدرجات، فقد فتح الإسلام الباب على مصراعيه أمام أتباعه، و لا يسعنا هُنا أن نخوض أكثر فى هذا المجال. و على كلّ حال تتفق كافّه الأديان فى أُصولها العقائديه، و ليس هناك من نسخ بهذا الخصوص. و الإمامه و الزعامه جزء من أُصول الأديان، حتّى أنّنا قلنا بأنّ الأنبياء إنّما

۱- سوره البقره: الآيه ۹۱.

۲- سوره المائده: الآيه ۴۶.

۳- سوره البقره: الآيه ۲۵۳.

یحرزون مقام الإمامه بعـد اجتیازهم لعـدد من الاختبارات و التمحیصات. و علیه: فالشـرائط التی ینبغی توفّرها فی الإمام إن کانت معتبره فی زعامه بنی إسرائیل فهی بطریق أولی واجبه التطبیق فی الإسلام. بعباره اخری: إذا کان طالوت ینبغی أن ینصّب من قِبل اللَّه قائـداً للجیش فقط، فإنّ أمیر المؤمنین علیه السـلام الحاکم المطلق لعالم الإسـلام یجب أن ینصّب أیضاً من جانب اللَّه و یقوم بوظیفه الإمامه، و إن کان شـرط إمره طالوت یتمثّل بالقدره العلمیه، و الخبره بفنون الحرب و القتال و الکفاءه و الجداره، و حفظ اسـتقلال بعض المناطق، فلا بـدّ أن تتوفّر قمّه هذه الشـرائط فی أمیر المؤمنین علی علیه السـلام، و لا یمکن القول بأنّ الإسـلام لا یلتفت لهـذه الأُمور بـدون اقتضاء و لا شـرط، و أنّ إمام المسـلمین سواءً کان عالماً أم لم یکن، کفوءاً أم لیس بکف ء و ما إلی ذلـک لیست قضـیه مهمّه من وجهه نظر الإسـلام الـذی یمثّـل آخر مراحل السـیر التکاملی للبشـریه. و علیه: فقـد اتّضـحت النقطه الأُولی من الإجابه علی السؤال الأوّل، مع ذلک نواصل طرح النقطه الثانیه لیتّضح الأمر أکثر.

النقطه الثانیه:

یمکن تنـاول النقطه الثانیه من زاویتین: زاویه عمومیه و تحقیقیه بشأن قصـص الأُمم المـذکوره فی القرآن الکریم، و الهـدف من هذا البحث هو التحقیق بشأن علّه سرد قصص الأُمم السالفه فی القرآن الکریم، و الوقوف علی الهدف العقلائی و المراد الأساسی الذی أراده الکتاب السماوی من طرح هذه القصص. و الزاویه الثانیه فی دراسه القصّه التی نحن بصددها و قصه طالوت و بنی

إسرائيل. و بالطبع فإنّ النتائج التى توصّلنا إليها فى الزوايه الأُولى تعتبر مفيده للحصول على النتائج من الزاويه الثانيه، و كذلك فى الإجابه على السؤال الأوّل. أمّا إذا أردنا أن نخوض بالتفصيل فى العنوان الأوّل فإنّ ذلك سيبعدنا عن البحث الأصلى «شرائط الإمامه من وجهه نظر القرآن» و لذلك سنمرّ سريعاً على العنوان الأوّل.

العنوان الأوّل: قصص الأنبياء و الامم الماضيه:

اشاره

لقد وردت قصص الأنبياء كثيراً فى القرآن الكريم، و قد تكرّر بعضها، و لكن أصل القصّه لم يتكرّر فى الحقيقه، بل كان الاستنتاج متنوّع فى نقل الحوادث فى مختلف الموارد. و لا بدّ من القول بأنّ تعليم الأُمّه الإسلاميه كان من الأهداف الأصيله البارزه فى التعرّض لتأريخ الماضين، تعليمهم السبل التى تؤدّى إلى السعاده و الشقاء، و إلفات النظر إلى ردود الفعل التى أبدتها الأُمم السالفه إزاء دعوه الأنبياء و النتائج التى ترتبت على كلّ ردّ فعل، إلى جانب تنبيه الأُمّه الإسلاميه إلى الاصول الروحيه و أُسلوب تفكير سائر الامم، و لا سيّما أهل الكتاب و أوضاعهم الأخلاقيه. فمثلًا تعرّضت عدّه آيات من سوره البقره إلى أوضاع أهل الكتاب و لا سيّما اليهود، ليقف المسلمون على طبيعه أخلاقهم و اسلوب تفكيرهم و مدى العداء الذى يكنّونه للإسلام و القرآن، فلا يتّخذونهم أولياء و يظهرون لهم المودّه أبداً، بل يكونوا على حذر من هذه الأُمّه العنيده و الخطره. و على هذا فإنّ هناك تعليمات تجاه نوع من الأُصول المسلّمه التى تأبى التبدّل و التغيّر، و إلّا لو كانت مرنه يمكن أن تعتريها حاله التغيير، لما كانت من قبيل الأُصول الكلّيه التى ينبغى تعليمها الأُمّه الإسلاميه؛ فهناك حقائق ذات دروس و عبر فى هذه القصص التى من شأنها خلق الإنسان الفاضل، فمثلًا إذا واجهتنا

بعض المبانی المصیریه للإنسان فی قصّه موسی فإنّه لا یمکننا أن نقول بأنّها مختصّه ببنی إسرائیل و الأُمّه الإسلامیه مستثناه من هذا الأمر، و لا یسعنا هنا إلّا أن نشیر إلی بعض هذه المبانی بصوره مختصره و نترک الخوض فی تفاصیلها إلی أهل التفسیر. ۱- یزعم أحبار الیهود أنّ لهم الجنّه خالصه دون أن ینازعهم أحد فیها، و إن کان و لا بدّ من عذاب النار فهی لن تطالهم سوی أیّام معدوده وَ قالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَیَّاماً مَعْدُودَهً(۱). أمّا القرآن فقد ردّ بمنطق رصین علی هذا الزعم- الذی کان یبدیه المضلّون من أحبار الیهود بهدف التملّص من الإقرار بنبوّه محمّد صلی الله علیه و آله و الإسلام- فرفضه رفضاً قاطعاً و أثبت أنّهم من أصحاب النار و الشقاء الخالد یوم القیامه، و قد أوجز دلیله و برهانه الرصین فی هذه الآیه من سوره البقره: بَلی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَهً وَ أَحاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولئِکَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِیها خالِدُونَ(۲). فهم یغرون الناس و یغلقون علیهم کلّ المنافذ لیفعلوا ما شاءوا فلا خوف علیهم و لا هم یحزنون. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ هؤلاء الناس سیملئون حیاتهم بالأعمال الشائنه و الأفعال التی تسوّد القلب و تنتهی بالإنسان إلی أدنی المراتب الحیوانیه، فهل لمثل هؤلاء الأفراد أن یبلغوا بعد ذلک السموّ الإنسانی؟ و هل لهم أن یتخلّصوا من طبائعهم العدوانیه؟ و هل لمثل هؤلاء الأفراد من حظّ یجعلهم یعیشون الحیاه الأُخرویه الهانئه؟ أم أنّهم سیذوقون وبال أمرهم لیکتبوا علی وجوههم فی النار من جرّاء أعمالهم القبیحه، و هل لهم إلّا الخلود فی النار؟ حقّاً لا یری العقل و الإنصاف لهؤلاء سوی عذاب النار خالدین فیها و بئس المصیر.

۱- سوره البقره: الآیه ۸۰.

۲- سوره البقره: الآیه ۸۱.

و بناءً على هذا البرهان و الاستدلال الواضح فلا تزعموا أيّها اليهود و لا سيّما الأحبار بأنّ مأواكم الجنّه و لن تمسّكم النار إلّا أيّاماً معدوده، و اعلموا أنّ سيرتكم و نهجكم سيجعلكم خالدين فى النار، و هذا ما قدّمته أيديكم فلم يكن فعلكم سوى حرف الناس عن الصراط المُستقيم، و تحريف الآيات و إنكار الحقائق التى أوردتها التوراه، و المتاجره بالدين من أجل ضمان منافعكم و مصالحكم، و تظنّون أنّكم إنّما تنفّرون الناس من محمّد صلى الله عليه و آله لتستمرّوا فى رئاستكم و زعامتكم، و لم تفكّروا بعواقب أفعالكم حتّى رانت السيّئات و أحاطت بقلوبكم، فذوقوا النار التى أوقدتموها بأيديكم خالدين فيها و بئس المصير. إثر تعرّض القرآن لأحبار اليهود، اندفع اليهود ليقيّموا أدلّتهم فى عدم التسليم للقرآن، و أنّ الجنّه خالصه لهم من دون الناس، و أنّهم لن يردوا النار، فما الذى يدعوهم للانصياع لمحمد صلى الله عليه و آله، فجاءهم الردّ القرآنى الحاسم فى أنّ هذا الزعم باطل، و أنّكم تستحقون الخلود فى النار. أمّا أُسلوب الاستدلال الذى ساقه القرآن فقد كان: أنّ الإنسان إذا درج على ارتكاب السيّئات و المعاصى فإنّها تغمسه فى هوى نفسه، بحيث لا تدع له مجالًا للعوده و الكفّ عن الذنوب، فتسيطر الظلمات على قلبه حتّى تغلق كافّه منافذ العلم و العقل فيغرق فى مستنقع من البؤس و الشقاء، هذا هو الاستدلال الذى أقامه القرآن ضدّ أحبار اليهود ليخلص بالتالى إلى أنّ مأواهم النار خالدين فيها. و هنا نقول: هل أنّ هذا الأمر يقتصر على اليهود؟ أم أنّه مبدأ كلّى للبشريه جمعاء؟ لا شكّ أنّ هذا الاستدلال يعدّ مبدأً كلّياً و لا سيّما بالنسبه للأُمّه الإسلاميه، فالمصير الذى لاقاه اليهود سيلقاه كلّ فرد مهما كان موقعه و دينه، إذا أوغل فى الذنوب و قضى عمره فى المعاصى و السيئات، ما لم يتب و يقلع عن تلك السيئات.

نعم، إنّ هـذه المحـاجّه القرآنيه لأحبار اليهود إنّما تهـدف إلى تنبيه المسـلمين، بل كلّ إنسان، إلى أصل مسـلَّم من الأُصول التى تـأبى التغيير، و تنبيه الأُـمّه من أجـل سـلوك السبيـل القويم للفوز بالآـخره و الابتعاد عن سـبل الهلكه. و خلاصه هـذا الأصل: أنّ الإنسان إذا اعتاد الذنوب و لم يلتفت إلى نفسه، و قضى عمره فى الأفعال القبيحه، فلن يكون مصيره سوى النار و الخلود فيها. ۲- كان اليهود يسـعون لإثبات أصاله دينهم و نفى الشـرعيه عن دين النصارى من خلال تشبّثها بإبراهيم عليه السلام، و هذا ما كانت تـدّعيه النصارى أيضاً وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَـىْ ءٍ ...(۱)، فردّت عليهم الآـيه القرآنيه من سوره آل عمران قـائله: يا أَهْـلَ الْكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْراهِيمَ وَ ما أُنْزِلَتِ التَّوْراهُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْـدِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ(۲). و قد أشارت آيه اخرى صراحه إلى مفهوم هـذه الآيه فقالت ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَ لا نَصْـرانِيًّا وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْـلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ(۳). فما الذى يمكن اسـتنباطه من هـذه الآيه؟ نفهم من هذه الآيه أنّ اليهوديّه و النصـرانيّه قد تجاوزت أهداف موسـى و عيسـى، فأتباع موسـى ليسـوا بيهود، كمـا لاـ يمكن لأتبـاع عيسـى أن يكونوا نصـارى؛ لأـنّ إبراهيم مسـلم، لاـ يهودى و لاـ نصـرانى. إذن، فـاليهوديه و النصـرانيه أسماء ابتدعها أهل الكتاب لأنفسهم، و هى تتنافى و التسليم للّه و سلوك الصراط المستقيم، و ما سبيل موسى و عيسى سوى الإخلاص و التسـليم و العبوديه للّه، فقد قال عيسـى عليه السـلام: إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِـراطٌ مُسْتَقِيمٌ(۴). و لا نبالغ إذا قلنا بأنّ الآيه تلمّح إلى شرك اليهود و النصارى،

۱- سوره البقره: الآيه ۱۱۳.

۲- سوره آل عمران: الآيه ۶۵.

۳- سوره آل عمران: الآيه ۶۷.

۴- سوره آل عمران: الآيه ۵۱.

فقد صرّحت قائله وَ لكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَ ما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، و نترك الخوض فى التفاصيل إلى موضع آخر.

النتيجه:

الآيتان المذكورتان تعرّضتا للمحاجّه بين أهل الكتاب: اليهود و النصارى، كما اشترك القرآن فى هذه المحاجّه ليقول: لستم- اليهود و النصارى- تابعين لإبراهيم، و ليس لإبراهيم من ارتباط بكم، فطريق إبراهيم هو الصراط المُستقيم الذى يقود إلى الحقّ، و سبيل إبراهيم هو الإخلاص للَّه، و سبيل إبراهيم لا عوج فيه و لا انحراف، و أخيراً سبيل إبراهيم هو التسليم للَّه و العبوديه له. و عليه: فهاتان الآيتان اللتان تتحدّثان عن محاجّه أهل الكتاب و أوردهما القرآن، إنّما الغرض منهما هو الالتفات إلى أصل مسلَّم أيضاً من قبل المسلمين، بل من قِبل كلّ إنسان. لا شكّ أنّ دعوه إبراهيم عليه السلام أصيله، و الإسلام إنّما واصل دعوته فى عبوديه اللَّه. إذن محور النجاه و الصراط القويم يتمثّل فى سلوك النبىّ العظيم إبراهيم عليه السلام، و المسلمون ينبغى أن يلتفتوا إلى ما أورده القرآن بشأن إبراهيم، و يعلموا بأنّ المسلم هو إبراهيم عليه السلام، فإذا أراد أىّ فرد مسلم أن يكون خليل الرحمن يجب أن يسلم للَّه و لا يرى سواه، و لا يسلك سوى صراطه، و يصرف نفسه عن الدنيا و لا يكترث لزبرجها و زخرفها و أطماعها. كان هذان نموذجين من مئات النماذج التى ذكرها القرآن الكريم ضمن سرده لقصص الماضين على أنّهما من الحقائق المسلّمه التى لا تختصّ بجماعه معينه، بل هى اصول ذات علاقه بمصير البشريه جمعاء، و ذكرها فى القرآن دليل على عدم اقتصارها على شخوص القصّه و أبطالها، بل من أجل لفت انتباه البشريه إليها،

و هی من قبیل المبانی السامیه التی تبلغ بالإنسان السموّ و الکمال. بعباره أوضح: أنّ القرآن عباره عن اصول مسلَّمه، حیث أفرد هذا الکتاب السماوی قسماً منه لدراسه بعض الأُصول العلمیه الواقعیه التی ینبغی أن تبتنی علیها الحیاه الإنسانیّه العقلائیه، غیر أنّ هذه الأُصول قد وردت أحیاناً ضمن سیاق الآیات القرآنیه بصوره مباشره، و أحیاناً اخری وردت ضمن سرد قصص الامم السالفه.

خلاصه الحدیث:

کان السؤال الأوّل هو هل أنّ شرائط الزعامه فی بنی إسرائیل هی ذاتها فی الإسلام، بحیث یجب أن نلتزم فی الزعامه الإسلامیه بکلّ شرط کان معتبراً فی زعامه بنی إسرائیل؟ و قد أجبنا علی هذا السؤال ضمن ذکر نقطتین: ۱- أنّ اصول الأدیان واحده من حیث جذورها العقائدیه و لا یعتریها التغییر أبداً، و لیس للنسخ من سبیل إلیها، و بدوره أقرّها القرآن و لم یبطلها. ۲- وردت أغلب الحقائق القرآنیه مباشره من خلال الآیات القرآنیه التی تلفت نظر المسلمین إلی الاهتمام و الالتزام بها، کما وردت بصوره غیر مباشره من خلال سرد قصص الامم الماضیه.

نتیجه هاتین النقطتین:

تعدّ زعامه الأُمّه فی کافّه الأدیان من الوظائف التی نصّ علیها الحکیم العلیم، و علیه: فهی من اصول الأدیان و شرائطها مؤثّره فی تحقیق و تثبیت أصل الإمامه، و من هنا فإنّ الشروط المذکوره فی زعامه بنی إسرائیل معتبره هی الاخری فی

الإسلام أيضاً، إضافه إلى أنّ هذه الشروط من الحقائق المسلّمه التى لن تفقد أصالتها قط طيله التأريخ البشرى، كما أنّها تأبى الزوال و لا يعتريها التغيير و التبدّل. و نخلص من هذا إلى أنّ الشروط التى تضمّنتها قصّه طالوت بشأن الإمامه و الزعامه، يعتبرها القرآن من الصفات التى ينبغى أن يتّصف بها الزعيم، و بخلافه لا يعدّ زعيماً إسلامياً.

العنوان الثانى لقصه طالوت:

لقد سبقت قصه طالوت بآيتين، حيث إنّ مفاد الآيات الثلاث لفت انتباه المسلمين و حثّهم على القتال فى سبيل اللّه و التعرّض للعناصر التى تجسد النصر و الغلبه فى هذا القتال، و لمّا كان البحث بالتفصيل لهذه الآيات الثلاث ينطوى على نوع من الإطاله و الملل، فقد آلينا على أنفسنا التعرض بصوره مقتضيه لما تضمّنته هذه الآيات من محاور رئيسيّه، ثمّ نعرج بعدها على ذكر الآيات. فقد أكّدت هذه الآيات ثلاثه شروط أساسيه تقود إلى النصر فى خوض غمار الجهاد: الشرط الأوّل: هو الإذعان و الإيمان بأنّ الموت و الحياه بيد القدير سبحانه، فالموت يدركنا و اللّه يقبض أرواحنا، سواء كنّا على الفراش أو فى ساحات الوغى إن كانت هنالك من مصلحه. و إذا شاء لنا البقاء فليس هنالك من موت، فقد تكون ساحه الحرب وادعه أمينه بينما يكون الفراش مميتاً؛ و بناءً على ما تقدّم فإنّ الفرار من الجهاد حرصاً على الحياه يعنى إيكال الفرار إلى أمر خارج عن الإراده و الاختيار، و على هذا الضوء فإنّ المؤمن سوف لن يفر البته من ميدان الحرب و يخوض القتال بعزم راسخ و إراده فولاذيه بعد التوكّل على اللّه و القتال فى سبيله. الشرط الثانى: أنّ الجهاد قائم على أساس الإنفاق و بذل الأموال و الأنفس،

و لاـ تتيسّر مجابهه العدو دون توفير العده و الاستعداد للمنازله، و يتمثّل هذا الاستعداد و التجهيز من خلال إعداد الجنود المضحّين و المسلّحين و تفعيل هذا الاستعداد حيال العدو. الشرط الثالث: و يعدّ أساس الشروط، بل لاـ معنى للشرطين المذكورين دونه، و يتمثّل بالقائد المقتدر و الآمر الكفوء الذى يقود القتال بكلّ بساله مستنداً إلى العلم و البصيره و المعرفه التامّه بأساليب القتال، بغيه تحقيق النصر الخاطف على العدو بأقلّ التضحيات.

الآيات الثلاث:

أمّا الآيات الثلاث فقد وردت فى سوره البقره، و هى:- ۱- أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْياهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ(۱). فالآيه تضمّنت ثلاثه أُمور مهمّه، و هى: الأوّل: إنّ الفرار خشيه من الموت لا يمنع من حلول الأجل. الثانى: إنّ الحياه و الموت بيد اللَّه لا بيد أىّ أحد سواه. الثالث: إنّه لاـ ينبغى أن يضعف الإنسان مخافه الموت؛ لأنّ الحياه و الموت بيد اللَّه، و ليس للفكر من دور إزاء التقدير، و فضل اللَّه و إحسانه هو الفاعل فى حياه الإنسان و موته، فان كان الموت إحساناً فلا مناص منه و العكس صحيح. و عليه: ففى الآيه الكريمه براعه استهلاليه تهدف إلى إعداد المسلمين للجهاد و القتال فى سبيل اللَّه، و من هنا أردفت هذه الآيه بقوله سبحانه: وَ قاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(۲).

۱- سوره البقره: الآيه ۲۴۳.

۲- سوره البقره: الآيه ۲۴۴.

۲- مَنْ ذَا الَّذِی یُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَیُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً کَثِیرَهً وَ اللَّهُ یَقْبِضُ وَ یَبْصُطُ وَ إِلَیْهِ تُرْجَعُونَ(۱).

فالآیه تتابع الحثّ علی القتال «فی سبیل اللَّه» و قد تصدّرت ب «مَن» الاستفهامیه، و کأنّها تتحرّی الرجل الذی ینهض بهذه المسئولیّه الخطیره لیمارسها بنجاح بعد أن یعدّ متطلّباتها. و علیه: فالآیه لیست فی مقام الحثّ علی الإقراض فحسب، فهی تهدف أمراً آخر إلی جانب ذلک، و هو أنّ المقرض هو الإنسان و المقترض هو اللَّه سبحانه، و کأنّ اللَّه مدّ یده إلی الإنسان سائله شیئاً. و من هنا فالذی یخلص من ذکر هذا الأمر فی آیه القتال أنّ الغرض الأصلی من هذا القرض هو أنّ بذل المال و النفس ینشد تحقیق هدف التوحید، و لذلک کان المقترض اللَّه، لأنّ بذل المال و النفس کان فی سبیل اللَّه، و نتیجه ذلک کلمه التوحید، فلو جعل الإنسان کلّ ما یملک وقفاً فی سبیل اللَّه فإنّ ثواب ذلک سیکون عوضاً مطلقاً لا متناهیاً. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ الآیه الشریفه بسیاق الطلب تمثّل أعظم حثّ لإثره المال و النفس فی سبیل اللَّه، و هو الحثّ و الترغیب الذی یغلق علی الإنسان کافّه طرق التعذیر من قبیل المرض و التمارض و الخوف و ما شابه ذلک. و الذی یؤیّد هذا الاستنباط بل دلیله هو أنّ أغلب الآیات التی تحدّثت عن القرضه الحسنه فی السور القرآنیه کالمائده و التغابن و الحدید و المزمّل و غیرها من السور إنّما وردت کامتداد لآیات القتال فی سبیل اللَّه. ۳- آیات قصه طالوت التی شرعت بالآیه: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ ...(۲) و مرّ علینا تفصیلها، و لاحظنا الشرائط التی تضمّنتها الآیات بشأن

۱- سوره البقره: الآیتان ۲۴۵- ۲۴۶.

۲- سوره البقره: الآیتان ۲۴۵- ۲۴۶.

زعامه طالوت.

هذه الآیات الثلاث و هدفها:

قلنا: إنّ هذه الآیات تلفت انتباه المسلمین للقتال «فی سبیل اللّه»، و قلنا: إنّ هذه الآیات التی تختزن النصر فی هذا القتال، و ترشد المسلمین إلی أنّ النصر یتقوّم بثلاثه عناصر: ۱- ضروره عدم خشیه الموت و وجوب الإیمان بأنّ الحیاه و الموت بید اللّه، و علیه: فینبغی القتال و عدم الخوف. ۲- یتطلّب القتال فی سبیل اللّه إعداد القوی و التجهّز و التعاون علی مستوی المال و النفس. ۳- أنّ الشرط الأساسی للنصر هو وجود القائد الکفوء، الذی یستطیع توظیف القوی الإنسانیه و تعبئتها علی الوجه الحسن، و علیه: فقصّه طالوت تکشف النقاب للمسلمین عن حقیقه و واقع، و تری ضروره وجود القائد الجدیر الذی یحقّق النصر للمسلمین، الأمر الذی أفادته قصه طالوت فی إنشاد الإسلام لهذا الزعیم الرشید، القادر، العالم و الماهر لیستبسل المسلمین تحت رایته و یحقّقوا العزّه و الافتخار، و لا تفید الآیه کون الزعیم الإسرائیلی لا بدّ أن یکون زعیماً کفوءاً قط، بل رسمت هذه القصه صوره هذا القائد الکفوء لتلفت نظر المسلمین إلی الشرائط التی تکهّن بها القرآن فی القیاده، و لا نری أنفسنا بعد هذا الإیضاح بحاجه للقول: إنّ الدین الإسلامی لا ینسخ الأُصول المسلَّمه لسائر الأدیان، و حیث لم یکن ناسخاً فإنّ شرائط القیاده و الإمامه و إمره الجیش فی سائر الأدیان قد روعیت فی الإسلام. و أمّا الإجابه علی السؤال الثانی: أنّ إمره الجیش سنخ من الشرائط ... فلا بدّ أن نری هل المراد بالملک فی الآیه الشریفه إماره الجیش فقط، أم أُرید بها معنی أوسع و لا بدّ من التعبیر عنه بالزعیم؟ فسّرنا ذلک فی المباحث السابقه

بـأمير الجيش أحيانـاً و الزعيم أحياناً اخرى، و ذلك أنّهم سألوا ملكاً، و كان هـدفهم فى ذلك السؤال زعامه الجيش و القتال فى سبيـل اللّه، و من هنا عبّرنا أحياناً بأمير الجيش، و بناءً على ما تقـدّم فإنّ هـذا الملك هو الزعيم. و لـذلك سوف لن يعود هنالك من مجـال للسـؤال فى أنّ آمر الجيش طبـق المـوازين الطـبيعيه يجب أن يكون مقتـدراً عالمـاً بفنون الحرب و القتـال، فهـل هـذه الشرائط معتبره فى الإمام؟ لأنّ الفرض كان يقوم على أساس أنّ الملك هو الزعيم و الإمام، فالآيه الكريمه قد بيّنت شرط الزعامه و الإمامه بصوره شامله مطلقه و بمعنى أوسع من إماره الجيش.

دليلنا:

دليلنا على أنّ المُراد بكلمه «الملك» ذلك المعنى الواسع- أى الإمام- هو اعتقاد الطبقه الاقطاعيه من بنى إسرائيل و النبلاء، بأنّهم أحقّ بالملـك من غيرهم، و ذلـك لأنّهم كـانوا يرون أنّ الزعـامه قضـيه وراثيه، و لا ينبغى أن ينهض طالوت بهـذه الزعامه؛ لأنّه ينتمى إلى طبقه فقيره معـدمه فى المجتمع لم تكن ذات سـابقه فى الزعـامه. و لـذلك أوردنـا برهـانين أقامهما هؤلاء المعترضون على نبيّهم: ۱- الملك حقّ من حقوقنا و منحصر فى سلالتنا. ۲- طالوت لا ينتمى إلى طبقه ثريه ليصبح زعيماً. القرآن بدوره فنّد هذه النظريه ليعلن أنّ الزعامه ليست قضـيه وراثيه و لا ترتبط من قريب أو بعيد بالغنى و الثراء، بل هى منصب إلهى، ينهض به من تتوفّر فيه شـرائطه من قبيل القدره و العلم و البسـطه فى الجسم و البصيره بأوضاع المجتمع. أضف إلى ما تقدّم أنّ الإسلام لا يرى الزعامه منصباً شكليّاً، بل هو مقام رسمى مهمّ تكون بموجبه كافّه مقدّرات المسلمين بيد الزعيم، أى لا بدّ أن يكون

قائـداً عالمـاً متفكّراً، محيطاً بالحلال و الحرام و أحكام القرآن و تعاليم الإسـلام، و سائقاً الأُمّه إلى عباده اللّه و التمسّك بكتابه و سنّه رسوله، كما ينبغى أن يُعالج مشاكل الأُمّه، و إذا اقتضت المصـلحه أن يخوض الحرب، كان هو القائد العام للقوّات المسلحه، الـذى يمـارس حضوره الشخصـى فى جبهه القتال. و خلاصه القول: إنّ الإمام فى الوقت الـذى يعتبر فيه الزعيم الـدينى و العلمى للُامّه، فهو قائـد للبلاـد و آمر للجيش فى الحرب و قاضـى فى المحكمه. و الآـيه صـريحه فى أنّ الملك و الزعيم قـد يكون آمرا للجيش و قائـداً عاماً للقوات المسلّحه أحياناً. و عليه: فليس هنالك ما يـدعو لطرح السؤال الثانى لنجيب عليه. و لنفترض أنّ الآيه اقتصـرت على شرائط آمر الجيش و كان هذا هو المراد من الملك، و قد ذكرنا بأنّ الموازين الطبيعيه تقتضى أن يكون الآمر فرداً عالماً بفنون الحرب و القتال و مؤهّلًا لقياده الجيش و قوياً و مقتـدراً، و مع ذلك فينبغى لنا أن نلتزم بهـذه الشـرائط بالنسـبه للإمام أيضـاً؛ لأنّنـا قلنا سابقاً: إنّ ولاه الأمر هم أئمّه لا بـدّ من اتّباعهم و طاعتهم فى جميع الأُمور السياسـيه و الاجتماعيّه و العسـكريه. و بعباره أُخرى: فالأولى أن نقول بأنّ الإمام لا بـدّ أن يشـتمل على هـذه الشـرائط؛ لأنّه لا يمكن أن يكون مطاعاً مطلقاً، و ليست فيه مثل هذه الشرائط، بينما إذا اشترك فى القتال كان هو القائد العام للقوّات، و على الأُمراء اتّباعه و طاعه أوامره.

أمير المؤمنين عليه السلام و آيات قصّه طالوت:

ما أوردناه سابقاً تفصـيلًا لما قاله أمير المؤمنين على عليه السـلام فى روايه نقلها صاحب تفسير نور الثقلين عن كتاب «الاحتجاج» للطبرسى. فقد قال عليه السلام: «اسمعوا ما أتلو

علیکم من کتاب اللّه المُنزل علی نبیّه المرسل لتّعظوا؛ فإنّه و اللّه أبلغ عظه لکم، فانتفعوا بمواعظ اللّه و ازدجروا عن معاصی اللّه، فقد وعظکم بغیرکم، فقال لنبیّه صلی الله علیه و آله: أَ لَمْ تَرَ إِلَی الْمَلَإِ مِنْ بَنِی إِسْرائِیلَ ...، أیّها الناس إنّ لکم فی هذه الآیات عبره؛ لتعلموا أنّ اللّه جعل الخلافه و الإمره من بعد الأنبیاء فی أعقابهم، و أنّه فضّل طالوت و قدّمه علی الجماعه باصطفائه إیّاه و زیاده بسطه فی العلم و الجسم، فهل تجدون اللّه اصطفی بنی أُمیّه علی بنی هاشم. و زاد معاویه علَیَّ بسطه فی العلم و الجسم»(۱). لقد وردت الآیه بشأن قوم من بعد موسی علیه السلام قالوا لرسولهم: ابعث لنا ملکاً نُقاتل فی سبیل اللّه، فأجابهم نبیّهم: هل عسیتم إن کُتب علیکم القتال ألّا تُقاتلوا؟

فقالوا بصوت واحد: و ما لنا ألّا نُقاتل فی سبیل اللّه و قد أُخرجنا من دیارنا و أبنائنا! و لکن ما إن کُتب علیهم القتال حتّی تراجعت هذه الجماعه التی أعربت عن استعدادها للقتال، و لم تصمد منهم إلّا فئه قلیله فَلَمَّا کُتِبَ عَلَیْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِیلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ بِالظَّالِمِینَ(۲). أمّا ما نخلص إلیه من قول أمیر المؤمنین علیه السلام هو أنّ الخلافه و إداره شئون البلاد قد جعلها اللّه فی الأنبیاء و من بعدهم فی أعقابهم من الخلفاء الذین یمثّلون الامتداد الطبیعی لخطّ الرساله، و أنّ قصّه طالوت عبره للُامّه الإسلامیّه فی معرفه الإمام، و أنّها قد وضّحت وظیفه المسلمین تجاه الإمام، و أنّ اللّه قد اختار طالوت من بین القوم لعبودیته الخالصه و حیازته لشرائط الإمامه. و أنّها قد أماطت اللثام عن کیفیه النهوض بالإمامه و زعامه الأُمّه، و أنّ بنی هاشم أولی بهذه الزعامه من بنی أُمیّه، و أن لیس هناک من بنی هاشم من هو أجدر بالإمامه من علی علیه السلام، و لیس

۱- تفسیر نور الثقلین: ۲۴۴ ح ۹۷۰ عن الاحتجاج ۱: ۴۰۷- ۴۰۸.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۴۶.

لمعاویه الذی یفتقر لشرائط الإمامه أن ینهض بهذه المسئولیه، و أخیراً نفهم من قول علی علیه السلام أنّ قضیه طالوت لیست قصّه روائیه، بل هی حادثه تهدف إلی تعریف المسلمین بشرائط الإمامه، و أنّ قصه طالوت موعظه للمسلمین فی أنّ الإمام هو الفرد الصالح، الکفوء، العلیم، القدیر الذی لا یُضاهیه أحد فی هذه الصفات، کما أنّ القرآن لا یری من جدیر بإمامه المسلمین سوی علی علیه السلام و أولاده؛ لأنّهم یمثّلون مصداقها التام، و قد جمعت فیهم شرائط و مقوّمات الإمامه.

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ* ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ (سوره آل عمران، الآیتان ۳۳- ۳۴)

عود إلی شرائط الإمامه المستفاده من القرآن

آیه الاصطفاء

نتابع دراسه الآیات القرآنیه فی إطار التعرّف علی شرائط الإمامه: فقد ورد فی سوره آل عمران قوله تعالی: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ* ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. یقوم الاستدلال بهاتین الآیتین علی امور هی:

الأمر الأوّل:

لقد استعملت کلمه «الاصطفاء» علی أربعه أنحاء، حیث یختلف معناها فی کلّ قسم من هذه الأقسام، فأحیاناً تستعمل دون حرف، و اخری مع «من، علی و اللام» و الاصطفاء کما ذکرنا سابقاً علی وزن الافتعال، و أصلها من «صفو» بمعنی الخالص، فالاصطفاء هو الانتخاب و الاختیار الخالص. فإن استعملت بدون حرف کان معناها الخالص، و هکذا وردت فی سوره

آل عمران: یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاکِ وَ طَهَّرَکِ(۱) و الدلیل هو وحده السیاق فی الآیه الشریفه، و إذا جاء معها الحرف «من» فهی تعنی الانتخاب من بین جماعه، و هـذا ما نلمسه فی سوره فاطر: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۲). أمّا إذا استعملت مع «علی» فإنّها تفید ترجیح المنتخب. فهی و إن اشترکت مع المعنی المُراد فی القسم الثانی؛ أی الانتخاب الخالص، إلّا أنّها تفرق عنه بأنّها تتضمن ترجیح المنتخب، و هذا ما ورد فی قصّه طالوت التی أشرنا إلیها آنفاً إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاهُ عَلَیْکُمْ(۳). و لذلک وردت استفهامیه فی سوره الصافّات أَصْطَفَی الْبَناتِ عَلَی الْبَنِینَ(۴) أی لیس هنالک من ترجیح و انتخاب فی هذا الأمر.

رفع إشکال:

لقد تضمّن معنی «الاصطفاء» رفع إشکال من شأنه تشویش أذهان العوامّ، فقد صرّح القرآن بشأن مریم قائلًا: وَ اصْطَفاکِ عَلی نِساءِ الْعالَمِینَ(۵). یعتقد البعض أنّ مریم مصطفاه علی کافّه نساء العالم، و الحال أنّ الآیه لا تفید أیّ اصطفاء بالنسبه لعامّه نساء العالم و لا امتیاز علیهنّ «أنت مصطفاه و ممتازه من بین نساء العالم». فهی لیست منتخبه علی جمیع النساء و لیس لها من امتیاز علی الجمیع، بل هی مصطفاه من بین نخبه النساء، و نعلم أنّ مریم من المصادیق العُلیا للنساء الجلیلات: مریم عابده و مطهّره، و هذا لا یتنافی و وجود سائر النساء الجلیلات الاخریات فی هذا الجنس البشری، و الکلام یختصّ بکونها

۱- سوره آل عمران: الآیه ۴۲.

۲- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۳- سوره البقره: الآیه ۲۴۷.

۴- سوره الصافّات: الآیه ۱۵۳.

۵- سوره آل عمران: الآیه ۴۲.

منتخبه، و لاـ سيّما أنّ هـذا الانتخـاب و الترجيـح يتعلّق بأمر غير طبيعى، و هو الحمل دون وجود الزوج، فقـد خلق اللّه مريم على درجه من الطهر و العفـاف بحيث إنّ الأذهـان لاـ تتصوّر أىّ طعن فى طهرهـا و عفافهـا من جرّاء هـذا النوع من الحمـل، و هناك روايه تؤيّد ما ذهبنا إليه(۱). الأمر الثانى: هل أنّ اصطفاء آدم و نوح و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين إلى الأبد على ضوء الآيه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ؟

الجواب:

ذكرنا سابقاً أنّ كلمه «الاصطفاء» إذا استعملت مع حرف الجرّ «على» أفادت معنى الترجيح فى انتخاب فرد أو أكثر على الآخرين، فمعنى الآـيه أنّ اللّه انتخـب آدم و نوحـاً و آل إبراهيـم و آل عمران- الـذين يمثّلـون الصـفوه- مـن بين سـائر أفراد العـالم. إذن، فالانتخـاب من بين العـالمين، و أنّ المنتخـبين من أصـفياء العـالم، لاـ أنّ الانتخـاب على جميع العـالم و أنّ للمنتخبين امتيـاز على العالم، و اللّه أعلم. و يؤيّـد ذلك المعنى الآيات من سوره الأنعام: وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْـحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُـلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَـذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِـنِينَ* وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيى وَ عِيسـى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلًّا فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ(۲).

۱- راجع مجمع البيان ۲: ۲۸۹ ذيل الآيه الشريفه« وَ اصْطَفيكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ».

۲- سوره الأنعام الآيات ۸۴- ۸۶.

و نعلم أنّ هؤلاء الأنبياء ليسوا مصطفين على العالم، و قد انتخبوا بالتفضيل الإلهى من بين العموم، و من أراد المزيد فليراجع تفسير أحد الكاتِبيْن(۱).

جواب آخر:

قد يُقال بأنّ آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران قد اصطفوا على العالمين، إلّا أنّ هذا لا يعنى أنّ نوحاً مثلًا قد اصطُفِى على جميع العالمين. نعم، آدم و نوح و ...

مصطفون على العالمين بمعنى عدم خروج آل الرساله المصطفين من هؤلاء. المصطفى الأوّل هو آدم عليه السلام الذى اصطفاه اللّه على عالمه آنذاك، ثمّ نوح و هكذا آل إبراهيم و آل عمران، حيث إنّ كلّ واحد فى هذه الآل مصطفى على عالم زمانه. و محمّد صلى الله عليه و آله النبى العربى و هو من آل إبراهيم مصطفى منذ زمان بعثته المُباركه حتّى الأبد. و بعباره أوضح: فإنّ المصطَفين على عالم البشريه منذ بدء الخليقه يبتدئون بآدم عليه السلام و يختتمون بآل إبراهيم عليه السلام بحيث إنّ كلّ واحد منهم مصطفى اللّه على أهل زمانه، حتّى ظهور النبى الأكرم صلى الله عليه و آله الذى يُعتبر مصطفى من قبل اللّه منذ انطلاقه البعثه إلى الأبد ما دام عالم البشريه قائماً، فليس هنالك من نبوّه لكافّه العالمين و فى كافّه أدوار التأريخ من غير هؤلاء و إن اختصّ كلّ واحد منهم بزمانه، أمّا من حيث المجموع فهم المصطَفون على العالمين على مدى التأريخ، و اللّه اعلم. أمّا مريم فهى تشتمل على مزيه تميّزها على سائر النساء، و هى مزيه الحمل من دون الزوج، و هو الحمل الذى لا ينطوى على أىّ مساس بعفّه مريم و طهرها. الأمر الثالث: من هم آل إبراهيم و آل عمران؟ جاء فى المنجد: «أنّ آل الرجل أهله، و لا يستعمل إلّا فى ما فيه شرف»(۲) لا

۱- تفسير كلام الحقّ للشيخ شهاب الدين الإشراقى.

۲- المنجد فى اللغه: ۲۱، مادّه« آل».

كلّ أهل و أينما كانت كلمه «أهل» لتقيّد صفه المضاف إلى المضاف إليه، فيُقال مثلًا:

«أهل العلم» أى الأفراد الذين يتّصفون بصفه العلم، و أهل قم، و حيث إنّ الآل هى صفوه الأهل فإنّ آل إبراهيم تعنى الخواصّ و الصفوه من أهل إبراهيم عليه السلام. لإبراهيم عليه السلام ولدان هما إسماعيل و إسحاق، و المُراد بآل إبراهيم خلفه و ولده المصطَفون من قِبل اللّه، فهل هم الأنبياء و المصطَفون من ذريّه إسماعيل و الأنبياء من ذريّه إسحاق أيضاً؟ و لعمران ولدان هما عمران والد موسى عليه السلام و عمران والد مريم عليهما السلام، و ربّما كان المُراد بعمران التى أضيفت إلى الآل فى الآيه الكريمه والد مريم، فآل عمران فى هذه الحاله هم المصطفون من هذه الطائفه، و يؤيّد ذلك الآيات اللاحقه من هذه السوره المُباركه التى ذكرت مريم مشيره إلى أصالتها. كما يمكن أن تكون آل عمران شامله للطائفتين؛ لأنّ كلمه عمران رغم أنّها اسم علم لكنّها تنطبق على مسمّيين أيضاً، إلّا أنّ هذا الاحتمال ليس معتبراً علميّاً.

مَنْ هُم آل إبراهيم؟

آل عمران كلّ واحد من الطائفتين أو الطائفه الخاصّه من والد مريم، أمّا آل إبراهيم فتقتصر على ذريّه إسماعيل، لأنّ العطف دليل على المغايره، و يؤيّد كون آل إبراهيم هم ذريّه إسماعيل قوله عزّ و جل فى الآيه ۵۸ من سوره مريم: أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّهِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّهِ إِبْراهِيمَ وَ إِسْرائِيلَ فقد فصّل ذريّه إبراهيم عن ذريّه إسرائيل، فى حين أنّ إسرائيل هو يعقوب و هو من أولاد إسحاق بن إبراهيم. و من هنا يعلم بأنّ القرآن لم يرد بذرّيه إبراهيم سوى أولاد إسماعيل، و الدليل الأوضح على ذلك ما نحن بصدده من الآيه ذُرِّيَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ لأنّ الذريّه

وردت بدل من آل إبراهیم و آل عمران، أی أنّ آل إبراهیم و آل عمران ذرّیه واحده؛ لأنّ والد الآلین هو إبراهیم. أمّا بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ فمعناه انفصال و تفرّع البعض من ذریّه و البعض الآخر من ذریّه أُخری. و بعباره أیسر: أنّ معنی العباره رغم أنّ آل إبراهیم و آل عمران ذرّیه واحده، غیر أنّ آل عمران من ولد و آل إبراهیم من ولد آخر، و علیه فآل عمران من یعقوب بن إسحاق و هو إسرائیل، و آل إبراهیم من إسماعیل بن إبراهیم.

هدف سامٍ:

لِمَ عبّر القرآن الکریم عن ذریّه إسماعیل بآل إبراهیم، و عن أولاد إسحاق بآل عمران؟ لعلّ المغزی فی هذا التعبیر رغم أنّ الاثنین هما آل إبراهیم، هو هدف سامٍ و بقصد إفاده مطلب أساسی. فآل إسحاق قد انقطعوا عن مقام النبوّه السامی و سیحلّ الیوم الذی یزول فیه دین إسحاق، و بالتالی فإنّ الدین الإسلامی العالمی سیستوعب جمیع القوانین السماویه. إذن، فالذرّیه الحقیقیه لإبراهیم الحافظه لهدفه السامی القائم علی أساس التوحید و التسلیم للّه إنّما تنحصر فی ولد إسماعیل، و بالنهایه فإنّ النبی العربی محمّداً صلی الله علیه و آله هو الحافظ لدعوه إبراهیم علیه السلام، و قد لفت القرآن الأنظار لهذه الحقیقه، حیث قال: إِنَّ أَوْلَی النَّاسِ بِإِبْرَاهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِینَ(۱). و بناءً علی هذا یمکن القول بأنّ آل إبراهیم منحصرون فی الصفوه من ولد إسماعیل، إضافه إلی أنّ أتباع سائر الأدیان کالنصرانیه و الیهودیه قد أحدثوا من

۱- سوره آل عمران: الآیه ۶۸.

الخرافات و الخزعبلات و التحریفات فی الدین الأصیل لموسی و عیسی، بحیث زالت معالم الدین بالمرّه و لم یبق منه سوی الأوهام و الخرافات، و ذهبت الجهود المضنیه لإبراهیم علیه السلام و التوحید الخالص للّه أدراج الریاح. و لذلک فصل الحقّ سبحانه عنوانی النصرانیه و الیهودیه عن أتباع عیسی و موسی علیهما السلام، و سلخ إبراهیم علیه السلام عنهما، فقال عزّ و جل: ما کانَ إِبْراهِیمُ یَهُودِیًّا وَ لا نَصْرانِیًّا وَ لکِنْ کانَ حَنِیفاً مُسْلِماً وَ ما کانَ مِنَ الْمُشْرِکِینَ(۱). و نوکل الخوض فی التفاصیل إلی محلّ آخر. الأمر الرابع: الأمر المهمّ الذی یمثّل الهدف الأساسی فی الآیه هو کیفیّه تعبیر القرآن الکریم، فقد نسب الاصطفاء لشخصین و طائفتین إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ. فقد ذکر اللّه اسم هؤلاء المنتخبین من بین عباده، فالفرد المخلص الأوّل هو آدم، و الفرد المخلص الثانی هو نوح، و الطائفه الخالصه الأُولی هی آل إبراهیم، و الثانیه آل عمران. فنری اسم نوح قد ذکر بعد آدم رغم قدوم عدّه أنبیاء، کما اقتصر الحدیث علی آل عمران من بین آل إسحاق، فآدم أوّل أنبیاء اللّه، و قد رکّز القرآن علیه حتّی أسهب فی الحدیث عنه فی سوره البقره، کما أنّ لنوح عدّه مزایا، ربّما منها کونه یمثّل آدم الثانی بالنسبه للبشریه إثر انقراض البشریه فی زمانه و تجدید الحیاه ثانیه. أمّا السؤال المهمّ هنا هو لِمَ هذا الاهتمام بآل عمران؟ و لعلّ سبب ذلک یعود إلی ظهور أنبیاء عظام فی هذه الآل، بحیث ما زال أغلب الناس ینسب نفسه إلیهم، فمنهم موسی و عیسی علیهما السلام، و قد راعی القرآن جانب الاختصار فی تعبیره بآل عمران عن نبوّات ولد إسحاق، الأمر الذی یطول شرحه. و السؤال الأهمّ: ما السبب فی التعبیر بآل إبراهیم؟

۱- سوره آل عمران: الآیه ۶۷.

و كـأنّ التعبير بـآل إبراهيـم الـذى يسـلّط الضـوء على نبـوّه إبراهيـم- و بالالتفـات لمـا ذكرنـا مـن أنّ آل إبراهيم مختصّه بـذريّه إسـماعيل- يشـير إلى زعمـاء الإسـلام و على رأسـهم زعامه محمّـد المصـطفى صـلى الله عليه و آله و خلفه الأئمّه الأطهار عليهم السـلام، فهم من آل إبراهيم، و أنّهم حقّاً جـديرون بهذا الانتساب، أى الانتساب بصـفتهم آل إبراهيم إلى هذه الطائفه من زعماء الـدين للعالم. و بناءً على ما تقـدّم فإنّ القرآن قد طرح أساس الزعامه العالميه للبشـريه منذ بدء الخليقه على الأرض حتّى انتهائها، فقد تزعّم آدم عليه السلام العالم فى بدايته، ثمّ تجدّد هذا الأساس من قبل نوح بعد انقراض البشريه فى الطوفان، كما أنّ الزعماء الأصـليين لعالم الأمس و اليوم و الغـد هم آل عمران و آل إبراهيم. و أنّ زعيم طائفه آل إبراهيم فى العالم منذ ألف و ثلاثمائه و بضع سـنوات قبل إلى القيامه هو محمّد صـلى الله عليه و آله و من بعده زعماء الإسـلام من آل محمّد و آل إبراهيم؛ و ذلك لأنّه كما ذكرنا سابقاً أنّ آل إبراهيم الـذين ينتمون إلى ذريّه إسـماعيل، و آل محمّـد الذين ينتمون إلى آل إبراهيم ليسوا إلّا الصـفوه من بنى هاشم.

هدف الآيه:

تهـدف هذه الآيه إلى تثبيت أصاله الإسـلام و أئمّه المسـلمين، فقد أوضح القرآن بإعجازه فى آيه قصـيره زعامه العالم منذ نشوء الخليقه إلى القيامه. فكما انتخب اللَّه آدم و نوحاً، فإنّه انتخب و اصـطفى آل عمران و آل إبراهيم، و قـد جمع الزعامه العالميه فى ذانك النبيّين العظيمين و هاتين الطائفتين. و عليه: فإنّ عالم المسيحيه و اليهوديه و إن نظر إلى آدم و نوح و آل عمران على أنّهم مصـطَفون مـن قبـل اللَّه، لاـ بـدّ أن ينظر أيضـاً إلى أنّ آل إبراهيم و أئمّه الإسـلام- الـذين ينسـبون إلى محمّـد- على رأس هـذه السلسله من الزعماء، و مع هذا

الفارق و هو أنّ إبراهيم يمثّل منشأ التوحيد الخالص، و أنّ استمرار هذا الهدف السامى سينتهى إلى ولد إسماعيل. و بناءً على هذا فإنّ ذريّه إسماعيل هى الحافظه لمركز التوحيد الذى بناه إبراهيم و إسماعيل، و أنّ صفوه هذه الذريّه هم محمّد و آل محمّد.

نتيجه هذه الأبحاث:

كنّا نروم من هذه الأبحاث الدلاله التامّه للآيه على الزعامه المطلقه لأئمه بنى هاشم، فالآيه تدلّ على أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم الزعماء بلا منازع، كما دلّت ضمنياً على أنّ زعماء الإسلام و أئمّه الهدى مصطَفون من قِبل اللَّه، و أنّ البشريه تحتاج إلى أولياء اللَّه من زعماء آل إبراهيم و الأئمّه الأطهار فى عرض النبوّه و كونهم يمثّلون الامتداد الحقيقى لهذه النبوّات. و فى الآيه دلاله ضمنيه فى أنّ هؤلاء الأئمّه إنّما يواصلون تحقيق هدف إبراهيم فى إشاعه التوحيد و العبوديه الخالصه للَّه، و أنّهم صفوه مصطفاه على غرار مصطفى الوحى من الأنبياء، و أنّ اللَّه قد رجّحهم على ما سواهم؛ لاشتمالهم على الكمالات التى تميّزهم عن غيرهم. إذن، فهؤلاء ممّن جمعت فيهم شرائط الإمامه من قبيل الطهاره و البصيره بالأوضاع الاجتماعيّه و العلم بأسرار القرآن و الوحى و خفايا عالم الخليقه، و بُعدهم عن الظلم و الشرك و الخرافات و الجهل، بل هم على درجه من الاقتدار و العلم و الإحاطه بعالم الآخره، بحيث اتّصفوا بجدارتهم و صلاحيتهم لزعامه و حفظ دعوه إبراهيم، و بالتالى فقد جمعوا ما يؤهّلهم لاصطفائهم من قِبل اللَّه على الناس، فقد كانوا الصفوه الطاهره التى اصطفاها اللَّه لزعامه الأُمّه.

الحسین علیه السلام و الآیه الکریمه:

لقـد تلا الإمام الحسـین علیه السـلام هذه الآیه المبارکه: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً ...(۱) لمّا برز ولـده علی الأکبر للقتال. لقد سمعنا مقاله الإمام أو قرأناها فی المقاتل(۲)، إلّا أنّنا لم نلتفت لسـبب استشهاد الإمام علیه السلام بها، فقد طرح الإمام حقّانیته فی زعـامه الأُمّه و الهـدف من نهضـته تجاه حکومه و زعامه یزیـد الفاجر، لیعلم الناس بأنّ حرکه الإمام و دعوته فی إمامه المسـلمین إنّما تستند لمنطق القرآن الکریم.

و لیـدرک العرب بـأنّ القرآن الکریم هو الـذی صـرّح و نصّ علی زعـامته، فـإذا تعرّض إلی مـا تعرّض له من جور یزیـد و ظلمه فلیس له من ذنب سوی ذلـک! و لیعلم سـلطه الیزیـدیه الحـاکمه و جلاوزتهـا بـأنّ الحقّ مع الإمام، و أنّ الفرد المصـطفی من آل إبراهیم لزعامه الأُمّه هو الإمام المظلوم سیّد الشـهداء علیه السـلام، و لیعلم الباحثون و المحقّقون الضالعون فی القرآن الکریم أنّ إمامه المسلمین إنّما تعیّن من قِبل اللَّه لا الشوری و الانتخابات. و لیعلم العالم بأنّ الحسین علیه السلام صفوه المخلصین للَّه الحائز علی شرائط إمامه المسلمین و الجدیر بهذا المنصب. هذه هی الحقائق التی رام الإمام إیصالها إلی الآخرین بتلاوته للآیه الشریفه.

الآیه المُبارکه و أحادیث الإمامیه:

لقـد جمع الفیض الکاشـانی- العـالم و المحقق الجلیل- عـدّه روایات مُعتبره و أطلق علیها اسم «نوادر الأخبار فی ما یتعلّق باصول الدین». و من بینها روایه مفضّل له هی عباره عن حدیث دار بین ابن عباس و أمیر المؤمنین علیه السـلام بشأن وصیّه النبی صلی الله علیه و آله بعلی علیه السلام، جاء فیها: إنّ علیاً علیه السلام قال: قال لی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «ثمّ أنت یا علیّ من أئمّه

۱- سوره آل عمران: الآیه ۳۳.

۲- لواعج الأشجان، للعلّامه العاملی ص ۱۳۶.

الهدی، و أولادک منک، فأنتم قاده الهدی و التقی، و الشجره التی أنا أصلها و أنتم فرعها، فمن تمسّک بها فقد نجا، و من تخلّف عنها فقد هلک و هوی، و أنتم الذین أوجب اللّه- تعالی- مودّتکم و ولایتکم، و الذین ذکرهم اللّه فی کتابه و وصفهم لعباده، فقال عزّ و جلّ من قائل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً ... فأنتم صفوه اللّه من آدم و نوح و آل إبراهیم و آل عمران، و أنتم الاسره من إسماعیل و العتره الهادیه من محمّد صلی الله علیه و آله»(۱). فالحدیث الشریف أشار استناداً إلی الآیه الشریفه إلی عدّه أُمور، منها: أنّ علیّاً علیه السلام و ولده هم أئمّه الدین و زعماء الأُمّه و کهف الوری، و هم الفروع لشجره الإسلام المُبارکه، و أنّ اللّه هو الذی حباهم بهذه المقامات من بین آل إبراهیم، و قد استدلّ النبی صلی الله علیه و آله لاثبات هذه المقامات بالآیه الشریفه: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی. و بناءً علی ما تقدّم فإنّ آل إبراهیم لا یقتصرون علی محمّد صلی الله علیه و آله و ولد إبراهیم، بل الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم آل إبراهیم، و أنّ آل إبراهیم المصطَفون إنّما ینتهون إلی هذه السلسله الجلیله و العتره الهادیه. فقد استدلّ النبی صلی الله علیه و آله بهذه الآیه و قال: أنتم صفوه اللّه من آدم و نوح و آل إبراهیم. فعلیّ و أولاده صفوه اللّه، و لمّا کانوا کذلک فهم أهل الإمامه و الزعامه المتوفّره فیهم شرائطها. و نفهم من ذلک أنّهم مبرّءون من کلّ عیب و نقص و جهل، بل لیس فی هذه الشجره إلّا الإخلاص و الاصطفاء الإلهی، و هنا لا بدّ من القول بأنّ آل محمّد صلی الله علیه و آله یمثّلون قمّه السموّ و الکمال و الرفعه العلمیه و التقوی و الورع و الطهاره و کافّه الفضائل الإنسانیه، من قبیل الشجاعه و الإقدام و العلم و الزهد و الکرم و سائر الصفات؛ لأنّهم صفوه اللّه.

۱- تأویل الآیات الظاهره ۱: ۱۰۶ ح ۱۳، نوادر الأخبار: ۱۲۶.

خلاصه الآیات و الروایات:

لقد تعرّضت هاتان الآیتان إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ.

إلی تأریخ الإنسان منذ ظهوره حتّی انقراضه، کما خاضتا بصوره مقتضبه فی زعامه البشریه و أبطالها من الصفوه الذین حازوا شرائطها حتّی تزعّم کلّ واحد منهم عالمه المعاصر، حیث ابتدأت هذه الزعامه بآدم علیه السلام و اختتمت بآل إبراهیم علیه السلام. و قد کانت خلاصه آل إبراهیم قد تمثّلت بالإمامه الإسلامیه التأریخیه لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله الذی اختتمت به النبوّه، و قد کان الهدف الأصیل لإبراهیم علیه السلام و استمرار دعوته قد تمثّل بظهور الصفوه من آل محمّد صلی الله علیه و آله، حیث لم تختتم الزعامه بالنبی صلی الله علیه و آله من آل إبراهیم، بل استمرّت فی عقبه من بعده من أهل بیت النبوّه الذین عیّنوا من قِبل اللَّه لمواصله خطّ النبی صلی الله علیه و آله، و لم یکن هؤلاء سوی الأئمّه الهداه علیهم السلام، و لا یمثّل هذا الکلام استظهاراً للآیتین الکریمتین، بل هذا ما عهده الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله لعلی علیه السلام، إذ قال له: أنتم صفوه اللَّه من آدم و نوح و آل إبراهیم ... الذین خصّکم اللَّه بالآیه إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی. و علیه فزعماء المسلمین بعد النبی صلی الله علیه و آله هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و حیث کانوا الصفوه المختاره علی مدی التأریخ، کان لا بدّ من القول أنّهم مطهّرون مبرّءون من کلّ عیب و دنس، و هم فی مستوی الأنبیاء فی الإخلاص و الإحاطه بالغیب، بل لمّا کانوا استمراراً لهدف إبراهیم و زعماء الأُمّه إلی الأبد. ینبغی الإذعان بأنّهم الأعلم و الأقدر من سائر الزعامات علی مرّ العصور، و هم الجدیرون بتطبیق المبادئ الحقّه لرساله النبی الأکرم صلی الله علیه و آله. و علی ضوء ما تقدّم فقد اتّضحت شرائط الإمامه و صفاتها العالیه، و أنّ الأئمّه علیهم السلام هم خُلّص عباد اللَّه العالمون بأسرار الدنیا و الآخره، البعیدون عن کلّ عیب و نقص، و المتّصفون بالزهد و الورع و التقوی و العلم و الشجاعه و السماحه،

فهم الصفوه المختاره من آل إبراهيم، إبراهيم رائد التوحيد و العبوديه المحضه للّه، بل هم صفوه اللّه إلى الأبد و حمله علمه الذى لا يعرف الانقطاع.

ملاحظه:

الأُسلوب الذى درجنا عليه فى الكتاب يتمثّل بالدراسه و التحقيق فى القرآن الكريم من أجل إثبات أصاله الإمامه و شرائطها، فالنهج هو التعمّق فى الآيه من أجل التعرّف على هذه الامور، الأمر الذى يجعل الكلام يطول أحياناً شئنا أم أبينا، و قد تجنبنا التعرّض لسائر الآيات التى أوردها علماء الإسلام فى مصنّفاتهم بشأن الإمامه خشيه التطويل و الملل، و إلّا فهناك عدّه شواهد معتبره بشأن الإمامه و شرائطها فى القرآن، و لعلّ من المفيد التعرّض إليها، غير أنّ طريقتنا فى البحث تركّزت على لفت انتباه العلماء إلى المضامين القرآنيه. و هناك ملاحظه أُخرى يجدر الالتفات إليها، و هى أنّنا قد طرحنا سابقاً سؤالًا فى أنّ قيود الإمامه هل هى قيود مفروضه تنسجم و الفطره السليمه فى الإقرار بها أم لا؟ و قد اتّضحت الإجابه خلال الأبحاث، حيث كان البحث يختصّ بشرائط الإمامه من وجهه نظر القرآن، و هى الشرائط التى تستسيغها الفطره السليمه و العقل السليم، بل أنّ العالم ليتعطّش إلى زعامه مثل هؤلاء الأئمّه، و لذلك لا نرى حاجه لبحث هذا الأمر بصوره مستقلّه. و أمّا دراسه عدد الشرائط فلا نرى له من ضروره، و يبدو أنّ ما أشار إليه القرآن كافٍ بهذا الشأن، و لذلك لم نتطرّق إلى هذه الشرائط بصوره مستقلّه، و هل أنّ القرآن صدّق أو لم يصدّق ما أورده علماء الكلام بهذا الخصوص. و نتناول الآن بالبحث فى علم الإمام.

علم الإمام علیه السلام

الزعامه فی الإسلام:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ الزعامه فی الإسلام لیست ولیده الاستفتاء و الصراعات السیاسیه و القفز علی المواقع من أجل السیطره علی مقدّرات المسلمین، بل أنّ الرئاسه الإسلامیه منصب إلهی قد فوّضه اللّه سبحانه فی إطار النظام الإسلامی المتکامل إلی الأئمّه الأطهار علیهم السلام بعد النبی الأکرم صلی الله علیه و آله، و أنّ اشتمالهم علی الشرائط جعلت اللّه یفیض علیهم هذا المقام العظیم الذی لا یسع الآخرین النهوض به. کما أشرنا إلی طائفه من شرائط الإمامه، أمّا البحث المهمّ الذی یشغل الأذهان و یحظی باهتمام الجمیع فیکمن فی علم الإمام و الزعیم الإسلامی، الذی سنسلّط الضوء علیه فی هذا البحث، و هنا تواجهنا بعض الأسئله بهذا الشأن، منها: ۱- هل الإمام عالم بالغیب، أم أنّ هذا العلم مختصّ بالذات الإلهیه المقدّسه؟

و إن کان عالماً بالغیب، فما کیفیه هذا العلم، و هل یتوصّل إلی هذا العلم بمجرّد بلوغه مقام الإمامه بحیث یدرک الغیب و الخفاء، أم أنّه یعتمد بعض الوسائط لبلوغ مثل هذا العلم؟

و بعباره أُخری: فهل مجرّد بلوغ ذلک المقام یستلزم الوصول إلی مقام معنوی رفیع بحیث لا یمکن أن یخفی علیه شی ء، أم هنالک من المغیّبات ما لیس له إلیها من سبیل رغم بلوغه ذلک المقام بغضّ النظر عن الوحی أو الإلهام أو سائر الوسائط؟ ۲- هل تنحصر علوم زعماء الإسلام و أئمّه الأطهار علیهم السلام فی إطار العلم بالقرآن و الأحکام القرآنیه و التعالیم الإسلامیه فی حین لیس لهم مثل هذا العلم بالحوادث المستجدّه و مستقبل المسلمین و مصیر الإسلام، أم أنّ علمهم واسع شامل بخصوص القرآن و الأحکام و التعالیم الإسلامیه و مستقبل الامّه و ...؟ ۳- هل للأئمه علم بما کان و بما یکون إلی یوم القیامه أم لا؟ و علی فرض وجود مثل هذا العلم، فهل علمهم بالأشیاء حضوری أم حصولی؟ و بعباره أُخری: هل «إذا شاءوا علموا» کما یقول المتکلّمون بحیث لیس لهم مثل هذا العلم دون هذه المشیئه، أم أنّ علمهم فعلیّ بجمیع هذه الأشیاء؟ و نتناول الآن دراسه القسم الأوّل، أی علم غیب الأئمّه و الأنبیاء علیهم السلام من وجهه نظر القرآن الکریم.

القرآن و علم الأنبیاء علیهم السلام:

لیس لأیّ من الأنبیاء من إحاطه بأسرار الخلق و تعالیم الدین بصوره تلقائیه، و أنّهم إنّما یتعلّمون کلّ شی ء من خلال الوحی و النفحات الربّانیّه، و قد صرّح القرآن بتعلیمه آدم الأشیاء- ضمن سرد قصّته- و أنّ الملائکه أعربوا عن عجزهم العلم بالأشیاء دون رفدهم بها من اللّه وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ کُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَهِ فَقالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ* قالُوا سُبْحانَکَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا(۱). و قال بشأن عیسی علیه السلام:

۱- سوره البقره: الآیه ۳۱- ۳۲.

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ(۱). و قد ذكرنا سابقاً أنّ علم الأنبياء عليهم السلام يستند إلى الوحى، بينما يستند الأوصياء فى علمهم إلى الأنبياء. و عليه: فهم ليسوا فقط لا يطّلعون على الغيب تلقائياً، بل حتّى علمهم بأسرار النبوّه إنّما هو من تعليم اللَّه، حتّى علمهم بقصص الامم الماضيه و الأنبياء لا يتأتّى من بذل الجهود و التعرّف عليها من خلال الطرق المتداوله.

و الوحى هو سبيلهم فى الإحاطه بهذه الامور، و قد أفصح القرآن الكريم كراراً عن هذه الحقيقه بشأن النبىّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فعلى سبيل المثال يستعرض القرآن قصّه يوسف من أجل استنباط بعض الدروس و العبر التى لم يكن النبىّ صلى الله عليه و آله على علم بتلك الأحداث نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ(۲). و بناءً على ما تقدّم فسبيل الأنبياء إلى العلم هو الوحى، و بغضّ النظر عن الوحى فهم كسائر الناس فى التعرّف على الحقائق و تشخيص الامور و التعامل مع الحوادث، كما يبدون أحياناً دون الوحى أفراداً عاديين من حيث العلم ببعض الامور و كأنّهم لا يحسنون معرفه الأشياء المحيطه بهم. فنوح عليه السلام- و هو من أنبياء أولى العزم، و طبق النظره الابتدائيه دون الاستناد إلى الوحى- يرى صلاح ولده، فيستغيث باللَّه من أجل إنقاذه من بلاء الطوفان رَبِّ إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى(۳)، فأتاه الخطاب الإلهى الحاسم الذى يتضمّن المنع عن مثل هذا الطلب قالَ يا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْئَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ(۴).

۱- سوره آل عمران: الآيه ۴۸.

۲- سوره يوسف: الآيه ۳.

۳- سوره هود: الآيه ۴۵.

۴- سوره هود: الآيه ۴۶.

فلم یجد نوح بدّاً من الانصراف عن طلبه و الاستعاذه باللّه من تکرار مثل هذه الطلبات، قالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِکَ أَنْ أَسْئَلَکَ ما لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ(۱). إذن، فلیس هنالک من غبار یشوب هذه الحقیقه فی أنّ سبیل الأنبیاء إلی العلم هو الوحی، و لیس لهم من سبیل إلی الإحاطه بجمیع الحقائق دون ذلک الوحی، و لا- یلزم علی النبی کونه نبیّاً أن یلمّ تلقائیاً بکافّه الامور الغیبیه و یحیط خبراً بجمیع الحوادث. و هذا هو الأمر الذی کشف القرآن عنه النقاب حین خاطب النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله قائلًا: تِلْکَ مِنْ أَنْباءِ الْغَیْبِ نُوحِیها إِلَیْکَ ما کُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَ لا قَوْمُکَ مِنْ قَبْلِ هذا(۲). إذن، فلیس صحیحاً القول بأنّ النبیّ لکونه یشغل هذا المنصب الإلهی الرفیع یکون عالماً بالغیب بالذات، و أنّ مقام النبوّه سیزیل عنه کلّ حجب المجهول، و بعباره اخری: النبوّه لیست وسیله لعلم الغیب، بل النبیّ لا- یستغنی فی کلّ آن عن الإفاضه الإلهیه فی إدراک المجاهیل، و هذا من الامور التی لا نقاش فیها، إلّا أنّنا حین نتتبع القرآن و الآیات الوارده بشأن النبوّه نفهم أنّ البارئ سبحانه قد أفاض عناياته الخاصّه علی صاحب هذا المقام، بما یجعله یقف علی جمیع الامور المجهوله و ماضی و مستقبل البشریه و الحوادث التی تواجهها فی مسیرتها، حیث اختصّ سبحانه بعض عباده بهذه الإحاطه، الأمر الذی یجعل صاحب مقام الزعامه الدینیه عالماً بالغیب. و إلیک طائفه من الآیات الوارده فی علم الغیب، و هنا یمکننا أن نقسّم الآیات الکریمه إلی ثلاث طوائف: ۱- الآیات التی حصرت علم الغیب باللّه.

۱- سوره هود: الآیه ۴۷.

۲- سوره هود: الآیه ۴۹.

۲- الآیات التی تنفی عن الأنبیاء و النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله العلم بالغیب. ۳- الآیات الدّاله علی إفاضه اللّه لعلم الغیب علی أنبیائه. نکتفی بذکر نموذجین من الآیات الوارده فی القسم الأوّل: ۱- قُلْ لا یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلَّا اللَّهُ(۱). ۲- وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلَّا هُوَ(۲). و من نماذج القسم الثانی من الآیات: ۱- قُلْ لا أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزائِنُ اللَّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَیْبَ وَ لا أَقُولُ لَکُمْ إِنِّی مَلَکٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَ(۳). ۲- قُلْ لا أَمْلِکُ لِنَفْسِی نَفْعاً وَ لا ضَرًّا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِیرٌ وَ بَشِیرٌ لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ(۴). و أمّا نماذج القسم الثالث، فهی: ۱- عالِمُ الْغَیْبِ فَلا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً* لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ(۵). ۲- وَ ما کانَ اللَّهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ(۶).

۱- سوره النمل: الآیه ۶۵.

۲- سوره الأنعام: الآیه ۵۹.

۳- سوره الأنعام: الآیه ۵۰.

۴- سوره الأعراف: الآیه ۱۸۸.

۵- سوره الجن: الآیه ۲۶- ۲۸.

۶- سوره آل عمران: الآیه ۱۷۹.

مفاد الطوائف الثلاث من الآيات:

۱- علم الغيب بصوره تلقائيه مختصّ باللَّه، و اللَّه وحده العالم بالغيب بالذات و أنّ جميع الامور حاضره لديه. ۲- أنّ الأنبياء لا تتكشّف لهم حجب الغيب بمجرّد بلوغهم النبوّه. ۳- توضّح الطائفه الثالثه من الآيات حصر هذه القدره فى اللَّه و نفى علم الغيب عن الأنبياء، كما تشير إلى ماهيه هذا الانحصار و ماهيه عدم اطّلاع النبى على الغيب، فهى تشير إلى أنّ اللَّه إنّما يفيض هذه القدره على رسله فقط، و أنّه قد حباهم بهذه الكرامه من بين الخلق فأطلعهم على المغيّبات، و عليه: فليس للنبىّ تلقائياً من علم بالغيب، و أنّ اللَّه يفيض هذه الكرامه على أنبيائه بما يكشف لهم الحوادث الخفيّه و الحقائق المكنونه، و يُنير لهم الظلمات من خلال الوحى، بل يمكن الجزم- على ضوء الآيه ۱۷۹ من سوره آل عمران- أنّ مقام الرساله معناه العلم التامّ بالغيب، و أنّ عمل الرسول هو الاستخبار بعلم المغيّبات، حيث يتمكّن بواسطه هذا العلم من قياده الأُمّه و الأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان و السعاده فى الدارين. و نخلص ممّا سبق إلى أنّ الفصل المميّز للرساله هو بلوغ الرسول منزله تجعله عالماً بالغيب، فهل ينطق الرسول عمّا سوى الغيب؟ و هل كشف الحقائق المجهوله و إبانه أسرار الوجود، و إماطه اللثام عن مستقبل البشريه و مصيرها، و إزاله الحيره و الاضطراب عن الأُمّه، و تعريفها بالحوادث إلى يوم القيامه، و ما ينتظرها فى ذلك اليوم، هى أشياء اخرى خارج ذلك العلم؟ و هل له ممارسه مثل هذه الأُمور بعيداً عن العلم بالغيب؟ نعم، إنّ بعض الرسل قد لا يبلغون كافّه مراحل كمال العلم الغيبى، فهم يتفاوتون فى تلقّى الإفاضات الإلهيه تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ(۱)،

۱- سوره البقره: الآيه ۲۵۳.

لکن لیس منهم من شذّ عن تلک الإفاضات و حرم منها، و لم تتح هذه الإفاضات بأکملها إلّا لرسول اللّه صلی الله علیه و آله و إن کان صلی الله علیه و آله- علی ضوء بعض النصوص القرآنیه- لیس مطّلعاً علی بعض الحوادث یَسْئَلُکَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَهِ قُلْ إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللَّهِ(۱). فالنتیجه التی نخلص إلیها من مجموع الطوائف الثلاث هی أنّ الغیب الذاتی مختصّ بالحقّ تبارک و تعالی، و أنّ الوحی هو وسیله الأنبیاء للتوصّل إلی هذا العلم، و لکی یتّضح الموضوع أکثر لا بدّ من تسلیط الضوء علی هاتین الآیتین: ۱- الآیه: وَ عِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَیْبِ لا یَعْلَمُها إِلَّا هُوَ(۲)، أولا- یفهم من هذه الآیه انحصار العلم بالغیب بذات اللّه تعالی؟ و نقول: لو کان المراد أنّه لیس هنالک أحد سوی اللّه له علم بکیفیه أسرار الخلق و علم الغیب لکان من المناسب أن یحصر هذا العلم به سبحانه لا مفاتحه. ۲- لقد وصف سبحانه فی بعض الآیات ذاته المقدّسه بعلّام الغیوب، أی عبّر بصیغه المبالغه، کما ورد ذلک فی الآیه أَ لَمْ یَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ یَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْواهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُیُوبِ(۳). و هکذا عبّر بهذه الصیغه فی سائر الآیات، أ فلا یشعر هذا بأنّ العلم المقتصر علی الحقّ تعالی هو العلم بمعنی المبالغه؟

علم الأئمّه علیهم السلام:

لقد اتّضح لدینا لحدّ الآن أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله مَن یستمدّ علمه بالأشیاء من

۱- سوره الأحزاب: الآیه ۶۳.

۲- سوره الأنعام: الآیه ۵۹.

۳- سوره التوبه: الآیه ۷۸.

الإفاضات الغيبيه فهو عالم بالغيب، و لكن ما ذا بشأن الأئمّه؟ هل الأئمّه الأطهار عليهم السلام عالمون بالغيب أيضاً؟ و هل ورد فی القرآن ما يفيد استنادهم إلی المدد الغيبی فی إمامتهم و اطّلاعهم علی المغيَّبات و لو عن طريق النبیّ صلی الله عليه و آله؟ لا شكّ أنّ علم الأئمّه عليهم السلام هو حصيله إرشادات و توجيهات النبیّ الخاتم صلی الله عليه و آله، كما لا شكّ أيضاً أنّهم لا يستندون فی علمهم إلی الوحی، لكن ليس هنالك من شكّ أيضاً- و كما اتّضح من المباحث السابقه- فی أنّهم عيّنوا من قِبل اللّه إلی جانب كون إمامتهم ممّا تقتضيه وظيفه مواصله أهداف الرساله، و تطبيق الأحكام الإسلاميه و تفصيل أسرار القرآن علاوه علی استخلافهم من جانب النبی صلی الله عليه و آله. و بعباره أوضح: أنّ الإمامه من الأُصول الرئيسيّه للإسلام و كافّه الشرائع الإلهيه، و أنّ الإمام منصّب من قبل اللّه للنهوض بأهداف الإسلام و زعامه الامّه و توجيهها فی مسيرتها الحياتيه، و خلاصها من مصاعب الحياه، و الأخذ بيدها إلی الصلاح و الفلاح، و هنا لا بدّ من معرفه: هل أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام عالمون بالغيب و الحوادث الخفيّه و تفاصيل الأُمور، أم أنّ علمهم يقتصر علی القرآن و الأحكام؟ قد ذكرنا آنفاً أنّ لهؤلاء الهداه إمامه الأُمّه بعد النبیّ الأكرم صلی الله عليه و آله، و قد نصّت آيه الطاعه أَطِيعُوا اللَّهَ بولايتهم للأمر و تشكيل الحكومه الإسلاميه، فهل ينبغی أن يكون الحاكم الإسلامی عالماً بالغيب، و ما رأی القرآن الكريم بهذا الشأن؟

نقطه ضروريه:

لا ندَّعی فی هذه الأبحاث أنّ مفاد الآيات الكريمه- التی سنعرض لها لاحقاً- صريحه فی أنّ الإمام بالاستناد إلی الفيض الإلهی عالم بالغيب، بل ما تفيده الآيات الوارده بهذا الشأن، هو أنّ الأفراد الذين بيدهم مقدّرات المسلمين علی أنّهم

حکّام المسلمین و أئمّتهم لا بدّ أن تکون دعائم حکومتهم مستنده إلی الاستمداد الغیبی، و أنّهم یعتمدون علی العلم الغیبی الذی یفاض علیهم، و أنّ الإمام إنّما یُمارس زعامته بما یفیض اللّه علیه، و حیث ثبت فی محلّه أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هُم ولاه الأمر و الحکّام، فمن المفروغ منه أن تستند أسس حکومتهم إلی العلم الغیبی. و بعباره اخری: أنّ الحکومه الإسلامیه و تدبیر الأُمور علی أساس الإطار الإسلامی و تصریف شئون القضاء و إداره شئون البلاد و تعریف الأُمّه بوظائفها و کیفیّه التعامل معها و توجیهها و إرشادها، کلّ ذلک لا بدّ أن یستند إلی العلم الغیبی، و علیهم أن یبلغوا الأُمّه ما ألهمهم اللّه من مکنون غیبه. و بناءً علی هذا فإنّ الحاکم الإسلامی إنّما یستند إلی العلم الغیبی فی حکومته و توجیهه و زعامته للُامّه، و لمّا کانت الحکومه الإسلامیه للأئمّه الأطهار علیهم السلام بعد النبیّ صلی الله علیه و آله کان لا بدّ من علمهم التامّ بالمغیّبات و الحوادث الخفیّه و ما یواجه الإسلام و المسلمین خلال المسیره. و استناداً لهاتین المقدّمتین- اللتین هما بمثابه الصغری و الکبری- یثبت أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام زعماء الدین مطّلعون علی الغیب، عالمون بالحوادث الواقعه و ما یمت بصله لسعاده الامّه. أمّا کبری هذا الدلیل فهی الآیات التی سنتطرّق إلیها، و التی تفید استناد الحاکم الإسلامی لعلم الغیب، و أمّا صغراه فهی الآیات السابقه التی صرّحت بأصل الإمامه علی غرار أصل النبوّه، و أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام من بنی هاشم هم أُولو الأمر بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله. و نخوض الآن فی الآیات التی تمثّل کبری الدلیل، أی الآیات التی تفید ضروره استناد الحاکم الإسلامی فی شئون الحکومه إلی علم الغیب و کونه عالماً بالغیب.

الآیه الأُولی:

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ وَ لا تَکُنْ لِلْخائِنِینَ خَصِیماً(۱). واضح أنّ ما أری اللَّه نبیّه و أراده هو أن تکون حکومته و دعائمها قائمه علی أساس ذلک العلم بالمغیّبات، و قد ذکر کِبار المفسّرین من قبیل الشیخ الطوسی- المحقّق المعروف- فی سبب نزول الآیه أنّ الإخوه الثلاثه من بنی زریق و هم بشر و بشیر و مبشّر سرقوا سیفاً و درعاً و طعاماً من عمّ قتاده بن النعمان، فأتی قتاده رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بطلب من عمّه لاسترداد تلک المسروقات، و قد کان قتاده وجیهاً محترماً لدی رسول اللَّه صلی الله علیه و آله؛ لأنّه شهد بدراً. فبعث السرّاق بأسیر بن عروه- و کان منطیقاً یشفع لهم عند النبی صلی الله علیه و آله، فسمع ابن عروه مقاله قتاده، فقال مُدافعاً:

یا رسول اللَّه صلی الله علیه و آله إنّ هؤلاء الإخوه من أشرافنا، فلا أری أن تأذن بأن یساء إلی المسلمین عندک، فحمل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله علی قتاده و عنّفه علی اتّهاماته. و کان لا بدّ للنبی صلی الله علیه و آله من العمل بالظاهر من تعنیفه، لرمیه بعض المسلمین بالسرقه دون الإتیان بدلیل أو حجّه ... فترک قتاده المجلس حزیناً و رجع إلی عمّه مغموماً فقال:

لیتنی متّ و لم أقل للنبی صلی الله علیه و آله ما قلت(۲). فنزلت الآیه لتطّلع النبیّ صلی الله علیه و آله علی الحقیقه و تحکم بخیانه الإخوه الثلاث و تطلب من النبیّ صلی الله علیه و آله أن یستند فی حکمه إلی العلم الواقعی، أی العلم بالمغیّبات، رغم کون ظاهر الأمر یقتضی بما قام به النبیّ صلی الله علیه و آله و یعنّف قتاده، إلّا أنّ اللَّه أشار علیه بالحکم استناداً إلی الغیب و ما أراه سبحانه و ألّا یدافع عن الخائن، فالذی یفیده سبب النزول أنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و بغضّ النظر عن الوحی لا یحیط ببعض الأُمور الجزئیه،

۱- سوره النساء: الآیه ۱۰۵.

۲- تفسیر القمّی ۱: ۱۵۰- ۱۵۱، التبیان فی تفسیر القرآن ۳: ۳۱۶- ۳۱۷، مجمع البیان ۳: ۱۷۴- ۱۷۵.

إلّا أنّه يطّلع عليها و على تفاصيل سائر الحوادث من خلال الاستمداد من الغيب، فالغيب من شأنه أن يحدّد الخائن و السارق و البرى ء. فلا يخفى شى ء على الحاكم الإسلامى، و هو عليم بالأسرار الخفيّه، و أنّ اللّه قد أراه ما تقوم به حكومته. و إذا تأمّلنا العباره «ما أراك اللّه» التى وردت بصيغه الماضى و طبّقناها على هذه الواقعه، لإفادتنا عدم وجود أىّ شى ء مخفى و مستور على النبى صلى الله عليه و آله، و هو عليم بالأشياء بنبوّته المستنده إلى المدد الغيبى، فليس هنالك من ترديد بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ أولئك الإخوه الثلاث سارقون خائنون.

نظره أعمق:

رغم أنّ الآيه الكريمه- بالالتفات إلى سبب النزول- مختصّه بحادثه مع النبى صلى الله عليه و آله، إلّا أنّ التعمّق فى الآيه يفيد ضروره استناد حكومه و زعامه الحاكم الإسلامى- الذى نصّ به اللّه على الخلق- إلى علم الغيب و ما يريه اللّه و يكشف له من مكنونات الأُمور؛ لأنّ مفاد الآيه لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ- مع إلغاء خصوصيه هذا المورد- أنّ الحاكم الإسلامى لا يحكم إلّا بما يريه اللّه و يرشده إليه، و هذا ما يستلزم الاستنتاج بعلم الحاكم و الإمام بالمغيّبات و الحوادث الخفيّه، و لو كانت تلك الحادثه جزئيه و فى زمان خاصّ، و حيث نصّت الآيات السابقه على أنّ الإمام خليفه النبىّ صلى الله عليه و آله فى الحوادث الواقعه و زعامه الأُمّه و ولايه شئونها الإسلاميه فهو يتمتّع بما يتمتّع به النبى صلى الله عليه و آله من علم، و اللّه أعلم.

الآيه الثانيه:

اشاره

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ(۱).

۱- سوره يوسف: الآيه ۱۰۱.

الأحاديث بمعنى «الإخبار عن حوادث الزمان»، فالآيه تفيد تعليمه حوادث الزمان بتفاصيلها، أى العلم الغيبى.

منصب يوسف عليه السلام:

إنّ يوسف الصدّيق الذى واجه تلك المصائب و الويلات التى ملأت حياته بالألم و المعاناه و الحرمان و الفِراق، و بعد أن أثبت خلوصه فى عبوديه اللّه و كفايته حظى بشى ء من زعامه مصر و أصبح أميناً لخزانتها، و حيث كان من أنبياء اللّه و قد جعله اللّه فى ذلك المقام و فوّض إليه إداره الشئون الماليّه للبلاد، وجب أن يكون عالماً بخزائن الغيب و مكنوناته و حوادث الزمان و المرجع فى تلك الوقائع و الأحداث. و بناءً على هذا فإنّ الحاكم و إن كان دون الزعيم العام و أوطأ درجه منه، فإن كان يشغل هذا المنصب من جانب اللّه فهو عالم بالمغيّبات و الحوادث الخفيّه. و قد نبّه القرآن الكريم إلى قبس منه فى تأويل الأحلام و ارتداد يعقوب بصيراً(۱)، و عليه: فإنّ الزعامه الإلهيه تتطلّب العلم بالمغيّبات و الإحاطه بالحوادث سواء كانت هذه الزعامه متمثّله بيوسف عليه السلام، أم غيره من الزعماء الربّانيين، و ذلك لأنّ الآيه الكريمه صريحه فى أنّ مَن تصدّى للملك من قِبل اللّه لا بدّ أن يكون ملمّاً باسلوب إداره شئون البلاد و الاستمداد الغيبى.

الآيه الثالثه:

وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشاءُ(۲). يتّضح من التأمّل فى قصّه طالوت و جالوت- التى ذكرنا تفاصيلها سابقاً أنّ

۱- سوره يوسف: الآيات ۴۳- ۴۹ و ۹۶.

۲- سوره البقره: الآيه ۲۵۱.

زعامه الامّه إنّما تفوّض إلی الصالحین من الأفراد ممّن تتوفّر فیهم شرائطها، من قبیل العلم و القدره و ... و أنّ اللّه هو الذی زوّد الملک بتلک القدره العلمیه، حیث صرّحت الآیه قائله: وَ قَتَلَ داوُدُ جالُوتَ وَ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ. و لعلّ فاعل «یشاء» ضمیر یعود إلی داود، أی أنّ اللّه آتی داود کلّ ما شاء من العلم. و ربّما عاد الضمیر إلی «اللّه» أی أنّ علم داود من اللّه، و قد أفاض اللّه ما شاء من العلم علی داود. علی کلّ حال فالمعنی المستفاد هو أنّ زعیم البلاد- الملک- ینبغی أن یکون عالماً بالمغیّبات محیطاً بالمکنونات، و أنّ زعامته لا تستند إلی الطرق و الجهود المتعارفه فی الحصول علی العلم، بل وسیلته فیها إفاضات الحقّ سبحانه فی الوقوف علی الأسرار، سواء کان هذا الزعیم داود، أو أیّ فرد آخر ینصّبه اللّه.

الآیه الرابعه:

وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ(۱). تری الآیه أنّ الإمامه منصب إلهی، کما تدلّ علی أنّ الإمام یتولّی الأمر بالاستمداد الغیبی، و الذی تفیده هذه الدلاله استناد الإمام فی زعامته إلی العلم الغیبی. و بناءً علی هذا فللأئمّه الأطهار علیهم السلام مثل هذا الامتیاز؛ لأنّهم مصطفون من قبل اللّه، غایه ما فی الأمر أن لا سبیل إلی الوحی، و أمّا سائر السبل فمفتوحه.

ثمره هذا البحث القرآنی:

لقد أصبح الأمر جلیّاً بأنّ أئمّه الإسلام إنّما یستندون إلی الغیب فی زعامتهم

۱- سوره الأنبیاء: الآیه ۷۳.

و أنّهم مطّلعون على خفايا الأُمور، و لكن ما مدى هذا الاطّلاع و العلم، و كيف يتأتّى لهم هذا العلم؟ لا يمكن الاستدلال بهذه الآيات فى هذا الخصوص، و لكن ما يمكن الجزم بقوله هو أنّ علمهم بكيفيّه تؤدّى إلى هدايتهم إلى الصراط المُستقيم و إلى سبل السلام، و أن تكون هدايتهم صائبه صحيحه تماماً، فهم الهُداه إلى الحقّ و الحقائق المسلّمه، و ذلك بفعل استنادهم إلى الغيب، و ليس هنالك من سبيل إلى خطأ هذه الهدايه، و بالتالى فشل و هلاك الامّه أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدى(۱). كما نعلم من جانب آخر أنّ هؤلاء زعماء إلى الأبد، و قد تقدّم هذا البحث و ثبت فى حينه أنّ العالم الإسلامى لا بدّ أن يخضع- و إلى قيام الساعه- فى قيادته لمثل هؤلاء الزُّعماء. و بناءً على هذه النتيجه و المقدّمتين فإنّ علمهم بالحوادث الخفيّه و ما ستواجهه الأُمّه الإسلاميه فى المستقبل، و لا سيّما الحوادث ذات الصله بكيان الإسلام و المسلمين إنّما تثبت و توضّح أمرين، هما: ۱) أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام هم الزعماء و القاده إلى الأبد. ۲) أنّ زعامتهم و بالاستناد إلى المدد الغيبى و العنايه الإلهيه هى عين الصواب و التى تتضمّن الهدايه المطلقه إلى الحقّ. و أمّا ثمره هاتين المقدّمتين؛ فهى أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام عالمون بالحوادث الخفيّه و ما ستواجهه الامه الإسلاميه إلى يوم القيامه، و ذلك لأنّه لا يمكنهم أن يكونوا زُعماء إلى الأبد ما لم يكونوا عالمين. و إن قُلنا بأنّهم زعماء إلى الأبد، و لكن ليس من الضرورى أن يكونوا عالمين بجميع الحوادث، فإنّ هذا ينقض الفرض

۱- سوره يونس: الآيه ۳۵.

القائل بأنّ زعامتهم هی عین الصواب. إذن، فالعلم و الاطّلاع من مستلزمات خلود زعامتهم. کما أنّ ملزوم هدایتهم المطابقه للواقع و البعیده عن الفساد هو علمهم بجمیع الحوادث. و هنا یبرز هذا السؤال: أ یمکن أن تکون توجیهات و هدایه الزعیم صائبه و دون شائبه فی حین لیس له من علم بالحوادث، و أنّه یقود الأُمّه إلی سبل السلام و یهدیها إلی الصراط المستقیم حین تعترضها بعض الأحداث التی لم یتکهّن بها؟ کیف یمکن الاعتقاد بأنّ الأئمّه علیهم السلام هم الزعماء إلی الأبد، و أنّ الامّه تحذو حذوهم بینما یجهلون عواقب الامور و الأحداث! و کیف لنا أن نتصور أنّ هدایتهم عین الواقع إلی الأبد و هم جاهلون بالوقائع؟!

و علیه: فإنّ افتراض عدم علم الأئمّه علیهم السلام إنّما یستلزم إنکار أصلین قرآنیین مسلّمین، و هما: ۱- الزعامه الأبدیّه للإمام. ۲- الهدایه الواقعیه التی تأبی الفساد أَ فَمَنْ یَهْدِی إِلَی الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ یُتَّبَعَ أَمَّنْ لا یَهِدِّی إِلَّا أَنْ یُهْدی(۱). فکأن مفهوم الآیه هو أنّ مَن یهدی إلی الحقّ و لیس للباطل من سبیل إلیه هو الإمام الأبدی، و الإمام الأبدی لن یخطئ؛ لأنّ الاتّباع ورد مطلقاً فی الآیه، و علیه: فالإمامه دائمه أیضاً، أمّا نفی العلم بالحوادث المستقبلیه عن الإمام الأبدی ذی الهدایه الواقعیه الصائبه إنّما هو مکابره و جدل فارغ.

علائم الإمام علیه السلام:

بغضّ النظر عن الشرائط التی بحثت فی الآیات الماضیه التی تکشف النقاب عن علائم الإمام و شرائط الإمام من وجهه نظر القرآن الکریم، فقد اتّضحت

۱- سوره یونس: الآیه ۳۵.

الأبعـاد العلميه للإمام فی ما یلی: ۱- أنّ الإمـام یمـارس زعامته من خلال الاعتماد علی الغیب. ۲- الزعامه الروحیه- الأشـمل من الإمـامه و النبـوّه- لیست سوی المعرفه بـالغیب، و لم تجر المشـیئه الإلـهیه أن یطّلع النـاس علی الغیب دون الوسـیط العـالم بسـبل السعاده و الفلاح، بل لا یتحقّق هذا الهدف إلّا فی ظلّ صفوه ربّانیه، و هذه هی إراده اللّه فی أنّه «لا یُظْهِرُ عَلی غَیْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضی مِنْ رَسُولٍ»(۱). ۳- أنّ أئمّه الـدین عـالمون بـالغیب خبیرون بما حُجِب عن الأبصار. ۴- هـدایتهم بالنظر لاعتمادهم علی الغیب مطـابقه للواقع تـأبی الخطـأ و الانـحراف. ۵- حـدّ الهـدایه و الإرشـاد هو المسـیره التـأریخیه للبشـریه، و علیه: فهم عـالمون بحوادث البشـریه و عاقبتها. ۶- کـلّ هـذه الامـور من الفیوضات الغیبیه و العنایات الإلهیه، و إلّا فهم لا یتجاوزون الإمکان العلمی فی الحدود الإنسانیه.

التصدّی للانحراف:

لقـد أشـار القرآن فی أکثر من آیه إلی روح اللجاجه و العناد و عـدم التسـلیم التی تحکم روح الإنسان طیله عصور الأنبیاء علیهم السـلام، لکن أحیاناً یخرج عن حاله التسـلیم الطبیعی لیقع فی مستنقع الضلال. فالقرآن یُشیر إلی هذا الأمر، و أنّ هناک طائفه لم تؤمن بنبوّه عیسـی علیه السـلام حتّی همّت بقتله، بینما ذهبت طائفه اخری و سـلّمت لأُلوهیّه نبی اللّه عیسی علیه السلام، و لذلک جهـد القرآن فی محاربه هـذه الأفکار الضالّه المنحرفه، و الواقع هو أنّ هذا الضـلال الذی شـمل ملایین النصاری الروم إنّما کان معلولًا

۱- اقتباس من سوره الجنّ: الآیتان ۲۶- ۲۷.

لولادته من الامّ دون وجود الأب، أی الولاده من غیر المسیر الطبیعی الإنسانی، و قد رکّز القرآن الکریم علی أنّ الولاده الطبیعیه خاضعه لإراده اللّه تابعه لقدرته، و إن کان هناک من ولید دون أب؛ فإنّه لا یعنی أنّه خارج عن الولاده الإنسانیه الطبیعیه و أنّه فوق الإنسان الطبیعی، و ذلک لأنّ القدره و الإراده الإلهیه أعظم من هذه الأُمور، فاللّه هو الذی یخلق من العدم، کما یخلق آدم من تراب، و علیه:

فعیسی علیه السلام لیس خارجاً عن دائره الإمکان، فهو کسائر المخلوقات التی اکتسبتها المشیئه الإلهیه حقیقه الوجود.

هدف الآیات النافیه لعلم الغیب:

لا یبدو مستبعداً علی ضوء الآیات التی وردت بشأن علم النبیّ و أئمّه المسلمین أن یکون الهدف من نفی علم الغیب عن النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله هو الأمر المهمّ الذی ذکرناه سابقاً، فقد ترعرع النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله فی بیئه تتّصف بالجهل و الخرافه و آلاف العیوب و عدم التعرّف علی العالم الإنسانی، و قد سطع نوره فی ظلمات القلوب، فلعلّ هناک بعض الأفراد الذین یفقدون باصرتهم إثر ترکیزهم علی رؤیه الشمس، فقد کانت لشخصیه النبیّ صلی الله علیه و آله و قدرته العلمیه و سموّه و رفعته أثرها فی نفوس البعض الذی یخشی علیه من الاضطراب، کما یمکن أن یصل بعض المؤمنین إلی المغالاه فی الحقّ بالنسبه للنبی صلی الله علیه و آله؛ و بالتالی یُصابون بما اصیب به النصاری فیقولون بالوهیه محمّد صلی الله علیه و آله، و لهذا جهد القرآن علی إضفاء حاله الاعتدال لدی المسلمین و عدم الانحراف عن الصراط. و لذلک نری القرآن الکریم لا ینفک یؤکّد ما معناه أنّ محمّداً لیس إلّا بشراً مثل سائر الأفراد، کما أنّ شعار الإسلام الذی یکمن فی الشهاده قد تضمّن التأکید علی عبودیه محمّد للّه «و أشهد أنّ محمّداً عبده و رسوله»، فالقرآن سعی من خلال نفیه

علم النبی صلی الله علیه و آله بالغیب لإبعاد التصوّر الذی قد یسود الأذهان بأنّه فوق البشر، و لا یغفلوا عن کونه عبداً من عبید اللَّه لیبلغ الوحی و الرساله. و من هنا لا بدّ من القول بأنّ الآیات النافیه لعلم الغیب إنّما تجرّده من العلم الذاتی للغیب، فهو لیس بذاته محیط بالأسرار و الخفایا، لیتصوّر بأنّه إله فی الأرض، و أنّ اللَّه سبحانه بعنایته و لطفه و فیضه إنّما یرفع عنه حجب الغیب و یطلعه علی المکنونات، فالنبیّ صلی الله علیه و آله کالمرآه التی تعکس نور اللَّه سبحانه. و لذلک تطالعنا أیضاً- و فی إطار الهدف المذکور- بعض الآیات التی تسلبه القدره الذاتیّه علی هدایه الامّه، بل أبعد من ذلک أنّ بعض الآیات سلبته بعض الأفعال الاختیاریه وَ ما رَمَیْتَ إِذْ رَمَیْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ رَمی(۱)، کما سلبته الهدایه إلی الصراط المُستقیم تحقیقاً لذلک الهدف إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ(۲). نعم، لقد تنوّعت الأسالیب و الخطابات القرآنیه التی تروم تفادی الانحراف الفکری و الغلوّ فی شخص النبی صلی الله علیه و آله بفعل الکمالات العالیه التی اشتملت علیها شخصیته، و أحیاناً ترد بعض الآیات القرآنیه علی لسانه قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحی إِلَیَ(۳)، و کلّ ذلک بالطبع یهدف إلی عدم ضلاله القوم و تورّطهم کتورّط النصرانیه فی نسبتها المسیح للربوبیه، و إلّا فمحمد صلی الله علیه و آله لم یسلک وادیاً و لم یهد إلی سبیل إلّا من خلال الغیب، أو هناک تفسیر سوی الغیب لهذه الفصاحه القرآنیه و المعارف العلمیه و الحقائق الاجتماعیّه و السیاسیه و المدنیه و البلاغیه التی أتی بها بشر امّی؟

۱- سوره الأنفال: الآیه ۱۷.

۲- سوره القصص: الآیه ۵۶.

۳- سوره الکهف: الآیه ۱۱۰.

إذن، فحديثه عن الغيب و كشفه الحجب إنّما يستند فيها إلى الحقّ سبحانه نور السموات و الأرض، و أمّا الآيات التى نفت علم الغيب عنه وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ ما مَسَّنِيَ السُّوءُ(۱) إنّما تنفى الغيب الذاتى للنبى صلى الله عليه و آله، و كأنّه يريد أن يقول بأنّى لا أعلم شيئاً إلّا ما أفاض علىّ الحكيم المطلق.

آيات أُخرى:

نذكر هنا طائفه من الآيات التى تؤيّد ما ذهبنا إليه سابقاً: ۱- قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لا رَشَداً(۲). ۲- إِلَّا بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَ رِسالاتِهِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أَبَداً(۳). ۳- قُلْ إِنْ أَدْرِي أَ قَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً(۴). ۴- عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً* إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً(۵). فالآيات تكشف عن عدم قدره النبىّ صلى الله عليه و آله على النهوض بالإنسان و إيصاله إلى مراحل الكمال بالاستناد إلى نفسه دون الاستمداد من الغيب الإلهى. إذن، لا شكّ فى أنّه ليس له من وسيله إلى تربيه الأُمّه و إرشادها و إبلاغها رسالات السماء و قيمها سوى الاستناد إلى الغيب، و كلّ ما يأتى به إنّما هو الغيب،

۱- سوره الأعراف: الآيه ۱۸۸.

۲- سوره الجنّ: الآيه ۲۱.

۳- سوره الجنّ: الآيه ۲۳.

۴- سوره الجنّ: الآيه ۲۵.

۵- سوره الجنّ: الآيتان ۲۶- ۲۷.

و لیس هنالک إلّا بعض النوادر التی لم یطّلع علیها النبیّ صلی الله علیه و آله من قبیل الساعه، و لعلّ مثل هذا الأمر خارج عن طاقه العقل البشری مهما کانت قوّته، و لیس ذلک إلّا إلی علّام الغیوب. نعم، إنّ هذه الآیات هی الأُخری واضحه فی نفی علم الغیب عن النبی صلی الله علیه و آله، فی الوقت الذی تصرّح فیه بأنّه إنّما یستند إلی الغیب الإلهی فی مسیرته الدینیه التربویه.

هدف الأئمّه من نفی العلم بالغیب:

هذا هو الأمر الذی واجه الأئمّه الأطهار علیهم السلام أیضاً، فقد کانوا یحدّثون بالأخبار الغیبیّه؛ ممّا حدا بالبعض إلی المغالاه، و لذلک نراهُم أحیاناً ینفون وقوفهم علی مثل هذا العلم. و نری من الأفضل أن نورد بعض النماذج التی ذکرها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله أو الأئمّه علیهم السلام و التی تکشف عن مدی کمالهم و علمهم، ثمّ نتطرّق بعدها إلی تلک الأخبار التی تضمّنت نفیهم الانطواء علی ذلک العلم، و لا نری من حاجه للخوض فی المزید من الأخبار التی وردت عنهم، فنوکل هذا الأمر إلی الکتب الروائیه و التأریخیه التی شحنت بهذه الأخبار، و نکتفی بذکر بعض الأخبار التی وردت عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید، ثمّ نورد عباراته بهذا الشأن بصفته متتبّعاً لا غرض له، إذ لیس هو من علی علیه السلام.

إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام:

«أیُّها الناس فإنّی فقأتُ عین الفتنه ... فاسألونی قبل أن تفقدونی، فوالذی نفسی بیده لا تسألونی عن شی ء فیما بینکم و بین الساعه، و لا عن فئه تهدی مائه و تضلّ مائه إلّا أنبأتکم بناعقها و قائدها و سائقها، و مناخ رکابها، و محطّ رحالها،

و مَن يُقتل من أهلها قتلًا و من يموت منهم موتاً»(۱). يقول ابن أبى الحديد: «روى أبو عمر محمّد بن عبد البرّ فى كتابه الاستيعاب عن جماعه من الرواه المحدّثين قالوا: لم يقل أحد من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه و آله: سلونى قبل أن تفقدونى إلّا علىّ بن أبى طالب. و قال: «روى شيخنا أبو جعفر الإسكافى فى كتابه نقض العثمانيه، عن على بن الجعد، عن ابن شبرمه قال: ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: «سلونى إلّا علىّ بن أبى طالب عليه السلام». ثمّ خاض ابن أبى الحديد فى الامور الغيبيه التى أوردها أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «لقد أقسم على باللّه الذى نفسه بيده أنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم و بين القيامه إلّا أخبرهم به، و أنّه ما صحّ من طائفه من الناس يهتدى بها مائه، و تضلّ بها مائه إلّا و هو مخبر لهم- إن سألوه- برعاتها و قائدها و سائقها، و مواضع نزول ركّابها و خيولها، و مَن يقتل منها قتلًا، و مَن يموت منها موتاً، و هذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبيّه، و لا ادّعاء النبوّه، و لكنّه كان يقول: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أخبره بذلك». ثمّ أراد أن يؤكّد أنّ ما قاله علىّ فى ادّعائه علم الغيب إنّما هو عين الصواب فقال: «و لقد امتحنّا إخباره فوجدناه موافقاً، فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكوره»(۲). ثمّ قال: لقد حدث كلّ ما أُخبر عنه، فقد قال قبل موته بسنوات: كأنّى بالشقى و قد خضّب هذه بهذه، أى ضربه ابن ملجم، ثمّ أخبر عن قتل ابنه الحسين فى

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۲۳۳- ۲۳۴.

۲- طبعاً لا نحتاج إلى اختبار ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام و يشاركنا فى ذلك السنّه و نفس ابن أبى الحديد، و لكن ليس هنالك من سبيل لمن لا يعتقد بمقام على سوى وقوع الحوادث طبقاً لما أخبر عنها.

کربلاء و استشهاد تلک العصابه معه(۱)، و ما أحرانا أن نورد بعض الأخبار الغیبیه کما ذکرها ابن أبی الحدید، و الأفضل فی ذکر وصف المحبوب أن یأتی علی لسان الآخرین لا علی لسان المحبّ.

الأخبار الغیبیه لعلی علیه السلام:

۱- الإخبار عن حکومه معاویه. ۲- حکومه الحجّاج بن یوسف الثقفی. ۳- قصّه الخوارج و معرکه النهروان. ۴- إخبار بعض أصحابه بالقتل و الصلب. ۵- قتاله للناکثین و القاسطین و المارقین. ۶- عدد أصحابه الذین یهبّون لنصرته من الکوفه فی قتال أهل البصره. ۷- إخباره عن صلب عبد اللّه بن الزبیر و وصفه بأنّه رجل مخادع لا یظفر بما یرید و یتشبّث بالدین من أجل الدنیا. ۸- الإخبار عن خروج الرایات السود من خراسان، و التصریح بأسماء بنی زریق من خراسان الذین یوالون حکومه بنی العباس. ۹- إخباره عن بعض الزعماء من ذرّیته فی طبرستان، مثل الناصر و الداعی و غیرهما. ۱۰- إخباره عن قتل النفس الزکیه فی المدینه قرب موضع أحجار الزیت و الإخبار عن قتل أخیه عند باب حمزه بعد أن یظهر ثمّ یفشل. ۱۱- قصّه إسماعیل بن جعفر بن محمّد علیهم السلام و وصفه بذی البداء و المسجّی بالرداء. و توضیح ذلک: أنّ بعض الروایات صرّحت بالبداء فی إمامه إسماعیل حیث

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۷: ۴۶- ۴۸.

شاء اللّه أن يتغيّر مسار الإمامه التى كانت إليه- طبعاً ذكرنا مسأله البداء فى محلّها و لمّا حضرت إسماعيل الوفاه طرح أبو عبد اللّه جعفر بن محمّد عليهم السلام عليه رداءً، ثمّ وضعه فى لحده مع عدد من كِبار الشيعه ليوقن الجميع بموت إسماعيل. ۱۲- إشارته إلى حكومه بنى بويه بقوله: يخرج من الديلم من «بنى صيّاد»، يذكر أنّ والده كان يصيد السمك و يبيعه، كما أخبر بأنّ بنى بويه يسيطرون على الزوراء و يعزل الوزراء، و هنا قام له رجل فسأله: ما مدّه حكومتهم؟ فقال عليه السلام:

مائه عام أو أقلّ بقليل. ۱۳- إخباره عبد اللّه بن العباس بأنّ الحكومه ستئول إلى ولده، فقد ولد لابن عباس ولد يُدعى «على» فأتى به إلى أمير المؤمنين عليه السلام فجعل شيئاً من لعابه فى فمه و مضغ تمره فجعلها فى فمه و قال: خذه فإنّه أبو الملوك(۱).

الروايات و علم غيب الأئمّه عليهم السلام:

تتّضح بجلاء الشخصيه العلميه للإمام من خلال البحث فى الأخبار و الآيات القرآنيه فى أنّه لا ينطق سوى عن الغيب، و أنّ ذلك ممّا علّمه إيّاه رسول اللّه صلى الله عليه و آله أو أفاضه عليه الحقّ تبارك و تعالى. فأدنى نظره إلى القرآن تفيد أنّ أهل البيت صفوه حظيت بعنايه اللّه، الأمر الذى جعل بصيرتهم تخترق حجب الحوادث الكونيه، بل تقف على كنه العالم و تحيط بأسرار القرآن و خفايا الحوادث و القصص المُستقبليه، و أنّ القرآن قد رسم صورتهم العلميه الحقيقيه. ورد فى الخبر أنّ زراره سأل الإمام الباقر عليه السلام عن الآيه: وَ كانَ رَسُولًا نَبِيًّا(۲) الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع الصوت و لا يرى و لا يعاين الملك» ثمّ استدلّ عليه السلام بقوله

۱- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ۷: ۴۸- ۵۰.

۲- سوره مريم: الآيتان ۵۱ و ۵۴.

تبارک و تعالی: «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِکَ مِن رَسُولٍ وَ لَا نَبِیٍّ وَ لَا مُحدَّثٍ»(۱)،(۲). و روی الحسن بن محبوب، عن الأحول، عن أبی جعفر الباقر علیه السلام فی الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث قال: «أمّا المحدّث فهو الذی یحدّث فیسمع، و لا یعاین و لا یری فی منامه»(۳). و أجاب الإمام الرضا علیه السلام الحسن بن العباس قائلًا: «و الإمام هو الذی یسمع الکلام و لا یری الشخص»(۴). فمضمون هذه الروایات المتواتره یفید أنّ للإمام علیه السلام أُذُناً تجعله یطّلع علی الأسرار و الإحاطه العلمیه، و هذه غیر ظواهر الکتاب و تعلیم رسول اللّه صلی الله علیه و آله. أجل، فالقرآن یعتبر الأئمّه علیهم السلام شُهداء علی الناس یوم القیامه، و أنّی لهم الشهاده علی الآخرین ما لم یطّلعوا علی أعمالهم؟ فقد روی بریده العجلی عن الإمام الباقر علیه السلام أنّه تلا: لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ فقال: فرسول اللّه صلی الله علیه و آله الشهید علینا بما بلّغنا عن اللّه تبارک و تعالی، و نحن الشهداء علی الناس، فمن صدّق یوم القیامه صدّقناه و من کذّب کذّبناه»(۵). فما الذی یفیده هذا الخبر؟ فالإمام شاهد علی الأعمال، و النبیّ شاهد علی الأئمّه علیهم السلام، النبیّ یشهد أنّه علّم الأئمّه الغیب و أوامر اللّه، فالنبیّ شاهد و الأئمّه شهداء علی الناس فی محکمه العدل الإلهی، و أنّ أعمال الامّه لیست بخافیه علیهم، و علی هذا أ فلا ینبغی التصدیق بعلمهم بالغیب و کافّه الحوادث و أعمال الامّه؟

۱- اقتباس من سوره الحج: الآیه ۵۲.

۲- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث ح ۱. لم ترد فی القرآن کلمه« و لا محدّث». الأمر الذی یلزم أن یقال: إنّ هذا من باب تأویل الآیه.

۳- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث ح ۳.

۴- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبی و المحدّث ح ۲.

۵- الکافی ۱: ۱۹۱ الروایه الرابعه: باب أنّ الأئمّه شُهداء اللّه علی خلقه ذ ح ۴.

بحث مختصر حول آیه قرآنیه:

صرّحت آخر آیه من سوره الحج قائله: وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباکُمْ وَ ما جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْراهِیمَ هُوَ سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ مِنْ قَبْلُ وَ فِی هذا لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ(۱). فظاهر الآیه یفید أنّها خطاب لصفوه من زُعماء الدین، و یؤیّد ذلک: ۱) عباره هُوَ اجْتَباکُمْ التی تدلّ علی الاختیار و الامتیاز. ۲) کلمه أَبِیکُمْ لأنّ إبراهیم هو أب الأئمّه الأطهار علیهم السلام لا جمیع المسلمین. ۳) عباره هُوَ سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ و ذلک لأنّ إبراهیم سأل اللَّه صفوه من ذرّیّته مسلمه منقاده للَّه، و قد تناولنا ذلک مسبقاً خلال شرح الآیه الکریمه رَبَّنا وَ اجْعَلْنا مُسْلِمَیْنِ لَکَ وَ مِنْ ذُرِّیَّتِنا أُمَّهً مُسْلِمَهً لَکَ(۲). و بناءً علی هذا فإنّ العباره: لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ خطاب لزعماء الدین و لا سیّما الأئمّه الأطهار علیهم السلام، مضافاً إلی أنّ «الشاهد» غیر المدّعی و المنکر، فالمنکر أو المدّعی هم «الناس». و حقّاً لا بدّ أن یکون الشاهد أُناساً آخرین عالمین بأعمال کافّه الناس، و إذا تعاملنا مع کلمه «الناس» علی ظهورها فإنّها تعنی جمیع العالمین، فنستطیع القول بأنّه لیس هنالک عمل لأیّ فرد یخفی علی زعماء الدین و أئمّه المسلمین. و هکذا یتّضح- علی ضوء هذا الاستدلال- قول الإمام الباقر علیه السلام: «و نحن الشهداء علی الناس». نعم، فالأئمه الأطهار علیهم السلام هم الصفوه من وجهه نظر القرآن التی اختیرت من أجل زعامه الأُمّه: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۳). قال سوره

۱- سوره الحجّ: الآیه ۷۸.

۲- سوره البقره: الآیه ۱۲۸.

۳- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

بن کلیب: قال الإمام أبو جعفر الباقر علیه السلام: «و اللَّه إنّا لخزّان اللَّه فی سمائه و أرضه، لا علی ذهب و لا علی فضّه إلّا علی علمه»(۱). تسند هذه الروایه المعتبره- التی تؤیّدها عشرات الروایات- إلی أبی جعفر الذی أسماه رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بالباقر؛ لأنّه یبقر علم الأوّلین و الآخرین، و نری کیف أنّه یقسم ثمّ یؤکّد قسمه بحرف (إن) و حرف اللام: إنّا لخُزّان العلم! فهل علم اللَّه محدود؟

و علیه: فعلم الأئمّه علیهم السلام هو الآخر لیس بمحدود، فلو قلنا: إنّ جمیع الحوادث و ما خلف الحُجب معلومه عند أئمّه المسلمین، لما کان ذلک جزافاً، و لکن ینبغی التعامل مع هذا الأمر ببصیره القلب للتعرّف علی خاصه عباد اللَّه. لقد جعل اللَّه الأئمّه علیهم السلام أنواراً و طهّر قلوبهم و أرواحهم، فهل من اجتماع بین الظلمه و النور؟ و هل لمن کان نوراً محضاً أن یکون جاهلًا؟ نعم، إنّما هم نور من ذلک النور، و لذلک أوجب القرآن الاقتداء بشعاع هذا النور: فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِی أَنْزَلْنا(۲). لقد قال الإمام الباقر علیه السلام- طبقاً لروایه أبی خالد الکابلی-: «النور و اللَّه الأئمّه من آل محمّد صلی الله علیه و آله إلی یوم القیامه، و هم و اللَّه نور اللَّه الذی أنزل، و هم و اللَّه نور اللَّه فی السموات و فی الأرض، و اللَّه یا أبا خالد لنور الإمام فی قلوب المؤمنین أنور من الشمس المضیئه بالنهار، و هم و اللَّه ینوّرون قلوب المؤمنین، و یحجب اللَّه- عزّ و جلّ- نورهم عمّن یشاء فتظلم قلوبهم، و اللَّه یا أبا خالد لا یحبّنا عبد و یتولّانا حتّی یطهّر اللَّه قلبه، و لا یطهّر اللَّه قلب عبد حتّی یسلّم لنا و یکون سلماً لنا، فإذا کان سلماً لنا سلّمه اللَّه من شدید الحساب و آمنه من فزع یوم القیامه الأکبر»(۳).

۱- الکافی ۱: ۱۹۲ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام ولاه أمر اللَّه ح ۲.

۲- سوره التغابن: الآیه ۸.

۳- الکافی ۱: ۱۹۴ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام نور اللَّه عزّ و جلّ ح ۱.

علل الزعامه:

لقد تعرّضت الروايه السابقه إلى الفصول المميّزه للإمامه فى الإسلام، كما أشارت إلى علل اتّباع زعامتهم و إمرتهم و أنّ زعامتهم نور إلى يوم القيامه، فهم زعماء إلى الأبد، و الامّه تستضى ء بنور علمهم على الدوام، و الزعيم من يستطيع التغلّب على المشاكل و الصعوبات و يبعث الأمل فى قلوب أفراد الامّه. فمثل الذين ينكرون علم الإمام التام كمثل خفافيش الليل التى لا تطيق رؤيه الشمس، فليس للقلوب المدنّسه و النفوس المريضه أن تدرك شأن الإمام، فمعرفه الإمام تتطلّب قلباً طاهراً، و لا يطهر القلب إلّا بتسليمه و استسلامه لهذه الزعامه، و التسليم لهم لا يتمّ إلّا من خلال الإقبال عليهم و الاستفاده من أفكارهم العظيمه و نهجهم القويم، الأمر الذى يبعث على سعه الصدر و انشراح القلب، و هذا بدوره يميط عن الإنسان رذائل الأخلاق و يحلّ عقد الحياه و يبعث الأمل فى النفوس. و لا يرتجى من الزعيم سوى إيصال الأُمّه إلى كمالها المنشود و إزاله المشاكل عن طريقها، و طالما كانت هذه الامور متوفّره فى الأئمّه الأطهار عليهم السلام، فهم قاده الدين و أئمّه الخلق لا محاله. و بناءً على هذا فإنّ الإمام الباقر عليه السلام و بذكره للعلل السابقه قد لفت الانتباه إلى ضروره زعامه آل محمّد صلى الله عليه و آله. و هو ذات الأمر الذى قاله الإمام الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمر: كان أمير المؤمنين عليه السلام باب اللّه الذى لا يؤتى إلّا منه، و سبيله الذى من سلك بغيره هلك، و كذلك يجرى لأئمه الهدى واحداً بعد واحد(۱).

۱- الكافى ۱: ۱۹۶ باب أنّ الأئمّه عليهم السلام هم أركان الأرض ح ۱. هذه الروايه ضعيفه السند، غير أنّه هنالك عدّه روايات وردت بهذا المضمون فهى مؤيده لهذه الروايه.

وحده الموضوع:

كان البحث بشأن الأخبار و الآيات التى كشفت عن المرتبه العلميه للأئمه عليهم السلام، و قد اتّضح لدينا خلال الأبحاث أنّ أئمّه المسلمين هم الصفوه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله الذين حظوا بلطف اللّه و عنايته ببصيره ثاقبه جعلتهم يقفون على جميع أسرار القرآن و خفايا الحوادث و مكنونات قصص الماضين و مصير المسلمين، و للوقوف أكثر على منزلتهم العلميه نتابع ما ورد فى الخبر عن الإمام الباقر و الصادق عليهما السلام أنّهما قالا: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «علمتُ علم المنايا و البلايا و الأنساب و فصل الخطاب، فلم يفتنى ما سبقنى، و لم يعزب عنّى ما غاب عنّى»(۱). و لا تقتصر هذه المنزله على على عليه السلام، بل هى لجميع الأئمّه عليهم السلام، فقد قال الإمام الرضا عليهم السلام: «عندنا علم البلايا و المنايا و أنساب العرب و مولد الإسلام»(۲).

الذهول و الدهشه!!

لعلّ مثل هذه الكلمات أثارت اضطراب البعض و جعلته يشعر بالدهشه و الذهول، و لا غرو و لا عجب! إنّنا نرى العجائب فى العالم و نشاهد الغرائب، إلّا أنّنا نمرّ مرّ الكِرام، فنرى المرتاضين الذين جعلهم الارتياض يصيبون فى بعض ما يتكهّنون و من خلف الحجب و الكواليس يتحدّثون، أو نلتقى بعض الأفراد الورعين الذين يتحدّثون أحياناً عن أسرار حياتنا فلا نتعجّب ممّا يقولون. فقد فتحت بعض نوافذ العلم بوجه تلك الطائفه من المرتاضين إثر رياضتهم و لو كانت بالباطل. و هذه الطائفه من العارفين السالكين حصلوا على ذلك إثر اتّباعهم الحقّ و هجرهم الشهوات، فى

۱- الكافى ۱: ۱۹۷- ۱۹۸ باب أنّ الأئمّه عليهم السلام هم أركان الأرض ح ۲ و ۳.

۲- الكافى ۱: ۲۲۳ باب أنّ الأئمّه عليهم السلام ورثوا علم النبىّ ... ح ۱.

حین تتلمذ الأئمّه الأطهار علیهم السلام فی مدرسه الرساله، و قد نالوا الإخلاص فی العبودیه بدعوه إبراهیم علیه السلام، ثمّ جدّوا فی الورع و التقوی و التسلیم و الرضا و الجهاد فی الحقّ و طهاره المولد، حتّی حظوا بعنایه واهب العلم و العقل و النور، فهم تلامذه الوحی و معدن الرساله و مختلف الملائکه. أ فمن العجب أن تکون للأئمه مثل تلک الرؤیه و البصیره بحیث یرون جمیع الأشیاء و یحیطون بکافّه أسرار القرآن و مکنونات الخلقه و مصیر المسلمین؟

فإن کان القرآن صرّح بأنّهم شُهداء علی الناس، فمن الطبیعی أن یفیض علیهم الرحمن بحار العلم و محیطات الحلم و یزوّدهم بالبصر و البصیره، بحیث لا یخفی علیهم شی ء. لقد ذهل عبد اللّه بن أبان الزیّات- الذی یتمتّع بمکانه خاصّه عند الإمام الرضا علیه السلام- حین قال له الإمام علیه السلام: «و اللّه إنّ أعمالکم لتُعرض علیّ فی کلّ یوم و لیله»(۱). فلمّا أحسّ الإمام علیه السلام منه ذلک قال له: أ لم تقرأ الآیه وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ(۲). و هنا التفت ابن الزیّات لیدرک القیمه الحقیقیه للإمام، و أن لیس هناک ما یدعو إلی الدهشه و العجب فی أن یفیض اللّه علی عالم الوجود بمثل هؤلاء العِباد فیلبسهم من حلل الکرامه و العلم، و القرآن یقود إلی هذه الحقیقه. و قد ورد عن أمیر المؤمنین، و علی بن الحسین زین العابدین، و جعفر بن محمّد الصادق علیهم السلام، أنّهم قالوا: نحن شجره النبوّه، و بیت الرحمه، و مفاتیح الحکمه، و معدن العلم، و موضع الرساله، و مختلف الملائکه، و موضع سرّ اللّه(۳).

۱- الکافی ۱: ۲۱۹ باب عرض الأعمال علی النبی صلی الله علیه و آله و الأئمّه علیهم السلام ح ۴.

۲- سوره التوبه: الآیه ۱۰۵.

۳- الکافی ۱: ۲۲۱ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام معدن العلم و شجره النبوّه ح ۱- ۳.

لقد شاء اللَّه لهذا البيت أن يرتفع، فقد رفع إبراهيم بيت اللَّه فسأله أن يرفع مقابل ذلك بيته بأن يُظهر تلك الصفوه التى تعيش التسليم و الانقياد و الطاعه و العبوديه للَّه، و قد استجاب اللَّه دعوته. و قد قال القرآن بهذا الشأن: فِی بُیُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ یُذْکَرَ فِیهَا اسْمُهُ یُسَبِّحُ لَهُ فِیها بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ* رِجالٌ لا تُلْهِیهِمْ تِجارَهٌ وَ لا بَیْعٌ عَنْ ذِکْرِ اللَّهِ(۱). و قال الصادق علیه السلام: «إنّ اللَّه لا یجعل حجّه فی أرضه یُسأل عن شی ء فیقول: لا أدری»(۲).

خلاصه هذا الفصل:

۱- اعترف ابن أبی الحدید بعلم أمیر المؤمنین علیه السلام بحوادث المستقبل حتّی قال:

«و لقد امتحنّا إخباره فوجدناها موافقه، فاستدللنا بذلک علی صدق الدعوی المذکوره»(۳). ۲- تبیّن من مجموع الآیات و الروایات أنّ للأئمه علیهم السلام شخصیه بارزه فی العِلم لدرجه الإحاطه بالغیب و الحوادث إلی جانب التبحّر فی علم الکتاب و أسرار الدین، بحیث إنّ اللَّه جعلهم شهوداً علی أعمال الناس بنصّ القرآن، و لم یصطفیهم اللَّه إلّا لإخلاصهم و تسلیمهم و عبودیتهم له سبحانه، و هم عیبه علم اللَّه و نوره، الأمر الذی برّأهم من کلّ عیب و نقص و جهل، و هذا ما جعلهم یلهمون العلم بکافّه الحوادث و خفایا الخلیقه و الإحاطه بما کان و یکون، کما وقفنا علی حدیث الإمام الرضا علیه السلام حین قال: إنّ أعمال الناس تُعرض علیّ فی الیوم و اللیله،

۱- سوره النور: الآیتان ۳۶- ۳۷.

۲- الکافی ۱: ۲۲۷ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام عندهم جمیع الکُتب ح ۱.

۳- تقدّم فی ص ۱۶۵.

مستدلاً بجوابه لابن الزيّات بالآيه الشريفه: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ.

ثمره هذه الخلاصه:

ليست هنالك من ثمره لهذه الخلاصه سوى أنّ الأئمّه الأطهار عليهم السلام إنّما ينظرون بنور خاص إلى العالم و بصيره ثاقبه بالغيب و خبره بمتطلّبات الأُمّه الإسلاميه و المسلمين إلى الأبد. و لعلّ هذه الامور قد تبادرت إلى أصحاب الأئمّه عليهم السلام ليؤمنوا بأنّ أئمّه الإسلام عالمون بالغيب، و يسرّنا هنا أن نستشهد على ذلك بشاهد حيّ لترى كيف يفصح الإمام عن وقوفه على علم الغيب فى الوقت الذى ينفيه عن نفسه.

روايه عميقه:

وردت هذه الروايه فى أُصول الكافى فى باب «نادر فيه ذكر الغيب» عن سدير، قد يبدو تردّد البعض فى سندها، إلّا أنّ متنها يشهد بصحّه صدورها، فقد قال: كنت أنا و أبو بصير و يحيى البزّاز و داود بن كثير فى مجلس أبى عبد اللّه عليه السلام، إذ خرج إلينا و هو مغضب، فلمّا أخذ مجلسه قال: «يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلّا اللَّه عزّ و جل، لقد هممتُ بضرب جاريتى فلانه فهربت منّى، فما علمت فى أىّ بيوت الدار هى. قال سدير: فلمّا أن قام من مجلسه و صار فى منزله دخلت أنا و أبو بصير و ميسّر و قلنا له: جعلنا فداك سمعناك و أنت تقول كذا و كذا فى أمر جاريتك و نحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً و لا ننسبك إلى علم الغيب؟ قال: فقال: يا سدير أ لم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت

من کتاب اللَّه عزّ و جلّ: قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ(۱)، قال: قلت: جعلت فداک قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، و هل علمت ما کان عنده من علم الکتاب؟ قال: قلت: أخبرنی به، قال:

قدر قطره من الماء فی البحر الأخضر، فما یکون ذلک من علم الکتاب؟ قال: قلت:

جعلت فداک ما أقلّ هذا. فقال: یا سدیر ما أکثر هذا أن ینسبه اللَّه- عزّ و جلّ- إلی العلم اخبرک به، یا سدیر فهل وجدت فیما قرأت من کتاب اللَّه عزّ و جل أیضاً قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداک، قال: أ فمن عنده علم الکتاب کلّه أفهم، أَم من عنده علم الکتاب بعضه؟

قلت: لا بل من عنده علم الکتاب کلّه. قال: فأومأ بیده إلی صدره و قال: علم الکتاب و اللَّه کلّه عندنا، علم الکتاب و اللَّه کلّه عندنا»(۲). سدیر: هو سدیر بن حکیم المُکنّی بأبی الفضل من أصحاب الإمام السجّاد و الباقر و الصادق علیهم السلام، و قد اعتبرته کتب الرجال ثقه(۳)، و کانت له منزله عند الإمام علیه السلام. و قد حُبس فدعا له الإمام علیه السلام فخرج من السجن ببرکه الدعاء(۴). داود بن کثیر: هو ابن خالد الرقّی، و من ثقات الأصحاب(۵)، و قد قال الصادق علیه السلام: «أنزلوا داود الرقّی منّی منزله المقداد من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله»(۶) و عدّه الشیخ المفید فی إرشاده من ثقات أصحاب الإمام الکاظم علیه السلام، و قال: هو من خاصّته

۱- سوره النمل، الآیه: ۴۰.

۲- الکافی ۱: ۲۵۷ باب نادر فیه ذکر الغیب ح ۳.

۳- معجم رجال الحدیث: ۸/ ۳۴- ۳۷.

۴- اختیار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الکشی»: ۲۱۰ رقم ۳۷۲.

۵- معجم رجال الحدیث: ۷/ ۱۲۳.

۶- مشیخه الفقیه، طریقه إلی داود الرقی، الاختصاص: ۲۱۶.

و أهـل الورع و العلم و الفقه من شـيعته(۱). أبو بصـير: هو ليث بن البُختری المرادی المُكنّی بـأبی بصـير، و هو ممّن لا نقاش فی وثاقته، و هو من أصـحاب الإمام الباقر و الصادق و الكاظم عليهم السلام، فإنّه و إن طعن فيه علماء الرجال باجتهاداتهم إلّا أنّه فی جلالـه قـدره روايه ذكرهـا محمّـد بن قولويه القمی بسـند معتبر عن أبی عبـد اللّه عليه السـلام، أنّ الصادق عليه السـلام قال: «إنّ أصـحاب أبی كـانوا زينـاً أحيـاءً و أمواتـاً، أعنی زراره و محمّـد بن مسـلم، و منهم ليث المرادی و بريـد العجلی، هؤلاء القوّامون بالقسـط، هؤلاء القوّامون بالقسط، هؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون(۲). كان هؤلاء ثلاثه نفر ممّن حضـر مجلس الإمام. أمّا الرابع و هو يحيى البزّاز فلم نعرفه، و يحتمل أن يكون الخزّاز، و هو من أصـحاب الصادق و الكاظم عليهما السلام(۳). فهؤلاء الرجـال الـذين حضـروا مجلس الإمـام الصـادق عليه السـلام هُم من كِبار الفُقهاء و العُلماء، و قـد قارن الإمام منزله داود بن كثير بمنزله المقـداد لدی رسول اللّه صـلی الله عليه و آله، و الحال أنّ المقداد من كِبار صـحابه النبی صـلی الله عليه و آله. و هم ممّن وقف على منزله الإمام و الإذعان له بعلم الغيب، و هذا ما يفيده صدر الروايه.

شرح الروايه:

لقـد تحاشـی الإمام عليه السـلام فی بـدايه الروايه علمه بالغيب، و قـد تنزّل عن مكانته بحيث صـعب عليه العثور على الجاريه فی إحدی غُرف الدار. و نعلم أنّ دار الإمام عليه السلام لم تكن من قَبيل ناطحات السحاب أو قصر الكرملن، بحيث إذا اختفی

۱- الإرشاد للمفيد: ۲/ ۲۴۷- ۲۴۸.

۲- اختيار معرفه الرجال المعروف ب« رجال الكشی»: ۱۷۰ رقم ۲۸۷ و ص ۲۳۹ رقم ۴۳۳.

۳- رجال الشيخ الطوسی: ۳۲۲ رقم ۴۸۰۷، معجم رجال الحديث: ۲۰/ ۹۹ رقم ۱۳۶۱۴.

فیه فرد تعذّر حتّی علی جهاز المباحث العثور علیه، فقد کانت داراً مُتواضعه لا تضمّ إلّا عدّه غُرف. و کیف لا یقف الإمام علی مکانها إذا ما بحث عنها؟! إذن، فالعثور علیها علی ضوء المجاری الطبیعیه لم یکن قضیه صعبه، إلّا أنّ الإمام یعرب عن عجزه عن العثور علیها، فالقضیه طبق الظواهر لا تبدو مقبوله، و هذا هو الأمر الذی أذهل خواص الأصحاب. أمّا ذیل الروایه، فقد کان دلیلًا قاطعاً علی قدره الإمام اللامتناهیه، فقد قال:

إنّ آصف بن برخیا قد أتی سلیمانَ بعرش بلقیس بتلک المسافه فی طرفه عین و لم یؤت من العلم إلّا قطره من بحر، فهو عالم ببعض الکتاب، أو لیس لمن أوتی علم الکتاب کلّه أن یعثر علی تلک الجاریه التی لا تبعد عنه سوی بضعه أمتار؟ قطعاً هنالک مصلحه جعلت الإمام یصدّر الروایه بذلک العجز عن العثور علی الجاریه، و أنّی لداود أن یصدّق عجز الإمام علیه السلام عن العثور علی الجاریه؛ و هو الذی وصل ابن عمّه فی المدینه بذلک البعد الشاسع عن الإمام علیه السلام و قد أحسن إلیه خفیه، فلمّا حضر استقبله الإمام و أشاد بعمله![(۱)] و کیف یصدّق أبو بصیر عدم استطاعه الإمام العثور علی تلک الجاریه و قد بشّره حین دخوله الکوفه بولاده ابنه عیسی، و أنّ اللّه سیرزقه ولَدین و بنتین غیره[(۲)]! أجل هذه الشواهد و ما شابهها تؤکّد وجود بعض العلل و الدوافع التی جعلت الإمام علیه السلام ینفی عن نفسه فی صدر الروایه العلم بالغیب، و یکفی ذیل الروایه شاهداً علی ما نقول فی دحض صدرها. و علیه فلا بدّ من تحرّی الدوافع.

۱- بصائر الدرجات: ۴۲۹ ح ۳ أمالی الطوسی: ۳/ ۴ ح ۹۲۹، الخرائج و الجرائح: ۲/ ۶۱۲ ح ۸، مناقب آل أبی طالب علیه السلام لابن شهرآشوب: ۴/ ۲۲۷، وسائل الشیعه: ۱۶/ ۱۱۱، کتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس ب ۱۰۱ ح ۱۵.

۲- دلائل الإمامه: ۲۶۳ ح ۱۹۳، الخرائج و الجرائح: ۲/ ۶۳۶ ح ۳۷، کشف الغمّه: ۲/ ۱۹۰، المحجّه البیضاء: ۴/ ۲۶۱.

دوافع نفی الإمام علمه بالغیب الدافع الأوّل:

إنّ أهمّ دافع جعل الإمام علیه السلام یسلب عن نفسه العلم بالغیب، هو الظرف الخاصّ الذی عاشه الإمام فی ذلک الزمان و الذی شهد تفتّح آفاق العلم، لینهمک الإمام فی بیان أحکام الإسلام و حقائق القرآن و نشر العلم و تفادی کلّ ما من شأنه أن یحول دون القیام بهذه الوظائف. کان خلیفه زمانه الطاغیه السفّاح المنصور الدوانیقی الذی کان یتحیّن الفُرَص لقتل الإمام و إزاله هذه العقبه عن طریقه. کان الإمام شدید الحرص علی عدم اثاره مثل هذه المواضیع التی تؤلّب ذلک الجبّار الغاشم من أجل تصفیته و القضاء علیه، الأمر الذی یعنی الحیلوله دون نشر معارف الدین و الأحکام. فلو قال الإمام: أنا عالم بالغیب جدیر بالإمامه و الخلافه، لکان ذلک کافیاً لسلّ المنصور سیفه و قتله، و علیه فلا ینبغی أن یشیع هذا الأمر بین الأوساط الاجتماعیّه، و یکفی أن یعلم ذلک بعض خواصّه و حمله أسراره، و سوف لن تستطیع الغربان أن تحجب الشمس إلی الأبد، فلا بدّ للّیل أن ینجلی و لا بدّ للطوق أن ینکسر. و لنعد ثانیه إلی مجلس الإمام: لقد اجتمعت أُمّه عظیمه فی مجلس الإمام علیه السلام، و کلام الإمام یفید أنّ علمه بالغیب قد شاع فی المدینه، و أنّ الألسن تتناقل علم الإمام بالغیب، و قطعاً کان الأمر قد بلغ المنصور. فما أحسن هذه الفرصه التی تجعل الإمام یتصدّی للدفاع عن نفسه فیستدلّ بمثل بسیط یقنعهم بعدم علمه بالغیب، و لم یکن هنالک أعمق من ذلک المثال الذی اعتمده الإمام للقضاء علی تلک الشائعه. أنّی للإمام العلم بالغیب و هو الذی عجز عن العثور علی جاریه فی غرفه من غرف داره؟! لا- شکّ أنّ ذلک الکلام سیؤثّر کثیراً و یؤتی أُکله، کما لا شکّ أنّ جلاوزه المنصور- الذین لم ینفکّوا عن تفتیش دار الإمام- سینقلون کلامه إلی المنصور

و سیسکن روعه و تهدأ فورته، ثمّ یتاح المجال من جدید أمام الإمام لمواصله دروسه و نشر علمه. و بناءً علی ما تقدّم فلم یبق لصدور تلک الروایه من محملٍ سوی التقیّه، و لکن لم یبق لدی الإمام سوی الخواصّ من أصحابه و هم لیسوا بالمذاییع، فلم یعد للخوف من سبیل، فأبو بصیر و صحبه لیسوا من أعوان المنصور، بل هم من حمله العلم و رواه الحدیث و فقهاء الإسلام، و التحدّث إلیهم وظیفه شرعیه تأریخیه لا تدع للتقیّه من شأن، فیعمد الإمام هنا إلی إظهار مکنون علمه و الإفصاح عن مقامه علی ضوء القرآن، فحقیقه علمه لا- یعزب عنها صغیر و لا کبیر فی هذا العالم فضلًا عن مکان تلک الجاریه. و هو لا یستطیع الإتیان بتلک الجاریه بحرکه فحسب بل یسخّر العالم بأسره، ما نفهمه من کلمات الإمام علیه السلام أنّه مطّلع علی کافّه أصناف العلم، و کیف لآصف بن برخیا الذی تجرّع قطره من بحر علم الکتاب أن یفعل ما فعل، و یغیب عن علم الإمام شی ء و هو الذی یعوم فی بحر علوم الکتاب و محیطاته؟ و علی ضوء هذا التحقیق و التأمّل فی هذه الروایه التی تصرّح بعلم الإمام بکافّه الحوادث و تمتّعه بالقوّه و القدره التامّه علی فعل الأفاعیل، فهل هنالک من ماء عکر یمهّد السبیل أمام بعض السذّج ممّن تأثروا بالوهابیه للاصطیاد فیه؟ و هل یسع أحد أن یقول لنا بعد ذلک: إنّکم من المغالین فی شخصیه الإمام؟ فهذا الإمام و قد عجز عن العثور علی جاریته!

الدافع الثانی:

أمّا الدافع الثانی الذی أغضب الإمام و جعله ینفی عنه علم الغیب فهو قضیه الإفراط أو التفریط و الغلوّ أو الإنکار، التی سیطرت علی أغلب الأفراد تجاه الإمام، و هذا ما یتوصّل إلیه بسهوله من سیاق الروایه، فی أنّ البعض قد أفرط

بالاعتقاد بعلم الإمام للغيب حتّى رآه أفضل من النبى صلى الله عليه و آله و بلغوا به حدّ الأُلوهيه، على الرغم من أنّ محور الإمامه كان يهدف إلى تحقيق التوحيد و إيصال الأُمّه إلى العبوديه الحقّه، فالإمام يمثّل العبوديه الخالصه للَّه، و جلّ سعيه هو ربط الأُمّه بمعبودها الأوحد و تطهيرها ممّا علق بها من الأوهام و الخرافات، و إلّا فلو قدر لُلامّه أن تضلّ طريقها فى تعاملها مع الإمام فإنّ جهوده ستذهب أدراج الرياح، و هو الأمر الذى يأخذ مأخذه من الإمام و يجعل الغضب و التوتّر يسيطر على جميع كيانه، فيبدو أنّ دافع الإمام من نفيه لعلم الغيب عن نفسه و حصره بالقادر العليم، إنّما يهدف إلى تثبيت الهدف المقدّس المُتبلور فى التوحيد و إزاله الأفكار المنحرفه تجاه شخصيه الإمام. و لم يكن هناك من سبيل أمام الإمام سوى التنازل عن واقعه ليعلم الجميع بأنّ الإمام الصادق عليه السلام إنسان كسائر الناس الذين نشئوا و ترعرعوا فى المدينه، فهو ليس بملك هبط من السماء أو عيسى عليه السلام الذى حلّ فيه روح القدس ليصبح ابن اللَّه!!! و قد اعتمد الإمام الأسلوب العلمى فى سبيل تهذيب أفكار الأُمّه، فينفى عن نفسه العلم بالغيب و يقتصر بهذا الأمر على اللَّه تبارك و تعالى. و الأمر ليس ببدعه فهو يقتدى بالأُسلوب الذى نهجه القرآن، الذى يقتصر علم الغيب بذات اللَّه تعالى، بينما يتوصّل إليه النبى صلى الله عليه و آله من خلال الوحى، و الإمام من خلال تعليم الرسول له إلى جانب الإلهامات الربانيّه و الفيوضات الرحمانيه التى توصله إليه. و لا يستبعد أن يكون الإمام قد استهلّ كلماته بنفى علم الغيب الذاتى تقيّه، فى حين أوكل الحديث عن علمه بالغيب العرضى إلى مجلسه الذى يضمّ خواصّه و حمله أسراره، فقد كشف لهم النقاب عن مدى علمه و قدرته، ثمّ يسند ذلك لعلمه بالكتاب، و من المفروغ منه أنّ العلم بالكتاب لا يتسنّى دون المعلّم.

و بناءً على هذا التعليم و التعلّم من مصادر الغيب قد بلغ الإمام تلك الذروه من السموّ و الكمال، و عليه فليس هنالك من تناقض بين صدر الروايه و ذيلها.

روايتان:

۱- قال جابر: قال الإمام الباقر عليه السلام: ما يستطيع أحد أن يدّعى أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره و باطنه غير الأوصياء(۱).

۲- قال عبد الأعلى مولى آل سام: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: «و اللّه إنّى لأعلم كتاب اللّه من أوّله إلى آخره، كأنّه فى كفّى، فيه خبر السماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن. قال اللّه عزّ و جل: «فيه تبيان كلّ شى ء(۲)»(۳).

ملاحظه:

لا ينبغى أن يتبادر إلى الذهن بأنّ القرآن المتداول غير ذلك القرآن الذى كان آنذاك بيد الأئمّه عليهم السلام، و أنّ الروايات تؤيّد مسأله التحريف، بل المقصود هذا القرآن مع كافّه التفسيرات و التأويلات و الأسرار و المكنونات، و قد كان ذلك القرآن الذى بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فالروايتان تُشيران إلى مطلبين، هما: ۱- معنى أنّ علم الكتاب عند الأئمّه، هو أنّ الأئمّه عليهم السلام محيطون بالكتاب السماوى بجميع ما ينطوى عليه من حقائق و تأويل و تفسير. ۲- ما تتناقله الألسن و تؤيّده الروايات من أنّ الإمام عالم بما كان و ما يكون،

۱- الكافى ۱: ۲۲۸ ح ۲.

۲- اقتباس من سوره النحل: الآيه: ۸۹.

۳- الكافى ۱: ۲۲۹ ح ۴.

إنّما یعنی أنّ الکتاب الـذی یعتمـده الأئمّه علیهم السـلام ینطوی علی کافّه الحوادث الماضـیه و الآتیه و جمیع الحقائق، و أنّ علم الأئمّه إنّما یستند فی بعض عناصره إلی الإحاطه بهذا القرآن المفصّل.

تکرار و تذکیر:

لقـد تعرّفنـا من خلاـل الأبحـاث التی أوردناهـا فی الروایات و الآیات علی علم الإمام علیه السـلام، و لعلّ تکرار الـدلیل- بصـفته فهرسه للأُمور المذکوره سابقاً یمکنه أن یوضّح الجوانب العلمیه للإمام بصوره أفضل. و إلیک هذه الأدلّه:

الدلیل الأوّل:

الـدلیل الأوّل علی علم الإمام و إحاطته بالمغیّبات هو أنّ الزعیم الإسـلامی- الإمام- هو الفرد الذی یسـتند إلی الغیب فی زعامته، فلاـ بـدّ أن تکون هنـاک صـله مباشـره له بمکنونـات العـالم و خفایـاه و إفاضه الحقائق علیه، فإن کان الزعیم هو النبیّ فالإفاضـه بواسـطه الوحی، و إن کان الزعیم هو الإمام فبتعلیم النبی أو الطرق الاخری کالإلهام و العلم بتفصیلات الکتاب السماوی، و الذی سیأتی بیانه قریباً. و یمکن الاستشـهاد ببعض الآیات لإثبات هـذا الأمر: ۱- إِنَّا أَنْزَلْنـا إِلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ(۱). ۲- رَبِّ قَدْ آتَیْتَنِی مِنَ الْمُلْکِ وَ عَلَّمْتَنِی مِنْ تَأْوِیـلِ الْأَحادِیثِ(۲). ۳- وَ قَتَلَ داوُدُ جـالُوتَ وَ آتـاهُ اللَّهُ الْمُلْکَ وَ الْحِکْمَهَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا یَشاءُ(۳).

۱- سوره النساء: الآیه ۱۰۵.

۲- سوره یوسف: الآیه ۱۰۱.

۳- سوره البقره: الآیه ۲۵۱.

۴- وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ(۱). لقد أفادت هذه الآیات أنّ الزعیم هو صاحب الملک المصطفی من اللّه و الذی یحظی بعنایته الخاصّه و إرشاده و توجیهه من أجل الإحاطه و العلم بالمغیّبات، و حیث ثبت فی محلّه أنّ الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم زُعماء الأُمّه إلی الأبد، فلا بدّ من الإذعان بأنّهم مشمولون بلطف اللّه و فضله؛ لیتمکّنوا بزعامتهم من الأخذ بید الناس إلی السعاده و الفلاح، و یزیلوا بقدرتهم العلمیه ما یعترض سبیلهم من مشاکل و صعوبات و أزمات.

الدلیل الثانی:

دلّ القرآن الکریم علی أنّ زعماء الدین المنصّبون یسلکون الصراط المستقیم و یهدون إلیه أَ فَمَنْ یَهْدِی ... و أنّهم یهدون إلی الواقع الذی لا یتسلّل إلیه الخطأ و الزلل، و أنّ استهلال الآیه الکریمه بالاستفهام هو تقریر واضح بأنّ هدایه هؤلاء الزعماء مطابقه للواقع و تامّه کامله لا یشوبها الخطأ، و استنتجنا أنّ من لوازم الهدایه الواقعیه الصائبه استناد الزعماء إلی العلم الغیبی و الإحاطه بالحوادث الخفیّه المحجوبه عن أنظار الناس، و علیه: فالأئمّه الأطهار زعماء کِرام من وجهه نظر القرآن، و الصواب ما یقولونه و لیس للخطأ من سبیل إلی زعامتهم، و لمّا کانت زعامتهم أبدیّه فإنّهم مطّلعون علی جمیع الأحداث إلی الأبد. و علی ضوء ذلک بحثنا روایه الإمام الباقر علیه السلام- التی قال فیها: «الإمام یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک»(۲)- التی تفید استناد الإمام إلی الغیب فی زعامته.

۱- سوره الأنبیاء: الآیه ۷۳.

۲- تقدمت فی ص ۱۶۷.

الدلیل الثالث:

و یدور حول محور الاستنباط القرآنی أیضاً، حیث یفید القرآن وجود صفوه مجتباه من الناس تتمتّع برؤیه و بصیره ثاقبه لآفاق العلم، و أنّ اللّه قد أفاض علیهم من فضله و رحمته ما نوّر به قلوبهم، بحیث خرقوا الحُجب و أحاطوا بجمیع الأحداث و الأسرار. و کانت أهمّ آیه طالعتنا فی هذا الفصل هی الآیه الأخیره من سوره الحجّ لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ(۱) فقد کانت هذه الآیه إلی جانب القرائن الثلاث القطعیه صریحه فی أنّ المخاطب بها صفوه من أهل بیت النبیّ صلی الله علیه و آله أبناء إبراهیم الأئمّه الأطهار علیهم السلام و قد مرّ شرح ذلک. فالآیه تفید إبلاغ الوحی للنبی بآفاق الغیب، و هو ینقلها بدوره إلی الأئمّه بما لا یدع مجالًا للشکّ بعلمهم بأعمال الخلائق و الإدلاء بالشهاده علیهم فی محکمه العدل الإلهی. و قد تعرّضنا(۲) لروایه الإمام الباقر علیه السلام التی تناولت الآیه الشریفه، و الروایه سالمه السند و لا بأس بذکر رجالها: علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمّد بن أبی عُمیر، عن ابن أذینه، عن برید العجلی قال: قلت لأبی جعفر علیه السلام ... فالروایه موثوقه السند و الرواه من الثقات، و نوکل الخوض فی التفاصیل- الخارجه عن بحث الکتاب- إلی اصول الکافی باب «إنّ الأئمّه شُهداء علی خلقه». فقد جاء فی الروایه: قلت قوله تعالی: وَ جاهِدُوا فِی اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباکُمْ، قال: إیّانا عنی و نحن المجتبون مِلَّهَ أَبِیکُمْ إِبْراهِیمَ إیّانا عنی خاصّه و

۱- سوره الحجّ، الآیه: ۷۸.

۲- فی ص ۱۶۸.

سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ اللَّه سمّانا المسلمین مِنْ قَبْلُ فی الکتب التی مضت وَ فِی هذا القرآن لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیداً عَلَیْکُمْ وَ تَکُونُوا شُهَداءَ عَلَی النَّاسِ(۱) فرسول اللَّه صلی الله علیه و آله الشهید علینا بما بلّغنا عن اللَّه تبارک و تعالی، و نحن الشهداء علی الناس، فمن صدّق یوم القیامه صدّقناه، و من کذّب کذّبناه(۲). فالأئمه علیهم السلام علی رؤیه واسعه و بصیره ثاقبه بحیث لا تخفی علیهم خافیه من أعمال الناس، و ما هذه إلّا عنایه و رحمه إلهیه. و استناداً لما تقدّم یمکن الجزم بأنّ الأئمّه علیهم السلام عالمون بالغیب، محیطون بخفایا الحوادث، بصیرون بشئون الأُمّه، و هذا ما یستشفّ بوضوح من دلاله الآیه و لا سیّما من خلال تأییدها بقول الإمام. أمّا الآیه الأُخری التی تدلّ علی أنّ هذه الصفوه مشموله بلطف اللَّه و عنایته فهی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ(۳). لقد مررنا سابقاً مرور الکِرام علی هذه الآیه، و هی تکشف بعمق عن مدی عظمه الإمام، بحیث خشینا من کثره الاستعراض فیها أن نکون فی زمره «فمنهم ظالم لنفسه».

دراسه الآیه:

سبقت هذه الآیه بقوله سبحانه: وَ الَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ* ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا(۴). نفهم من الآیه أنّ المُراد بالکتاب هو «القرآن»؛ لأنّ

۱- سوره الحجّ: الآیه ۷۸.

۲- الکافی ۱: ۱۹۱ ح ۴.

۳- سوره فاطر: الآیه ۳۲.

۴- سوره فاطر: الآیتان ۳۱- ۳۲.

الخطاب للنبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و الکتاب الذی أوحی إلیه هو القرآن، ثمّ شرعت الآیه الثانیه بقوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ، فالکتاب هو القرآن، و التعریف إشاره إلی ذلک الکتاب العزیز، ثمّ حرف عطف یفید التراخی و ظهور الثانی بعد الأوّل، فالمعنی ثمّ أودعنا القرآن تلک الطائفه المصطفاه من العباد، و بناءً علی هذا فإنّ وارثی الکتاب و حافظی الوحی السماوی هم صفوه مختاره من عباد اللّه.

عباد، أم صفوه مصطفاه من العباد؟

هل أودع الکتاب صفوه مصطفاه من العباد، أم کافّه العباد؟ بعباره اخری:

هل الکتاب إرث عامّ تتولّی جمیع الأُمّه مسئولیه حفظه و تطبیق تعالیمه و أحکامه فهو ودیعه عامّه، أم تقتصر هذه الوظیفه و المسئولیه علی صفوه خاصّه مصطفاه من بین خلّص العِباد؟ ما الذی نفهمه من قوله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا؟ لا نشکّ أنّ هذه الوظیفه الخطیره إنّما ینهض بها المصطفون؛ لأنّ الآیه تفید نقل الکتاب إلی نخبه من العباد لا جمیعهم.

مَنْ هُم المصطفون من العباد؟

ذکرنا سابقاً أنّ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا هم صفوه مختاره من بین العباد لإخلاصهم و تسلیمهم و عبودیتهم المحضه للّه و خلوّهم من کلّ عیب و نقص، و قلنا فی حینه: إنّ هذه الصفوه هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام. و لا یسعنا إلّا أن نذکر دلیلًا واضحاً فی إثبات هذا الأمر بغیه طمأنه الآخرین.

الدلیل الدامغ:

تبیّن ممّا أوردناه بشأن الآیه ۳۲ و ۳۳ من سوره آل عمران

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ أنّ الذی یکون علی رأس سلسله آل إبراهیم فی آخر الزمان من التأریخ البشری هو الرسول الأکرم صلی الله علیه و آله و من بعده الأئمّه الأطهار علیهم السلام، فالآیه کاشفه عن الصفوه المختاره «المصطَفین» و لا بدّ من القول علی ضوء هذا المصداق: الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا أنّها لا تعنی سوی أئمّه الدین، و أنّ هذه الآیه هی المفسّره و الحاکمه علمیاً علی الآیه التی نحن بصددها، أی أنّها تفصح عن أنّ مصداق الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام. و هنا لا بدّ من التأکید علی أنّها خاصّه فی الأئمّه علیهم السلام فقط؛ لأنّ النبیّ صلی الله علیه و آله و إن کان من ذرّیه آل إبراهیم، إلّا أنّ الآیه ۳۰ قد حدّدت وضعه، و الآیه اللاحقه تعیّن الصفوه المختاره بعد النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله. سؤال: إذا کان الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا فما مناسبه اختتام الآیه بقوله: فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ أی أنّ بعض هؤلاء المصطفین ظلمه، فهل یظلم الأئمّه أنفسهم؟ جواب: الضمیر فی «منهم» یعود إلی العباد لا إلی المصطفین، و یؤیّده کلام المحقّق الطوسی فی تفسیره للآیه فی إطار إثباته لرجوع الضمیر «منهم» إلی العباد، حیث قال: «لأنّ من اصطفاه اللّه لا یکون ظالماً لنفسه»(۱)، إذن فهل من الممکن فرض کون المصطفین ظالمین لأنفسهم؟(۲).

۱- تفسیر التبیان ۸: ۳۹۴.

۲- قد تبدو کلمه« عبادنا» واسعه تشمل کافّه عباد الحق تعالی، إلّا أنّ إضافه العباد إلی ضمیر الجمع« نا» تفید خصوصیه معیّنه:« عبادنا»، فلا یستبعد القول بأنّها طائفه واسعه من أهل الرساله و التی تستوعب« أهل البیت»، و من ینکر ذلک فلا یسعه أن ینکر روایتین بل عدّه روایات بهذا الشأن. فمعنی الآیه بتفسیر الأئمّه الأطهار علیهم السلام: أورثنا الکتاب صفوه من عبادنا من أهل البیت، إلّا أنّ أهل البیت علی ثلاث طوائف: طائفه تظلم نفسها و هی التی تتجاهل نسبها و تقلّد نخبتها من هذه الطائفه، فهذه لا تکون من الأئمّه الأطهار، و طائفه معتدله، و ثالثه سابقه بالخیرات هادیه فی حرکتها و هی تلک النخبه. هذا هو المراد من الآیه بالاستناد إلی الأحادیث المُعتبره، و لکن نظره اخری إلی القرآن تفید أنّ الآیه الکریمه دراسه لجماعه واسعه باسم« عبادنا» و هم أهل البیت، و أنّ الکتاب ورّث فیهم، و هم علی طائفتین: ۱- النخبه ۲- سائر الطائفه، فالنخبه هُم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و جمیع بنی هاشم هم سائر الطائفه، فهم قد یظلمون أنفسهم و لکن لیس علی الدوام و الشاهد هو الآیه اللاحقه جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِبَاسُهُمْ فِیهَا حَرِیرٌ. و علی فرض أنّ هذا الکلام خلاف ظاهر الآیه و أنّ کلمه« عبادنا» تشمل جمیع المسلمین، لکن مع هذا الفرض و هو أنّ« المصطفین من عبادنا» لیس سوی أهل بیت الرساله الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و قد لاحظتم شرح ذلک، حیث کان الاستدلال مبتنیاً علی کلمه« المصطَفین من العباد» لا کلمه عبادنا.

إذن، فالمقصود «بالعباد» جماعه أشمل و أوسع من أهل البيت، لا المصطفين من أهل البيت، و يؤيّد ذلك عدّه روايات.

وارث الكتاب الكريم:

أئمّه الدين هم وارثو الكتاب، و أئمّه الإسلام هم صفوه العباد، المبرّءون من كلّ عيب و نقص و دنس، الذين خصّهم اللَّه بعنايته و لطفه، فأودعهم القرآن بأسراره و مكنوناته و خفيّاته، إلى جانب تعليمهم من قبل ربيب الوحى النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله، فهم يرون الحقائق كما يراها رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، و قد أفاض عليهم نوره، فهو معلّم أمير المؤمنين عليه السلام الذى علّمه ألف باب من العلم، فكان عليه السلام هو الأُذن الواعيه التى لا يعزب عنها شى ء حتّى قال فيه: «إنّك تسمع ما أسمع و ترى ما أرى، إلّا أنّك لست بنبيّ»(۱).

۱- نهج البلاغه لمحمّد عبده: ۴۳۷.

الآیه الأُخری التی کشفت عن علم الإمام بالغیب هی: وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَیَرَی اللَّهُ عَمَلَکُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلی عالِمِ الْغَیْبِ وَ الشَّهادَهِ فَیُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(۱).

کیف یعلم الجمیع؟!

کیف یعلم جمیع المسلمین بسیره المنافقین أو خفایا بعض الناس؟ اللَّه عالم الغیب و الشهاده و الذی یکشف الأعمال و یریها من یقوم بها فیضعها نصب أعینهم، فالأعمال التی تصدر من الناس- و علی ضوء ذیل الآیه- لا بدّ أن تکون الأعمال و الأفعال الخفیّه، إلّا أنّنا نعلم أنّه لا یمکن للجمیع الاطّلاع علی هذه الخفایا، و هنا لا بدّ من القول بوجود عدّه معدوده من المؤمنین- مضافاً إلی اللَّه و رسوله- تمتلک رؤیه ثاقبه تجعلها تخترق الحُجب و تطّلع علی الخفاء، فلا بدّ أن نعرف من هی هذه العدّه المعدوده من المؤمنین؟ قال المحقّق الطوسی فی تفسیره التبیان: هؤلاء هم الأئمّه الأطهار علیهم السلام، و قد جاء فی الخبر أنّ أعمال الامّه تعرض کلّ یوم اثنین و خمیس علی النبی صلی الله علیه و آله و الأئمّه علیهم السلام(۲)، و هذا ما أشار إلیه الإمام الرضا علیه السلام لابن الزیّات(۳). إذن، فالآیه الکریمه تری للأئمه رؤیه ثاقبه کالتی لرسول اللَّه صلی الله علیه و آله و التی تمکّنهم من الإحاطه بالخفیات. و أدنی تأمّل فی صدر الآیه و ذیلها یقود إلی أنّ تلک العدّه المعیّنه من المؤمنین عالمه بالغیب و الشهاده أیضاً، فقد ورد لفظ الجلاله فی أوّل الآیه دون قید ثمّ أردف بالرسول، و هؤلاء المؤمنین فی طول لفظ الجلاله فی الاطّلاع علی

۱- سوره التوبه: الآیه ۱۰۵.

۲- تفسیر التبیان: ۵/ ۲۹۵.

۳- تقدّم فی ص ۱۷۳.

خفایا الناس، أمّا ذیل الآیه فقد ورد لفظ الجلاله متّصفاً بعالم الغیب و الشهاده، و هذا العالم هو اللَّه الذی ذکر فی صدر الآیه، و علیه: فکما أنّ اللَّه عالم الغیب فإنّ رسول اللَّه و بعنایه الحقّ سبحانه فی طول هذه المزیه الإلهیه الذاتیه- لأنّها وردت فی طول اللَّه فی الآیه- یتمتّع بإفاضه علم الغیب علیه، و لیست هنالک من الأعمال ما یخفی علیه، ثمّ کان المؤمنون فی طول رسول اللَّه صلی الله علیه و آله، الأئمّه الأطهار الذین یطّلعون الخفاء بلطف اللَّه فیقفون علی أعمال العِباد، و اللَّه أعلم.

الشواهد الحیّه!!!

هل یمکن أن نحصر علم الأئمّه فی دائره أحکام و تعالیم القرآن رغم هذه الشواهد الحیّه و الدلالات القرآنیه بعلمهم المطلق و إحاطتهم بالخفایا و الأسرار، فلا نراهم أبعد شأناً من المجتهد الذی یستنبط الأحکام الشرعیه من القرآن؟! أم لا بدّ أن نذعن إلی سعه علمهم و إحاطتهم بکافّه الحوادث؛ لأنّ الزمان و المکان لیس من شأنهما أن یکونا حجاباً یحول دون رؤیتهم لباطن الامور، و هل یصعب علی هؤلاء الزعماء الخالدین المطهّرین من الرجس و الدنس و العلماء بالکتاب و الشهداء علی أعمال العباد و حفظه القرآن و أمناء الوحی، أن یتکهّنوا بالحوادث و الوقائع التی تهدّد بالخطر کیان الإسلام و المسلمین؟ و هل کان الإمام الحسین علیه السلام المظلوم الذی هبّ للدفاع عن الرساله غافلًا عمّا ستئول إلیه الامور فی کربلاء، و لم یکن یمتلک رؤیه واضحه لحرکته و انطلاقته التأریخیه من المدینه إلی کربلاء! لا ننوی الإجابه علی هذه الأسئله و نترک ذلک للإخوه القرّاء الأعزّاء، لیتحفونا بجوابهم علی ضوء ما واکبناه من أحداث سابقه.

طرق الأئمّه علیهم السلام فی الحصول علی العلم:

لقد اتّضح من الأبحاث السابقه أنّ الإمام عالم بالغیب، و أنّه یستمد علمه

الغیبی من خلال المـدد الإلهی الـذی یـدعی بالإفاضه الرحمانیه، کما اتّضـح لـدینا أیضاً أنّ الزعامه الـدائمه الهادیه إلی الصـراط المسـتقیم لا یمکنها أن تکون غیر محیطه بالحوادث و الوقائع التی یواجهها المسـلمون و الإسـلام طیله التأریـخ، و ذلک لأنّها إذا کانت جاهله بهذه الحوادث فإنّها سـتشقّ عصا المسـلمین و تفرّق صفوفهم و تعرّض الکیان الإسلامی للتصدّع و الانهیار، و تحیل القرآن الکریم- هذا الکتاب الذی یتضـمّن سعاده الامم و الشعوب علی مرّ العصور- إلی کتاب لا یبقی منه سوی شکله و رسمه، بینمـا وعـد الحقّ بخلـود هـذا الکتـاب العزیز و أنّه محفوظ حتّی عن سـقوط أحـد حروفه، فکیف یتعامـل أئمّه الـدین و زعمـاء المسـلمین مع الأحـداث بمـا یقود إلی تلک النتیجه المؤسـفه! أو لا یتعرّض الإسـلام إلی الإباده و الزوال من قِبل الأعـداء الـذین یتربّصون به الـدوائر، و الـذین لاـ یرقبون فی المسـلمین إلّاً و لا ذِمَّه؟ لا شکّ أنّ هـذا السـقوط و الزوال حتمی و تصـدّع القرآن قطعی لو لم یکن الأئمّه الأطهار علیهم السـلام عالمین بحوادث الـدهر، فی حین قطع القرآن علی نفسه قضـیه بقائه و دیمومته إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الـذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ(۱)، و بشّـر من جانب آخر بانتصار حکومه العدل الإلهی التی ستنشـر قیم العدل و الفضیله فی کافّه أرجاء المعموره، فقال عزّ من قائل: وَ نُرِیـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَی الَّذِینَ اسْتُضْـعِفُوا فِی الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّهً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثِینَ(۲).

و هنـا یُطالعنـا هـذا السؤال: إذا کانت زعامه الأُمّه من قِبل هؤلاء الأئمّه الـذین لهم مثل هـذا العلم و الـدرایه و أنّهم یبلغون بالامّه کمالها المنشود، فکیف یتّجه الإسـلام نحو الضـعف و الافول؟ و قد قال القرآن الَّذِینَ اسْتُضْعِفُوا فِی الْأَرْضِ أو یدبّ الضعف فی صفوف المسلمین فی ظلّ زعامه اولئک الأئمّه؟ و ناهیک عمّا

۱- سوره الحجر: الآیه ۹.

۲- سوره القصص: الآیه ۵.

تقدّم؛ فإنّ اللّه هو الذی أنزل القرآن و تکفّل بحفظه، فهو لن یصبح کتاباً عادیاً أبداً؟ و نقول فی الجواب: إنّ الإسلام لا یتّجه إلی الضعف و الافول لو کان الأئمّه الأطهار علیهم السلام هم الذین ینهضون بالأمر، فهم عالمون بصیرون، و هدایتهم- لو امتثلت- فسوف تؤدّی إلی قوّه شوکه الإسلام و المسلمین، غیر أنّ الخطّه التی رسمها القرآن الحکیم لم تطبَّق، و انحطاط المسلمین کان نتیجه طبیعیه لتنحیه أولئک الزعماء، و هذا ما أرادت أن تُشیر إلیه الآیه فی أنّ هذا الضعف ناشئ عن إقصاء الأئمّه، و أنّ الإسلام سیستعید قوّته مستقبلًا، و هذا لا یتسنّی إلّا فی ظلّ حکومه أتقیاء الدهر و علی رأسهم إمام العصر و الزمان- أرواحنا و أرواح العالمین له الفداء- الذی سیبعث الحیاه من جدید حین تکون السیاده فی حکومته للقرآن و تعالیمه الحقّه، ستکون الدنیا آنذاک متعطّشه لحکومه العدل القرآنی، و التفاصیل فی المجلّد الثانی.

أمیر المؤمنین علیه السلام و الآیه الکریمه:

قال علی علیه السلام «لتعطفنّ الدنیا علینا بعد شماسها عطف الضروس علی ولدها»، و تلا عقب ذلک وَ نُرِیدُ أَنْ نَمُنَّ ...(۱). لقد أبان الإمام بهذه العباره منزله الإمام، کما أفصح عن دافع ظهور حکومه العدل القرآنی، فی حین اتّضحت دلاله الآیه فی حلول الیوم الذی سیشهد حاکمیه الإسلام بزعامه الإمام. ما أشقی الامّه حین ولّت ظهرها لهذه الصفوه و أبعدتها عن الزعامه! و لکن سوف لن یکون بوسعها إقصاء مُعزّها الذی سیأخذ بیدها و یفیض علیها برکات الدنیا و الآخره حین تعلن وفاءها و وقوفها إلی جانبه. نعم، انحطاط المسلمین کان معلولًا لعدم انصیاعهم لزعامه أولیاء اللّه من تلک

۱- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۷۰۴ حکم ۲۱۰.

الصفوه، لا- إلی عدم العلم بحوادث التأریخ. و کأنّ السائل أراد بالسؤال أن یشیر إلی علّه الضعف التی أفرزتها افتقار الزعامه لمقوّماتها و شرائطها. و عوداً علی بدء فقد اتّضح أیضاً أنّ الإمام بصفته الزعیم الأبدی، عالم بکافّه الوقائع و الحقائق و الأسرار و السیر نحو الجمال و الکمال. و هنا لا بدّ من الإذعان بأنّ بصیرتهم هی عین الواقع التی تأبی الخطأ و الانحراف، فقد شعّت أنوار قلوبهم بـاللَّه نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ الذی لم یجعل للظلمه من سبیل إلی قلوبهم، فقد طهرت حتّی لم تتمکّن هذه الحُجب من الوقوف بوجهها. و اتّضح أیضاً بأنّ الإمام طالما کان الحاکم الإسلامی و الزعیم المطلق؛ فإنّ حکومته متقوّمه بالغیب الذی یشمل حتّی الحوادث الشخصیه البسیطه، کما تبیّن أنّ الکتاب السماوی- القرآن- قد استودعه اللَّه الأئمّه ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا. و قد تکفّل القرآن ببیان أنّ المراد من هذا الإرث هو استناره قلوب الأئمّه بنور القرآن: قُلْ کَفی بِاللَّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ(۱)، و قد قال الإمام الصادق علیه السلام: «و عندنا و اللَّه علم الکتاب کلّه»(۲)، کما فهمنا أنّ آصف بن برخیا بنصّ الآیه الکریمه قد أوتی بعض العلم بالکتاب، فانطوی علی تلک القدره و القوّه العلمیه، فما بالک بمن اوتی العلم بالکتاب کلّه! فی حین لا- زال البعض یعیش القلق الفکری و یتساءل: هل یتجاوز علم الإمام حدّ استنباط آیات الأحکام؟ و أخیراً وقفنا علی إحاطتهم بأعمال العباد، و أنّه لا یعزب عن علمهم مثقال ذرّه من تلک الأفعال، و أنّهم الشهداء علی الناس یوم القیامه فی محکمه العدل «فمن

۱- سوره الرعد: الآیه ۴۳.

۲- الکافی ۱: ۲۲۹ باب أنّه لم یجمع القرآن کلّه إلّا الأئمّه، و أنّهم یعلمون علمه کلّه ح ۵.

صدّق صدّقناه يوم القيامه، و من كذّب كذّبناه يوم القيامه»(۱)، فإذا أنكر منكر عمله، نادوه: صه فقد كنّا مطّلعين على عملك، كما علمنا بأنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله ربيب الوحى قد أفاض عليهم علومه مضافاً إلى ما خصّهم اللّه به من عنايته و فضله و أفاض عليهم من لطفه و رحمته. كانت هذه نماذج من علم الإمام، و القرآن هو الشاهد على هذه العلوم، و لنا الآن أن نلتمس سبل هذه العلوم دون اللجوء إلى أقوال تلامذه الوحى، فما مصدر علم الإمام؟

المعلّم الأوّل:

لقد ذكرنا خلال الأبحاث السابقه أنّ النبيّ أو الإمام لا يدرك جميع الأشياء بنبوّته أو إمامته، بل هم لا يستغنون فى كلّ آن عن الفيض الإلهى، فالنبوّه و الإمامه لا تجعله بمجرّدها عالماً بكلّ شى ء. إذن، فهذا العلم الجمّ الذى يملكه الإمام لا بدّ أن يكون قد تعلّمه فى مدرسه، و قد مرّ علينا أنّ الإفاضه هى وسيله الإمام فى علمه، فاللّه هو الذى يفيض و يتلطّف بأئمه الدين زعماء المسلمين، و قد قلنا بأنّه يحكم بما يريه اللّه لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ(۲)، و أنّهم بعنايه اللّه صفوه عابده مخلصه عالمه بالكتاب ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا ...(۳)، و بيّنا أيضاً بأنّ يوسف كان مُنَصَّباً من قِبَل اللّه رغم نهوضه بأمر دون الزعامه العامّه، و أنّه معلَّم منه:

وَ عَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ(۴).

۱- الكافى ۱: ۱۹۰ باب أنّ الأئمّه شهداء اللّه عزّ و جلّ على خلقه ح ۲.

۲- سوره النساء: الآيه ۱۰۵.

۳- سوره فاطر: الآيه ۳۲.

۴- سوره يوسف: الآيه ۱۰۱.

و الـذی نریـد أن نخلص إلیه هو أنّ المعلّم الأوّل للإمـام هو العلیم المطلق، و مـا ذلـک إلّا لإخلاصه و تسـلیمه و انقیاده المطلق للحقّ، فیحظی بالعنایه الإلهیه و الفضل الربّانی لیتغلّب علی ما یعترضه فی مسیرته من حوادث و أحداث.

المعلّم الثانی:

المعلّم الثـانی للإمـام هو رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله، فقـد قلنا سابقاً بأنّ دعوه إبراهیم و إسـماعیل کانت لأجل ظهور صـفوه صالحه فی ذرّیّتهم تتربّی فی مـدرسه الرساله، و کانت نتیجه الدعوه أن تولّی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله بشـخصه تعلیم علی علیه السلام و تربیته منذ نعومه أظفاره.

و قـد صـرّحت بـذلک آیات سوره البقره وَ إِذْ یَرْفَعُ إِبْراهِیمُ(۱). و هو مـا أشار إلیه الإمام الصادق علیه السـلام اسـتناداً إلی الآیه، فقال: «لم یعلّم اللَّه محمّـداً صـلی الله علیه و آله علماً إلّا و أمره أن یعلّمه علیاً علیه السـلام»(۲). و بناءً علی ما تقـدّم فالنبی الأکرم صلی الله علیه و آله هو المعلّم الثانی للإمام.

الإمام الصادق علیه السلام و علم الإمام:

سـأل الحارث بن المغیره الإمام الصادق علیه السـلام عن مصـدر علم الإمام، فأجاب علیه السـلام: «وراثه من رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله و من علیّ علیه السلام». فقال الحارث: إنّا نتحدّث أنّه یقذف فی قلوبکم و ینکت فی آذانکم صلی الله علیه و آله، قال علیه السلام: «أو ذاک»(۳). أی أنّ الإمام ملهم و تلمیـذ مدرسه النبی صـلی الله علیه و آله و الإمام علی علیه السـلام، و قد مرّ(۴) علینا قول الباقر علیه السلام أنّ الإمام یسمع الصوت و لا یری و لا یعاین الملک»(۵).

۱- سوره البقره: الآیه ۱۲۷.

۲- الکافی ۱: ۲۶۳ باب أنّ اللَّه عزّ و جلّ لم یعلّم نبیّه علماً إلّا أمره ... ح ۱.

۳- الکافی ۱: ۲۶۴ باب جهات علوم الأئمّه علیهم السلام ح ۲.

۴- فی ص ۱۶۷.

۵- الکافی ۱: ۱۷۶ باب الفرق بین الرسول و النبیّ و المحدّث، ح ۱.

القرآن و علم الإمام علیه السلام:

أمّا أفضل طرق علم الإمام فالقرآن الکریم، و قلنا: إنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله مکلّف بتعلیم أئمّه الإسلام، و بالطبع فقد اقتصر هذا التعلیم المباشر علی أمیر المؤمنین علیه السلام، إلّا أنّنا نعلم بأنّ القرآن الذی جمعه الإمام علیه السلام لم یقتصر علی الکتاب المُنزل، بل ضمّ إلیه جمیع الأسرار القرآنیه و التفسیر و التأویل و أسباب النزول و کافّه الأحکام، فقد کان علی علیه السلام یسطّر ما یتلو علیه النبی صلی الله علیه و آله، و أنّ هذا القرآن کانت تتناقله الأئمّه دون أن تصل إلیه ید الآخرین، و هو الآن بید قائم آل محمّد صلی الله علیه و آله إمام العصر و الزمان. و من هنا تتبیّن أهمّیه و عظمه هذا الکتاب الذی انطوی علی جمیع الحقائق و الأحکام و أسرار القرآن- الأعم من التأویل و التنزیل- و الذی أملاه رسول اللّه صلی الله علیه و آله علی أمیر المؤمنین علیه السلام و لم تصل إلیه ید عامّه الأُمّه، و کیف أنّه یتجاوز المکنونات و المجهولات؟! هذه نبذه من الطرق التی تکشف عن علم الإمام و إحاطته بالمجاهیل، و من أراد المزید فلیراجع کتاب أصول الکافی لثقه الإسلام الکلینی، أو کتب عُلماء الکلام بهذا المجال لیقف من خلال الأحادیث و الأخبار علی مصادر علم الإمام علیه السلام.

أسئله و أجوبه:

طرحت عدّه أسئله فی المباحث السابقه من قبیل: ۱- هل للإمام علیه السلام علم بالغیب أم لا؟ الجواب: نعم، هو عالم بالغیب، و لکن من خلال الوحی أو الإلهام أو شرح اللّه

لصدرهم بما یزیل عنهم الحُجب فینظرون إلی حقائق الأشیاء، و هذا العلم الجمّ من لوازم الزعامه الخالده، و لا بدّ للحاکم الإسلامی من الاستناد إلی الغیب فی حکومته. ۲- هل مجرّد بلوغ النبوّه أو الإمامه یجعلهم یدرکون الغیب؟ الجواب: کلّا، فانّ مجرّد الإمامه لا تستلزم هذا الأمر، فهم مقیّدون لا یعلمون دون عنایه الحقّ و لطفه، إلّا أنّ سنّه اللّه جرت فی أنّ أئمّه الإسلام أن یحیطوا بکافّه الأسرار بفضل الإفاضه الرحمانیه. ۳- هل تنحصر علوم زعماء الدین و أئمّه المسلمین فی إطار القرآن و أحکام الإسلام دون الحوادث الواقعه و مصیر المسلمین و مستقبل الإسلام؟ الجواب: أفادت الدراسات و الأبحاث السابقه أنّ علم الإمام لا ینحصر بالقرآن و أحکام الإسلام، و لا بدّ أن یحیط الزعیم بالحوادث و لا سیّما تلک المرتبطه بکیان الإسلام و المجتمع الإسلامی. ۴- هل الأئمّه علیهم السلام عالمون بما کان و ما یکون؟ الجواب: أشرنا باختصار إلی هذا الأمر، و قد أوضحته الروایات التی صرّحت بأنّ عندهم المصحف بإملاء رسول اللّه صلی الله علیه و آله و خطّ أمیر المؤمنین علیه السلام، و الذی یحتوی علی جمیع الحقائق و الأسرار و امور التأویل و التنزیل کما ورد فی القرآن الکریم: تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْ ءٍ(۱) فلا بدّ من الإذعان بأنّهم عالمون بما کان و ما یکون. و لا نری المقام یسع للخوض فی بیان المقصود بما کان و ما یکون. ۵- هل علم الإمام علیه السلام بالأشیاء حضوریّ، أم حصولی؟ الجواب: لا نری من جدوی فی إطاله الکلام بهذا الشأن رغم إصرار البعض فی مؤلّفاتهم علی أنّ علم الإمام حضوری، فما عند الإمام من العلم هو الإفاضه و العنایه، و ما یهمّنا هو التأکّد من علمه مهما کانت کیفیّته ما لم یستلزم أمراً غیر معقول.

۱- سوره النحل: الآیه ۸۹.

العلم الشائی:

هذا اصطلاح أورده علماء الکلام فی أنّ الإمام علیه السلام عالم بکلّ شی ء و لکن بالعلم الشائی، أی متی شاء علم و إلّا فلا. و بعباره اخری: فإنّ عنان العلم بید الإمام بمجرّد أن یرید العلم یعلمه. و لا نـدری من أین لعلماء الکلام هذا الاعتقاد، و کیف یستدلّون علیه؟ فإن کان الدلیل الأخبار، فإنّنا تتبعنا الأخبار التی اعتبرت العلم متوقّفاً علی المشیئه، فإذا هی ثلاثه أخبار فی اصول الکافی- التی تهتمّ بمثل هذه الأحادیث و الأخبار- و هی لا تنفع المتکلّمین بهذا الشأن.

إیضاح:

هنالک أمران ینبغی توفّرهما من أجل صحّه الاحتجاج و الاستدلال بأیّه روایه، و هما: ۱- الوثوق بصدور الروایه عن الإمام علیه السلام. ۲- دلالـه نصّ الحدیث علی المُراد بصوره واضحه و لو من بعض القرائن. و ممّا یؤسف له أنّ الروایات الوارده بهذا الشأن فی باب «أنّ الأئمّه علیهم السلام إذا شاءوا أن یعلموا علموا» لیست أکثر من ثلاث، و هی تفتقر إلی السند و إلی الدلاله التی قال بها بعض المتکلّمین، بل یمکن القول بأنّها روایتان؛ لأنّ رجال السند بعد ابن مسکان متحد فی روایتین، و ینتهی السند إلی أبی ربیع الشامی الذی روی عن الصادق علیه السلام. عباره الروایه الأُولی: «إنّ الإمام إذا شاء أن یعلم علم»(۱) بینما عباره الروایه

۱- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۱.

الثانیه التی متحد فی السند مع الأُولی «إنّ الإمام إذا شاء أن یعلم أُعلم»(۱) و عباره الروایه الثالثه «إذا أراد الإمام أن یعلم شیئاً أعلمه اللّه ذلک»(۲). و بالتمعّن فی نصّ الروایه الثالثه و الثانیه تری أنّ کلمه «علم» فی الروایه الأُولی بضمّ العین و تشدید اللّام فهی صیغه مجهوله من باب التفعیل لا بمعنی «یعلم»، و لذلک فمفادها واحد، و هو أنّ الإمام علیه السلام متی شاء أن یعلم یعلّمه اللّه و یفیض علیه «أعلمه اللّه ذلک». و علیه: فإن کان مستند هذا البعض من المتکلّمین بالعلم الشائی هذه الروایه، کان لا بدّ من القول بأنّ الروایات الثلاث لا تنطبق علی العنوان المذکور فی کلام المُتکلّمین، و إن کانت هناک روایات اخری فإنّنا لم نعثر علیها. و بغض النظر عمّا مضی فإنّ سند الروایه ضعیف، و یمکن القول بأنّ الروایات الثلاث دالّه علی أنّ علم الإمام إفاضته، و متی غاب عنهم شی ء تلطّف اللّه علیهم و کشفه لهم. و هنا نأتی إلی اختتام البحث و التحقیق بشأن الإمامه و شرائطها و لا سیّما علم الإمام. و هنا لا بدّ من القول بأنّ بحث الإمامه لیس من الأبحاث السهله، فمعرفه الإمام تتطلّب رؤیه ثاقبه و افق واسع، و أنّی للقلوب الملوّثه أن تدرک شأن الإمام، فقد قال الإمام الرضا علیه السلام: «إنّ الإمامه أجلّ قدراً و أعظم شأناً و أعلی مکاناً و أمنع جانباً و أبعد غوراً من أن یبلغها الناس بعقولهم»(۳).

۱- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۲.

۲- الکافی ۱: ۲۵۸ ح ۳.

۳- الکافی ۱: ۱۹۹ باب نادر جامع فی فضل الإمام و صفاته ح ۱.

علم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام بحادثه كربلاء

اشاره

اتّضح لدينا سابقاً بأنّ الإمام عالم و محيط بكلّ حادثه فى المسيره التأريخيه للمسلمين و إلى الأبد، و عليه: فلم يعد هنالك من معنى للتساؤل عن أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان عالماً بمصيره فى كربلاء و سبى نسائه أم لا، فهذا السؤال مثل من يسأل عن شُعاع الشمس هل يصل إلى ذلك المكان و هو يرى بأُمّ عينيه نورها الذى يضى ء كلّ شى ء! ترى ما العمل و قد طرح هذا المبحث منذ القدم لدى العقلاء و المفكّرين؟ الأمر الذى جعلنا نتصدّى للخوض فى مثل هذه المباحث، و لعلّ مثل هذه العُقد و الشبهات قد تسلّلت إلى الكتاب المعروف: «شهيد جاويد» و الحقّ أنّ المؤلّف قد اعتمد نهجاً جديداً فى طرحه لأبعاد تلك الواقعه، غير أنّه أخطأ فى بعض الاستنتاجات و قراءه الأحداث، و هذا ما دفعنا لأن نخصّص هذا الفصل لنقد محتوى و مضمون هذا الكتاب، و لا يسعنا إلّا أن نذعن ببراعه الكتاب سوى خاتمته التى طرحت هذا السؤال: هل كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم بأنّه سيُقتل فى

کربلاء أم لا؟ فی حین فرغنا من إثبات علم الإمام بالغیب و أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد قال لعلی علیه السلام: «إنّک تسمع ما أسمع و ترى ما أرى إلّا أنّک لستَ بنبیّ»(۱). و لمّا کان مؤلّف الکتاب من الباحثین و قد ناشد الجمیع تذکیره بالهفوات التی ربّما استبطنها الکتاب، و قد دوّن عنوانه بغیه استلام الرسائل فی هذا المجال، رأینا أنفسنا إتحافه ببعض الامور المتعلّقه بالکتاب من خلال هذا الکتاب الذی بین أیدینا- لا عن طریق الرسائل- فلعلّ کتابه خلّف هاجساً من القلق و الاضطراب لدی الرأی العام. آملین أن یعید المؤلّف النظر فی الطبعات الأُخری لیتلافی ما فرط منه فی ما سبق، سائلین الإخوه المحقّقین و الباحثین التماس العذر لنا فی ما یبدر منّا من زلل و تذکیرنا به رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِینا أَوْ أَخْطَأْنا(۲).

ثلاثه أخطاء رئیسیه:

۱- إنکار علم الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحرکه. ۲- تضرّر الإسلام و المسلمین إثر حادثه کربلاء و شهاده الإمام علیه السلام. ۳- لم تکن ثوره الإمام علیه السلام سوی دفاعاً عن النفس.

الخطأ الرئیسی الأوّل:

رغم تصریح مؤلّف کتاب «شهید جاوید»- فی الصفحه السادسه من کتابه- بأنّ الإمام کان یعلم بأنّه سیُقتل فی آخر الأمر، إلّا أنّ مبانی الکتاب و اسسه قائمه علی أساس إنکار علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه و سبی نسائه و عیالاته،

۱- الطرائف لابن طاوس: ۴۱۵، و قد تقدّم عن نهج البلاغه فی ص ۱۸۹.

۲- سوره البقره: الآیه ۲۸۶.

بحیث لو جرّد الکتاب من هـذا المحور لاکتسب صـبغه اخری، فالإصـرار علی إنکار رؤیا الإمام علیه السـلام و أمره من قبل النبی صلی الله علیه و آله: «یا حسین اخرج إلی العراق ...»(۱) و حدیث امّ سـلمه و حوار محمّد بن الحنفیه، و التردید فی دلاله الروایه الصـحیحه الوارده فی کامل الزیارات بأنّ الإمام علیه السـلام قال: «مَن لحق بی استشـهد ...»(۲) و قوله علیه السـلام: «هاهنا و اللّه محطّ رحالنا و مسـفک دمائنا ...»(۳) و تلاـوته لخطبته المعروفه «خُطّ الموت علی ولـد آدم ...»(۴) فی مکّه، أو خـدشه فی دلاله الخطبه «کأنّی بأوصالی ...»(۵) أو عـدم التعرّض لهـا، کلّ هـذه الامور قائمه علی أساس الإنکار، غایه ما فی الأمر أنّه یتعرّض لها من زاویه اخری، بینما یبقی الهـدف الأصـلی متمثّلًا بإنکار علم الإمام بشـهادته، و لا نری هـذا الکلام جدیـداً، فقد تعرّض أرباب المقاتل و أجابوا بما فیه الکفایه، إلّا أنّنا لم نلمس مثل هذه الشـبهات و الشکوک فی الکتب التی تعرّضت لحادثه کربلاء. بالطبع یمکن أن ترد مثل هـذه الأُمور فی بعض الأوساط الأُخری التی لیس لها معرفه تُـذکر بهـذا الشأن و تجهل مقام الإمام، إلّا أنّ هذا الأمر یبدو أنّه یحمل نوعاً من الغرابه بالنسبه لعالم التشیّع الذی تثقّف و فَهِم أفکار و ملابسات هذه الحادثه الخالده.

الخطأ الرئیسی الثانی:

لقد اعترف المؤلّف- بالتلویح أو التصـریح- بأنّ حادثه کربلاء و شهاده الإمام الحسین علیه السلام قد أدّت إلی الإضرار بالإسلام و المسلمین.

۱- الملهوف لابن طاوس: ۱۲۸، ینابیع المودّه ۳: ۶۰.

۲- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۷ ح ۲۳.

۳- الملهوف لابن طاوس: ۱۳۹، الاحادیث الغیبیه ۲: ۳۰۹.

۴- کشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

۵- کشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

الخطأ الرئیسی الثالث:

یفیـد التأمّل فی الکتاب المذکور أنّه لم تکن هنالک من دوافع لثوره الإمام سوی الدفاع عن النفس، و ذلک لأنّ الإمام و بمجرّد أن یئس من النصـر و الإصـلاح و رأی نفسه فی قبضه العـدوّ لم یکن له بُـدّ من الدفاع عن نفسه. نعم، هذه هی أهمّ الأخطاء التی ارتکبها صاحب الکتاب، و لا یسـعنا الخوض فی سائر الأخطاء التی لا ترتبط بمنهج هذا الکتاب. و نخوض الآن فی مناقشه الخطأ الأوّل و الثانی، و سیتّضح لدینا من خلال البحث الجواب علی الخطأ الثالث، و لذلک فلا حاجه لعنوان مستقلّ.

الکتاب و الخطأ الأوّل:

اشاره

۱- یسـتنتج من البحث الوارد بشأن دوافع الثوره بأنّ «الإمام ثار من أجل إنشاء الحکومه الإسـلامیه، و هـذا هو الهـدف الأصـلی و الواقعی فی حرکته نحو الکوفه، و ذلک لأنّ کافّه الظروف کانت ممهّده لنیل النصر». و یمکن القول بأنّ الهدف الأصلی للکتاب قد تبلور فی هذا الأمر، أی إنشاء الحکومه الإسـلامیه و القضاء علی حکومه یزید، و لسنا الآن بصدد دراسه هذه القضیه، و سنتّفق و الکاتب فی أنّ هـدف الإمام کان یتمثّل بالأخذ بزمام الامور، إلّا أنّه ذکر فی الصـفحه السادسه من الکتاب «أنّ الإمام کان یعلم بأنّه سیُقتل فکیف له بذلک العسکر الذی رافقه أن یطیح بحکومه یزید». و بناءً علی هذا فلا یمکن الجمع من وجهه نظر الکاتب بین العزم الراسـخ بالإطاحه بحکومه یزیـد، و العلم بالشـهاده فی تلک النهضه، فهناک تباین بین الأمرین. فقـد ظنّ بعـدم إمکانیه تحقیق الإمام للهدف و تعبئه الجهود من أجله، بینما کان یعلم بأنّه سیُقتل دون نیل ذلک الهدف، و حیث کان الهدف الذی رکّز علیه

الإمام علیه السلام من وجهه نظر الکاتب هو إنشاء الحکومه، فلم یجد بدّاً من التنکّر لقضیه علم الإمام علیه السلام بقتله فی هذه النهضه، و لا نرید أن نقول بأنّ هذا الفصل من الکتاب صرّح بنفی علم الإمام بشهادته، بل حیث توصّل الکاتب إلی أنّ علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه یتنافی و هدف الکتاب فی قیام الإمام من أجل الإطاحه بحکومه یزید و إنشاء الحکومه الإسلامیه، فلم یکن أمامه من سبیل سوی إنکار علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه، و هذا هو الأساس الذی ابتنی علیه الکتاب.

۲- لقد تنکّر الکتاب لکافّه الأدلّه التی تفید- بغضّ النظر عن الأدلّه العامّه التی تصرّح بالعلم المطلق لکلّ إمام- علم الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحرکه، فهو إمّا کان یطعن فیها من حیث السند و الاعتبار أو یناقشها من حیث الدلاله، و هنا لا یجب أن ننسی أنّ المؤلّف قال: لم یخرج الإمام من أجل الشهاده أبداً، ففنّد کلّ ما یفید هذا الأمر، فمثلًا علّق علی عباره الإمام علیه السلام: «من لحق بی استشهد» فقال: لا تعنی هذه العباره أنّ کلّ مَن یلحق بی یُقتل، فی حین لا یفهم العرف و اللغه سوی ذلک، بل یری أنّ المعنی: مَن یلحق بی إنّما یتعرّض إلی الأخطار و الشهاده، أَ وَ لا یعنی بهذا أنّه ینکر علم الإمام بما سیقع فی کربلاء؟ و بالطبع لا ارید أن أقول بأنّ کافّه الأدلّه قطعیه السند تأریخیاً، رغم القول بصحّتها من قبل کبار أرباب المقاتل، بل أقول: إنّ کلّ ما بدر من المؤلّف کان اجتهاداً فی التأریخ و لیس من التأریخ فی شی ء، و لم یهدف سوی إنکار علم الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحرکه. ۳- کیف لنا أن نفترض عدم تنکّر المؤلّف لعلم الإمام بشهادته، و هو الذی أورد عنواناً تساءل فیه عن قتل الإمام هل کان بنفع الإسلام أم بضرره، ثمّ یذهب صریحاً- و سیأتی ذلک فی مناقشه الخطأ الرئیسی الثانی- إلی أنّ قتل الإمام علیه السلام و حادثه کربلاء و سبی عیالات أهل البیت إنّما شکّلت ضرراً علی الإسلام، حیث

ذهب أیضاً إلی أنّ القول بالعلم یستلزم الاعتراف بإقدام الإمام علیه السلام علی عمل لم یتضمّن سوی ضرر الإسلام و المسلمین، لو کان الإمام عالماً بما ارتکب و ما یتنافی و الإسلام، و علیه: فلا مفرّ للمؤلّف من الاعتقاد بعدم علم الإمام بشهادته فی تلک النهضه. و بعباره أوضح: یعتقد المؤلّف بأنّ حادثه کربلاء قد أضرّت بالإسلام- سیأتی الردّ قریباً- و علی هذا الأساس کان لا بدّ له من التنکّر لعلم الإمام بما سیجری فی تلک الحادثه، و إلّا لما ارتکب ذلک الفعل الذی أدّی إلی ضرر الإسلام، و علیه: فلم یکن للإمام علم، و إلّا کان متعمّداً- و العیاذ باللّه- للإضرار بالإسلام. ۴- یفهم من الأدلّه التی ساقها المؤلّف فی إطار حرکه الإمام الحسین علیه السلام إلی الکوفه و إنشاء الحکومه الإسلامیه، أنّ الإمام لم یکن ملتفتاً إلی الأحداث و الوقائع التی ستنطوی علیها حادثه کربلاء. فقد صرّح فی ص ۵۵ قائلًا: «علی ضوء المعادلات الطبیعیه- و المقصود بالمعادلات الطبیعیه هنا بقرینه العبارات السابقه و اللاحقه: إعداد العدّه و العدد و شعبیه الإمام و نصره الکوفه له و ...- فإنّ الإمام کان یأمل بتحقیق النصر فی هذه المعرکه و الإطاحه بحکومه یزید». و لنا هنا أن نسأله: هل یمکن الجمع بین الأمل- الذی یمثّل إحدی الصفات الإنسانیه- و العلم بالشهاده فی هذه النهضه؟ هل یمکن القول بأنّه کان یأمل بالإطاحه بحکومه یزید و الأخذ بزمام السلطه، کما کان عالماً بأنّه سیُقتل قبل وصوله إلی الکوفه؟ کأن نقول مثلًا بأنّ مسافراً انطلق من مدینه قم و هو یأمل بأنّه سیصل طهران فی نفس ذلک الیوم، کما أنّه موقن بأنّه سیموت فی حادثه اصطدام خلال الطریق قبل أن یبلغ طهران. أجل، لا یمکن الجمع بین العلم بالشهاده فی هذه الحرکه، و الأمل التامّ بالنصر الذی یتمثّل بالإطاحه بحکومه یزید.

و لعلّ هناك من يقول: إذن، فأنتم تتّفقون مع مَن يقول: إنّ الإمام إنّما خرج من أجل القتل، لا- بقصد الاتّجاه إلى الكوفه و القضاء على زعامه الفاسق يزيد؟ و للإجابه على هذا الزعم نقول: لا ننوى فعلًا الدخول فى ماهيه قضيه كربلاء و نبدى بعض و جهات النظر بهذا الخصوص، بل إنّما نريد الإشاره إلى الأخطاء التى ارتكبها مؤلّف كتاب شهيد جاويد، كما نريد أن نقول بأنّ أساس الكتاب إنّما وُضع على أساس إنكار علم الإمام عليه السلام بالشهاده فى هذه الحركه، و لكن لا بأس بالإجابه على ذلك الزعم الموهوم. فقد استبطنت حكومه يزيد الزائفه عدّه خطط و برامج خطيره، فلم يكد المسلمون يتنفّسون الصعداء إبّان عصر الاستبداد و الطغيان الذى شهدته حكومه معاويه، حتّى رأى المسلمون هذا الفاسق شارب الخمر و قد تربّع على عرش السلطه، السلطه التى جعلت المسلمين يذوقون الأمرين من هذا الفتى الطائش- يزيد-، و قد أخذ الظلم مأخذه من الناس بالشكل الذى جعلهم يرفعون أصواتهم و يصرخون بوجه الظلم و يطلبون النجده من الرجل الصالح الجدير بزعامه الامّه و إمامتها و يرون فيه أملهم المنشود. أمّا الإمام من جانبه فقد كان عالماً بحكومه يزيد التى لا تريد سوى زعزعه أركان الإسلام و محو آثار القرآن، و أنّها ستنشد يوماً:

لعبت هاشم بالملك فلاخبرٌ جاء و لا وحىٌ نزل(۱)

و ستجدّد مفاخر الجاهليه و تقضّ مضاجع الدين، الأمر الذى يجعل الإمام ينهض لممارسه وظيفته تلبيه لدعوه الامّه، و هى الوظيفه التى ينهض بها كلّ إمام حسب الظروف و الشرائط، فلم يكن ينبغى للإمام الحسين عليه السلام أن يصمّ آذانه عن

۱- روضه الواعظين: ۱۹۱، الاحتجاج ۲: ۱۲۲ رقم ۱۷۳، الملهوف: ۲۱۵.

سماع صراخ المظلومين، و لذلك أعلن عن عزمه على خلاص الإسلام و الامّه من مخالب يزيد، حتّى لا يتفوّه أحد بأنّ الامّه استغاثت بالإمام و لم يجبها و تهرّب من ممارسه وظيفته و مسئوليته! كان هذا الأمر يتطلّب توفير بعض المقدّمات من قَبيل الحركه نحو الكوفه ليعلن للعالم بأنّى لن أخلد إلى السكون و الراحه. نعم، فالسبيل الذى سلكه يزيد و العلم الذى يعلمه الإمام لم يجعل أمامه من سبيل سوى القيام و الثوره، هذا من جانب، و من جانب آخر فقد كان عالماً عارفاً أنّه لن يحقّق هدفه و يُنهى حكومه يزيد و يقيم الحكومه الإسلاميه، بل إنّ سبيل التضحيه و الفداء هو الذى سيسقى شجره الدين التى جفّت عروقها خلال سنوات حكم معاويه، و أنّ تضحيته ستنفخ الروح من جديد فى جسد الإسلام الذى أصبح جثّه هامده بلا حركه، و كان يعلم جيداً بأنّه سيتمكّن بهذه التضحيه من أداء دينه للإسلام، و ستتحقّق مقوله جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله «حسينٌ منّى و أنا من حسين»(۱). إذن، فالانطلاق نحو الكوفه لزعامه الأُمّه كان من أجل كَمّ الأفواه التى فتحت آنذاك و ستفتح اليوم و غدا، على أنّ السبيل كان ممهّداً و الظروف مناسبه فَلِمَ لَمْ ينهض الإمام الحسين عليه السلام غير أنّ العلم بالشهاده و الذى يجعل الهدف يكمن فى كربلاء لم يكن يصدّ الإمام عن القيام و الثوره، فالإمام كان يعلم بأنّه سيُقتل فى هذه الحادثه- و هذا ما سنشير إليه لاحقاً- و لكن لا بدّ من الانطلاق نحو الكوفه و تمهيد المقدّمات لكى لا تخرج النهضه عن دائره العقلائيه و الحسابات التقليديه، رغم علمه بأنّه سوف لن يصل الكوفه. إذن، فالإمام رام بهذه الحركه إفهام العالم بأنّه قام من أجل إحياء الإسلام و إنقاذ الامّه المظلومه من قبضه حكومه يزيد، و أنّه سيُقتل إثر هذا القيام، و لم يكن

۱- كامل الزيارات: ۱۱۶ ح ۱۲۶، و عنه بحار الأنوار ۴۳: ۲۷۰.

للُامّه أن تـدرک مغزی هـذا القیام ما لم ینطلق صوب الکوفه، أمّا الإمام فقـد کان علی علم بأنّه لن یصل الکوفه. و هنا یبرز هـذا السؤال: إذا کان الإمام یعلم بأنّه سیُقتل قبل الوصول إلی الکوفه و الظفر بإنشاء الحکومه الإسلامیه- الحسینیه- فلما ذا قام و نهض بالأمر؟

وَ لِمَ سلّم أهل بیته للقتل طواعیه حیث لم یکن هنالک من احتمال و لو واحد بالمائه بالغلبه و النصـر؟ و الجواب: لم یکن الأخذ بزمام الأُمور و السیطره علی الحکومه هو الهدف الواقعی للإمام؛ لأنّ الإمام کان یعلم بعدم إمکانیه تحقّق هذا الأمر، و أنّه سوف لن یبقی حیّاً قبل أن یصل الکوفه، بل کان هـدفه الأصـلی إحیاء الإسـلام، و تطبیق القرآن، و إبقاء عزّه المسـلمین و شـریعه خاتم النبیّین صـلی الله علیه و آله، و إزاله البدعه و إحیاء السـنّه، و لیس هنالک من سبیل سوی الشـهاده لتحقیق هذا الهدف العظیم- و هذا ما سـنتعرّض له فی مناقشه الخطأ الرئیسـی الثانی- و هذه المهمّه کانت تشکّل وظیفه من وظائف الإمامه التی کان علی الإمام السـعی للقیام بها، و أن یُحمل رأسه علی الرماح من أجل رفعه الإسلام العزیز. و علی العموم لیست هنالک من منافاه بین الحرکه نحو الکوفه و تلبیه دعوه الامّه و إعـداد مقـدّمات النهضه، و بین علم الإمـام بالشـهاده، و ذلـک لأـنّ الغرض الأصـلی هو إفشـال مخطّطـات یزیـد و إحیاء الإسـلام، و لم یکن من سبیل لـذلک سوی القتال المسـتمیت فی کربلاء حتّی الشـهاده، و لم یکن یعلم بهـذا الأـمر سوی الإمـام علیه السـلام، و أنّ هـذا الهـدف العظیم إنّما یتحقّق فی ظلّ الشـهاده لا الحکومه. أمّا حرکه الإمام باتّجاه الکوفه إنّمـا کـان یهـدف منهـا توضـیح أسـباب قتـل الإمـام، و لیعلم العالم بأسـره أنّ الإمام ثار من أجل إنقاذ الامّه الإسـلامیه و الحیلوله دون اضمحلال و محو الدین من قبل حکومه یزید و أنّه قُتل فی هذا السبیل.

و لعلّ الإدراک الحقیقی لفلسفه حرکه الإمام و الوظیفه التی قام بها قد یتعذّر علی الناس لو کان الإمام قال منذ بدایه حرکته: إنّما انطلق إلی الأرض التی سأُقتل فیها، کما سیتعذّر علیهم إدراک کیفیه قیام الإمام بهدف إحیاء الإسلام، أمّا الإمام فکان یعلم شخصیاً بأنّ السبیل الوحید للانتصار و زعزعه سلطه یزید و إحیاء الإسلام إنّما یکمن بالشهاده و التضحیه بالغالی و النفیس. نعم، جرت عاده الأئمّه المعصومین علیهم السلام باعتماد بعض الأُمور من أجل إفهام الناس بعض الحقائق و الوقائع، فقد رقد الإمام علی علیه السلام فی الفِراش بعد أن ضُرب فی محراب عبادته، فهو کان یعلم بأنّ ضربه ابن ملجم قاتله، و قد کشف النقاب عن جمیع تفاصیلها قُبیل وقوعها، و لکن کیف له أن یفهم الآخرین بأنّ تلک الضربه قاتله؟ لا شکّ فی أنّه لیس هنالک من سبیل سوی استدعاء الطبیب لفحصه و إبداء وجهه نظره بهذا الشأن، فلولا فحص الطبیب و تشخیصه بأنّ الضربه قاتله و لا أمل فی الحیاه، فلعلّ هناک من یتساءل لو کان علیّ علیه السلام راجع الأطباء و قدّموا له العلاج و الدواء فلربما تماثل للشّفاء و نجی من الموت، و هذا هو جواب أولئک الذین یلتبس علیهم الأمر فیقولون: إذا کان علی یعلم بأنّه سیفارق الدنیا إثر ضربه ابن ملجم و أنّه میّت لا محاله، فَلِمَ أخضع نفسه لإشراف و فحص الطبیب؟ و لمَ استعدّ لتلقّی العلاج؟ أ و لیس هذا دلیلًا علی عدم علمه علیه السلام بأنّه سیموت إثر هذه الضربه، فعلی علیه السلام کان یعلم أن لا جدوی من العلاج و أنّه سیُفارق الحیاه، و لکن کیف له أن یفهم الآخرین هذا الأمر و لا سیّما عوام الناس؟ فهل هناک سوی السبیل الذی سلکه الإمام علیه السلام؟ و هذا ما یصدق علی واقعه کربلاء و حرکه الإمام نحو الکوفه، الأمر الذی سنتعرّض له لاحقاً. ۵- یتّضح من الإجابه التی أوردناها علی السؤال فی النقطه الرابعه أن لیس هناک أیّه منافاه عقلیه و عقلائیه بین أساس النهضه من أجل الإطاحه بحکومه

یزید و العلم بالشهاده فی هذه النهضه من أجل تحقیق هذا الهدف. أمّا المؤلّف- و بغضّ النظر عن العلم بالشهاده فی هذه الحرکه- فلم یجد من سبیل للجمع بین تحقیق الهدف و أساس النهضه، فظنّ أنّ فرض صحّه هذه الحرکه إنّما تتأتّی إذا غضضنا الطرف عن علم الإمام علیه السلام بحادثه کربلاء، ثمّ یستنتج علی هذا الأساس أنّ الإمام لا یستطیع أن یطیح بحکومه یزید من خلال هذا الطریق، فکیف تأهّب لمثل هذه الحرکه، فالقیام و النهضه لم تعدّ عملیه عُقلائیه! و علیه: فیری المؤلّف أنّنا إذا أردنا أن نسند الثوره لهذا الأساس وجب علینا أن نغضّ النظر عن علم الإمام، و لمّا أجبنا علی هذا السؤال الوارد بهذا الشأن، فإنّنا نری أنّ المؤلّف لم یستطع أو لم یرد أن یشخّص الطریق الصحیح، فان استند إلی مبناه فی أنّ الهدف هو إسقاط حکومه یزید و الأمل بالنصر و إنشاء الحکومه الإسلامیه، وجب علیه القول بعدم علم الإمام بما ستئول إلیه الأحداث، أو أن یتراجع عن قوله: من أنّ الهدف هو إسقاط حکومه یزید. و نخلص من هذا إلی أنّ الإذعان بالعلم یستلزم نسف کلّ ما ورد فی الکتاب، إلّا أنّنا نعتقد أنّ الهدف کان یتمثّل بالإطاحه بحکومه الظلم و الجور إلی جانب تلبیته لدعوه الامّه المتعطّشه إلی الحریه و حکومه العدل، کما کان عالماً بالأحداث، و فی ظلّ هذا الأمر یتحقّق الهدف، لکن لیس فی ظِلّ إنشاء الحکومه، بل بواسطه التضحیه، و هذه حقیقه معنویه و وظیفه إلهیّه کانت معلومه منذ البدایه، و قد قلّد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام حسیناً علیه السلام هذه المسئولیه التأریخیه و قَبلها بکلّ رحابه صدر. و بناءً علی هذا ینبغی علی المؤلّف الذی ظنّ بأنّ السبیل العقلائی لهذه النهضه یقوم علی أساس غضّ النظر عن علم الإمام، و بالنظر إلی الکلمات و الخطب التی أوردها الإمام بشأن علمه بشهادته؛ فإنّ الکتاب یکون قد نقض أو نسف تماماً،

و إلّا فلا- خيار آخر سوى الاعتراف بعدم علم الإمام عليه السلام. ۶- لقد تبيّن من خلال الأدلّه السابقه أنّ المؤلّف- و أساس الكتاب- لا- يمكنه أن يقول بعلم الإمام بشهادته فى هذه الحركه، إلّا أنّنا لم ندّعِ تصريح المؤلّف بإنكار علم الإمام. ۱) قال المؤلّف فى ص ۲۹۰ و ۲۹۱- بعد الاتّفاق الذى حصل بين الحرّ بن يزيد و الإمام-: «لزم الإمام ميسره الطريق و انطلق» ثمّ أضاف المؤلّف: «فلو سأله أصحابه أين ننطلق؟ ما مصير هذه الحركه؟ أين سنحلّ؟ ما ذا سنفعل؟ هل هناك من مشاكل ستواجهنا؟ لا يسع الإمام أن يقدّم من جواب سوى القول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور»، فهل يسع المؤلّف بعد التصريح بنفى علم الإمام بالأحداث و المصير أن يقول: لقد غضضنا الطرف عن علم الإمام و معرفته بالامور، فما الحاجه هنا لغضّ الطرف، فالإمام عليه السلام قد رأى نفسه فى قبضه العدوّ، و لم يكن له سوى الاتّجاه نحو ميسره الطريق بعد رفض العدوّ لاقتراحه بالرجوع، كما تزعم بأنّ الإمام أخذ يلتفت شيئاً فشيئاً أنّه سوف لن يظفر بهدفه المقدّس، فكيف نغضّ الطرف عن علمه رغم علمه و معرفته! لقد غضضت طرفك حين تعذّر عليك الجمع بين العلم و تحقّق الهدف، أمّا و قد انعدم الأمل و لاحت بوادر انتصار يزيد، و ذلك لأنّه وقع فى قبضه العدوّ قبل أن يدخل الكوفه و يتّصل بقواعده الجماهيريه، و قد أغلق حتّى طريق الرجوع بوجهه! فهل غضّ طرفه عن علم الإمام فى ظلّ هذه الظروف، و الجمله التى ذكرتها- و التى تفيد عدم اطّلاع الإمام- استندت فيها على ما ورد فى الكتاب التأريخى الفلانى، فهل بقى من طريق عقلائى لغضّ الطرف عن العلم!! نعتقد بأنّ هذه الجمله ليست تفيد عدم علم الإمام بما ستئول إليه الأحداث فى كربلاء فحسب، بل تفيد أيضاً أنّ الإمام لم يشعر- و العياذ باللّه- بأدنى خطر من

هـذه الحـادثه المروّعه الخطيره، و هو الوقوع فى قبضه الحرّ و جيشه المتعطّش للـدماء. لعـلّ المؤلّف يقول: أين أوردنا اسم الإمام فى جواب على سؤال؟ نقول: ليس هنالـك من جواب على تلـك الأسـئله سوى تلك العباره. أمّا جوابنا على السؤال فنقول: على مَن يطرح الأصـحاب أسـئلتهم؟ ليس لهم سوى الإمـام، أضف إلى ذلـك فإنّـك نقلت تلك العباره من تأريـخ الطبرى، فالتاريخ المذكور ينسب هذه العباره صـراحه إلى الإمام، و هى صـريحه بعدم علمه بحادثه كربلاء. و ربّما قال المؤلّف: نعم، لقد استندت إلى تأريـخ الطبرى فى نقل تلك العباره، ثمّ تبعته فى قضـيه عـدم اعتقاده بعلم الإمام بالحادثه. فنقول: أوّلًا: هل يصـحّ الاسـتدلال بالتأريـخ فى المسائـل العقائـديه المرتبطه تمامـاً بعلم الكلام، و التى ينبغى التوصّـل إليهـا من خلال الأدلّه العقليه أو الأدلّه النقليه الموثّقه! فعلم الإمام، بالحوادث المستقبليه من المواضيع العقائديه، و ليس للتأريخ أن يبدى وجهه نظره بهذا الشأن سلباً أو إيجاباً. ثانياً: تأريخ الطبرى ليس وحياً مُنزلًا، فهل كلّ ما ورد فيه موثوقاً معتمداً عليه و إن خالف أقوال كِبار محدّثى الشـيعه و مؤرّخيهم؟ نعم، تأريـخ الطبرى قـد اشـتمل على مـا لا يحصـى من الأخبـار الموضوعه، و إذا أردت التأكّـد فإليـك مـا أورده العلّامه الأمينى صـاحب الغـدير بشأن بعض تجنّيات هـذا التأريـخ، فقـد قال العلّامه- فى الجلـد الثامن ص ۴۵۷- ۴۶۰- حين تعرّض الطـبرى فى تأريخه إلى تأريـخ أبى ذرّ قال: فى هـذه السـنه- أعنى السـنه الثلاثون- كان ما ذكر من أمر أبى ذر و معاويه، و إشـخاص معاويه إيّاه من الشام إلى المدينه، ثمّ ذكر أسباباً دعت معاويه لنفيه، و لا

أرغب بالتعرّض لها «فأمّا العاذرون معاويه فی ذلک فإنّهم ذکروا فی ذلک قصّه»، ثمّ یخوض الطبری فی ذکر تلک القصص، ثمّ یضیف العلّامه الأمینی قائلًا: «ما الذی دفع الطبری للاقتصار علی ذکر القصص التی تعذر معاویه، بینما یتحفّظ عن ذکر العلل و الأسباب التی أوردها الآخرون و التی تصوّر بشاعه هذا العمل؟ فهل کان له من هدف سوی إعذار معاویه و إثبات حسن صنیعه؟ فَلِمَ لَمْ ینقل الحقائق المتعلّقه بهذه الحادثه، و الحال أنّها مرتبطه بواقع تأریخ الامّه الإسلامیه، لقد ظنّ بأنّ هذه الحقائق ستبقی مستوره إلی الأبد و قد غفل عن وضوحها فی کتب الحدیث و زوایا التأریخ» ثمّ قال الأمینی: «لقد شوّه الطبری تأریخه بالمکاتبات التی نقلها السرّی الکذّاب الوضّاع عن شعیب، عن سیف، و ذلک لأنّ السرّی اسم لفردین معروفین بالکذب و وضع الأحادیث، و شعیب- علی ضوء المختصّین بعلم الرجال کابن عدی و الذهبی- مجهول، و سیف ضعیف و متروک و ساقط من الاعتبار، بل متّهم بالزندقه من قِبل الحفّاظ و أرباب الجرح و التعدیل، لقد نقل الطبری ما یربو علی السبعمائه روایه- و التی تعادل عدّه مجلّدات من تأریخه- عن السرّی، عن شعیب، عن سیف، و غرضه هو إخفاء الحقائق التی وقعت منذ سنه ۱۱ ه حتّی سنه ۳۷ ه، أی عصر الخلفاء الثلاثه». ثمّ یخوض العلّامه الأمینی بالتفصیل فی هذه الروایات و الحوادث المتعلّقه بکلّ سنه فی ذلک العصر. أمّا غرضنا من نقل أقوال العلّامه الأمینی هو أنّه کیف یسعنا اعتبار تأریخ الطبری سنداً تأریخیاً قاطعاً و نذعن من خلاله بعدم علم الإمام علیه السلام بحادثه کربلاء و ما آلت إلیه الأحداث!! ثالثاً: لقد نقلت فی هذا التأریخ- کما سیأتی لاحقاً- بعض القصص التی تفید علی نحو الجزم علم الإمام بشهادته فی هذه الحرکه، فلم لم تتبع هذه الامور فی

تأریخ الطبری!! ۲- قال المؤلّف- فی ص ۲۹۰-: «یا لها من فاجعه! فی أن یمنح الإمام أصحابه حاله السکینه و الطمأنینه فی ظلّ تلک الأوضاع المزریه التی عصفت بهم، ثمّ یتّجه بهم فی تلک الصحراء الطویله العریضه إلی موضع لم یتکهّن به». و هنا نسأل المؤلّف: «یتّجه بهم إلی موضع لم یتکهّن به» ما ذا تعنی هذه العباره؟

أَ وَ لا تعنی أنّ الإمام لا یدری أین یذهب، و لا یعلم بأنّ ذلک الموضع هو کربلاء؟

فإذا کان کذلک فهل یمکن التصدیق بأنّ الإمام عالم بأنّه سیحلّ فی کربلاء، حقّاً أنّ مثل هذه الحیره لا تلیق بشأن الإمام العالِم بکلّ شی ء و لا سیّما تفاصیل و جزئیات حادثه کربلاء، فهذه الامور لا تقود بالتالی إلّا إلی الحطّ من المنزله العلمیّه للإمام علیه السلام، لِمَ هبطت بمقام الإمام الی هذه الدرجه بعد تغلیف العبارات بهاله من التراجیدیا و الغمّ؟ فی حین تعتقد بأنّ کتابک قد أدّی إلی رفعه مقام الإمام و تقول:

«إنّ هذا الکتاب لیس فقط لم یقلّل من شأن مقام الإمام، بل قد رفع مقام الإمام بشهاده العلماء إلی درجه أرفع ممّا کانت تتصوّره عامّه الناس». فهل افتراض عدم العلم و الاطّلاع ترفع منزله الإمام؟ و هل الحیره و الترددید من قِبل الإمام دفعت أولئک العُلماء للإدلاء بتلک الشهاده؟ و هل عوامّ الامّه فقط یرون الإمام عالماً عارفاً؟ لا یسعنا هنا إلّا أن نناشدک بأن تعتبرنا جزءاً من عوامّ الامّه. ۳- قال فی ص ۳۰۱- بعد أن نقل شیئاً یسیراً عن نزول الإمام و صحبه فی کربلاء-: «لقد تذکّر الإمام حدیث والده أمیر المؤمنین علیه السلام بشأن هذه الأرض، حیث قال: قال أمیر المؤمنین علیه السلام للحسین- حین کان له من العمر ثلاث و ثلاثین سنه-: سیُقتل هنا ثلّه من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله و قد ابتلیت ثلّه منهم الیوم بهذه الأرض». أو لیست تلک العدّه المعدوده من أهل البیت التی تحدّث عنها أمیر

المؤمنين عليه السلام هم الحسين عليه السلام و أهل بيته؟ أَ وَ لا ينطبق ذلك الحديث الذى ذكره أمير المؤمنين عليه السلام قبل أربع و عشرين سنه بشأن قتل عدّه معدوده من أهل البيت فى ذلك الموضع على الحسين عليه السلام و أهل بيته؟ لقد نقل الحسين عليه السلام ذلك الحديث إلى صحبه، و بالطبع فإنّه عليه السلام كان يحتمل بأنّه هو المعنىّ بالكلام، فجعل يستعدّ و صحبه لذلك البلاء. و الذى نخلص إليه من عبارات هذه الصفحه من كتاب المؤلّف الذى أثار مثل هذه الاستفهامات: ۱- أنّ الإمام الحسين عليه السلام حين بلغ كربلاء و حاصره العدوّ، تذكّر ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ صفوه من أهل البيت تقتل فى هذا الموضع. ۲- لقد أورد أمير المؤمنين عليه السلام عبارته بضمير الغائب «هم» فى قوله: «مهراق دمائهم ...»(۱) و رغم كون الحسين عليه السلام معه إلّا أنّه لم يعتقد بأنّه المعنىّ بذلك الحديث. ۳- لم يتذكّر الإمام عليه السلام حديث أمير المؤمنين عليه السلام طيله مسيره حتّى حلّ فى كربلاء و حاصره العدو. ۴- حين تذكّر الإمام عليه السلام ذلك الحديث، خشى أن يكون هو و صحبه المصداق للعباره: «مهراق دمائهم» و رغم جميع القرائن و الشواهد من قبيل حديث أمير المؤمنين عليه السلام بشأن تلك الأرض، و قرينه نزول الإمام فيها، و محاوله قتله من قِبَل يزيد، و المعامله الفِضّه لعبيد اللَّه بن زياد و محاصرته للإمام عليه السلام، و ما قاله الفرزدق حين التقاه، و مئات القرائن الاخرى، فإنّ الإمام تذكّر توّاً حين نزل فى تلك الأرض أن يكون هو و صحبه المقصودين بذلك الحديث الذى أورده أمير المؤمنين عليه السلام قبل أربع و عشرين سنه، فرجع الإمام إلى نفسه و أحسَّ بالخطر الذى

۱- اختيار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الكشى»: ۱۹ ح ۴۶، و عنه بحار الأنوار ۲۲: ۳۸۶ ح ۲۷، الأحاديث الغيبيه ۲: ۱۶۴- ۱۶۵، و يأتى مفصّلًا فى ص ۲۵۹.

یواجهه، فی حین لم تکن کلّ تلک القرائن و الشواهد سبباً لیقین الإمام علیه السلام، أمّا عبارته: «هاهنا و اللَّه محطّ رِحالنا ...» فقد نسبت إلیه من قِبل ابن الأعثم المشهور بالکذب. أمّا العبارات المنمّقه التی اعتمدها المؤلّف- فی هاتین الصفحتین من الکتاب- فهی لا تفید کون الإمام لا یعلم بقتله فی هذه الحادثه، و لم یستطع تشخیص الواقعه فحسب، بل وردها علی أساس الاحتمال. و هنا نقول: کیف یقرّ المؤلّف بعلم الإمام بالشهاده منذ انطلاقته، و الحال کانت هذه هی النتیجه لدراسه الصفحتین المذکورتین؟ و لعلّ المؤلّف یقول: إنّی لا أنکر التفات الإمام لهذا الأمر، بل أقول: إنّه لم یطلق هذه العباره: «هاهنا و اللَّه محطّ رِحالنا ...» و قد نسبها إلیه الکذّاب ابن الأعثم. فأقول: أوّلًا: ما أوردناه هو نتیجه التحقیقات فی ص ۳۰۱. و ثانیاً: لِمَ التعرّض إلی مقوله ابن الأعثم و الإصرار علی إثبات عدم صحّتها؟

التعرّض لذلک لا یکون إلّا لأنّ المؤلّف قد التفت إلی عدم العلم، و أراد بتضعیف هذه العباره أن یزعزع أساس علم الإمام، و یخلص بالتالی إلی أنّ الإمام علیه السلام لم یقل:

«هاهنا مسفک دمائنا»، أضف إلی ذلک علی فرض أنّ ابن الأعثم کذّاب وضّاع، فهل لنا أن نرمیه بالکذب فی الخبر الذی ینقله عن الإمام إذا کان مخالفاً لبعض الواقعیات حسب بعض القرائن؟ و هل هذا هو الاسلوب الذی ینهجه المؤلّف فی استنباطه للأحکام الشرعیه؟ مثلًا إذا کانت روایه دون سند، أو کان بعض رواتها من یخدش فیهم، إلّا أنّ الروایه موافقه لروایه موثوقه، فهل تسقط هذه الروایه من الاعتبار؟ هنالک ما لا یحصی من القرائن التی تجعل من الطبیعی نسب عباره «هاهنا و اللَّه محطّ رِحالنا» إلی الإمام، و فرض کذب ابن الأعثم فی سائر الموارد لا یعتبر

دليلًا على صحّه هذه المقوله، و ليس هنالك ما يدعو إلى تكذيب ابن الأعثم فى إيراده لمقوله تنسجم و سائر الموازين العلميه و القرائن الخارجيه، و لا يسعنا إلّا أن نردّ إصرار المؤلّف على التكذيب إلى مبدئه الأساسى القائم على إنكار علم الإمام بمقتله فى هذه الحادثه. و من المناسب هنا أن نشير إلى نقطتين: النقطه الاولى: ترى الشيعه الإماميّه أن لا فرق بين الأئمّه الطاهرين عليهم السلام فى جميع الامتيازات و الفضائل، فهم متشابهون فى القدره و العلم و ما إلى ذلك من الصفات، و هنا نطرح هذا السؤال: ما الفرق بين أمير المؤمنين و الحسين عليهما السلام؟ فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام عالماً بواقعه كربلاء، فما الذى يدعونا للقول بعدم علم الإمام الحسين عليه السلام بها، بحيث يكون هناك فارق فى العلم بين الإمامين؟ و لعلّ هناك من يقول: أوّلًا: لقد نقل أمير المؤمنين عليه السلام هذه المقوله كروايه أو حكايه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، فما الضير ألّا يكون الإمام الحسين عليه السلام قد سمعها من النبى صلى الله عليه و آله؟ ثانياً: لقد تطرّق أمير المؤمنين عليه السلام إجمالًا لهذه الحادثه، و لعلّه لم يقف على تفاصيلها و لا- يعلم أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام. فنقول فى الجواب: أوّلًا: لم يتعرّض لها المؤلّف كروايه أو حكايه عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله، بل اعتمدها المؤلّف كنقل آخر من قبيل كونها نبوءه لأمير المؤمنين عليه السلام فقط. ثانياً: يفيد ظاهر الكتاب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مطّلعاً على تفاصيل الواقعه و أنّها بشأن ولده الحسين عليه السلام، و فى هذه الحاله يبقى سؤالنا قائماً: كيف نقول بالفارق بين إمامين مفترضى الطاعه فنثبت لأحدهما من العلم ما ليس للآخر؟! النقطه الثانيه: من المسلَّم لديك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أشار إجمالًا فى معركه صفّين إلى هذه الواقعه و لم يصرّح بشى ء بخصوص ولده الحسين عليه السلام، فى حين

أفادت المصادر و الروايات أنّه صرّح باسم ولده الحسين عليه السلام و بحضوره، و قد وردت أغلب هذه الروايات فی کتاب البحار للعلّامه المجلسی رضی الله عنه فی المجلّد الأربع و الأربعين ص ۲۵۲- ۲۶۶، و نکتفی هنا بذکر روايه واحده تدحض قضيه الإجمال: فقد قال العلّامه المجلسی رضی الله عنه: «و روی فی بعض الکتب المعتبره عن لوط بن يحيی(۱) عن عبد اللّه بن قيس قال: کنت مع مَن غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام فی صفّين و قد أخذ أبو أيّوب الأعور السلمی الماء و حرزه عن الناس، فشکا المسلمون العطش، فأرسل فوارس علی کشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضی إليه يا أبتاه؟ فقال: امضِ يا ولدی، فمضی مع فوارس فهزم أبا أيّوب عن الماء، و بنی خيمته و حطّ فوارسه، و أتی إلی أبيه و أخبره، فبکی علی عليه السلام، فقيل له: ما يبکيک يا أمير المؤمنين و هذا أوّل فتح ببرکه الحسين عليه السلام؟

فقال: ذکرت أنّه سيُقتل عطشاناً بطفّ کربلاء حتّی ينفر فرسه و يحمحم ...»(۲). و لعلّ المؤلّف يقول: ليس هناک من منافاه بين هذه الروايه و ما ذکرته، فقد قلت بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يتطرّق إلی ذکر الحسين عليه السلام خلال مروره بأرض کربلاء متوجّهاً إلی صفّين، و لعلّه صرّح بذلک حين المعرکه، فأقول: لو سلّمنا ذلک، فالتصريح بالاسم خلال المعرکه هل يبقی هنالک من مجال للإجمال، أو ليس التصريح موضحاً للإجمال؟

نتيجه الأدلّه:

کانت الأدلّه السابقه نماذج تثبت عدم إمکانيه تصديق المؤلّف لعلم

۱- لوط بن يحيی هو أبو مخنف الذی يروی عنه الطبری، و قد أدرک زمان الإمام الصادق عليه السلام.

۲- بحار الأنوار ۴۴: ۲۶۶ ح ۲۳.

الإمام علیه السلام بشهادته فی هذه الحادثه، الأمر الذی دوّن من أجله الکتاب. و بالالتفات إلی ما أوردناه سابقاً فلعلّ هنالک من یقول بأحد الموضوعین التالیین:

الموضوع الأوّل:

لقد ألّف کتاب شهید جاوید بغضّ النظر عن علم الإمام علیه السلام بالشهاده فی هذه النهضه، و هو عباره عن دراسه دقیقه تثبت نهضه الإمام علی أسس عقلائیه و منطقیه من خلال المعادلات الطبیعیه.

الموضوع الثانی:

قد یُقال: و هل العلم بالشهاده فی هذه النهضه من ضروریات المذهب بحیث یدعو إنکاره إلی مثل هذه الضجّه؟ فما الضیر ألّا یکون الإمام عالماً بموضوع قد یکون من المسلّمات؟!

جواب الموضوع الأوّل:

۱- إذا کان هناک انسجام بین الدراسه التی تناولها الکتاب و علم الإمام، و رأیتم أنّها لیست منسجمه فحسب، بل بالتوجّه إلی ما ذکر من أنّ علم الإمام یمکن جمعه مع الحرکه المنطقیه و العقلائیه للإمام، فما الحاجه لصرف النظر هذا؟ فی الواقع یعتبر صرف النظر هذا اعترافاً صریحاً یتعذّر معه الجمع بین الکتاب و علم الإمام، و أنّ مضمون الکتاب قد دوّن علی أساس عدم علم الإمام.
۲- یمکن افتراض موضوع «غضّ النظر عن العلم» من وجهه نظر المباحث العلمیه و الدراسات العقلیه السائده بین العلماء، أمّا من ناحیه الامّه فلا یمکن

قبوله؛ لأنّ الكتاب إنّما دوّن لغرض استفادتها، فليس للُامّه أن تغضّ النظر عن علم الإمام و تدرس المباحث دون الأخذ بنظر الاعتبار ذلك العلم. ۳- أين ذكر الادّعاء بغضّ النظر عن علم الإمام بشهادته فى النهضه من مباحث الكتاب أو مقدّمته، فى حين لم ينس الكاتب الإشاره إلى المواضيع التى ليست بذات أهمّيه، أو لا يستحق موضوع علم الإمام عليه السلام بشهادته فى هذه النهضه و الذى تعتقد به الامّه الإسلاميه إذا غضّ الكتاب طرفه عن ذكره بحيث دوّن بما يتنافى و ذلك العلم من ذكر تلميح أو تصريح فى أوّل صفحه من الكتاب؟ ۴- هل من فائده تُذكر لكتاب أسّس بنيانه على فرض غير صحيح و مخالف للواقع؟ يمكن أن يُقال: إنّ فائدته كما ذكرنا فى الصفحه السادسه هو دراسه النهضه الحسينيّه على المستوى العالمى غير الشيعى إلى جانب نفعه لأهل الإيمان من خلاله اعتماده الموازين العُقلائيه. و الجواب: لو أذعنّا لهذا الزعم، كان لا بدّ أن ينشر الكتاب بإحدى لغات العالم الحيّه و يقتصر على العالم البعيد عن التشيّع، و لا ينبغى أن يطّلع عليه العالم الشيعى فتجرح مشاعره، و للزم من ذلك أن يقول: إنّنا نقدّم هذا الكتاب للعالم غير الإسلامى، بدلًا من العباره التى ذكرها فى ص ۷: «إنّنا نقدّم هذا الكتاب إلى المجتمع الإسلامى و غير الإسلامى بصفته فرضيه تأريخيه حول نهضه الإمام الحسين عليه السلام».

جواب الموضوع الثانى:

لا بأس هنا من الالتفات إلى بعض المواضيع المهمّه و إن تعرّضنا لشرحها آنفاً: ۱) هل يقتصر علم الأئمّه الأطهار عليهم السلام على أحكام الإسلام و تعاليم الدين و قوانين الشرع بالاستناد إلى الاجتهاد فى القرآن الكريم و سنّه النبى صلى الله عليه و آله، أم أنّهم

مفسّرون للقرآن و لهم معرفه تامّه بالغیب و أسرار و بطون القرآن و الأحکام و السنّه النبویّه؟ ۲) هل الإمام عالم بالموضوعات و تفاصیلها أم لا؟ و الاعتقاد بهذا الأمر جزء من ضروریات المذهب أم لا؟ و هل الموضوعات علی درجه واحده، أم هنالک فوارق بینها؟ ۳) إذا افترضنا عدم علم الإمام بالموضوعات، و لم یکن الاعتقاد بهذا الأمر من ضروریات الدین، فهل الإمام الحسین علیه السلام کان عالماً بوقائع حادثه کربلاء فی نهضته أم لا؟ هذه أسئله یبدو أنّ دراستها و تحقیقها فی غایه الأهمّیه، و أهمّها هو السؤال الثالث الذی یجب دراسته حتّی تنکشف حقیقه الأمر و یزال الالتباس عن ذهنیّه الامّه المسلمه المناصره لرساله الإمام و إبعاد الشبهات عن نهضه سیّد الشهداء علیه السلام، التی- لا سمح اللَّه- ستؤدّی إلی التقلیل من أهمّیه مقام الولایه. و إلیک جواب السؤال الثالث:

جواب السؤال الثالث:

أوّلًا: إذا افترضنا جدلًا بعدم علم الأئمّه الأطهار علیهم السلام بالحوادث و الموضوعات، و قلنا من وجهه نظر المبانی الدینیّه: إنّ الاعتقاد به لیس ضروریّاً، و لکن لا یمکن هنا إنکار حقیقه، و هی أنّه لا یمکن إخضاع کافّه الموضوعات لمقیاس واحد، فإذا افترضنا أنّ الإمام لا یعلم اسم الشخص الفلانی، أو أین تقع الأرض الفلانیه، أو وجود الکهرباء، فهذه الامور لا تمتّ بصله من قریب أو بعید إلی أساس الإسلام و مصیر الامّه الإسلامیه. و لکن هل لنا أن نفترض عدم علم الإمام بالموضوعات التی ترتبط ارتباطاً وثیقاً بسعاده المسلمین و حیاتهم و تؤثّر

مباشره على المسيره الإسلاميه؟ و هل يمكننا القول بصراحه بأنّه لا يجب أن يحيط الإمام عليه السلام علماً بمثل هذه الامور؟ بالاستناد إلى هذا التفكيك فى الموضوعات، يبدو من الواضح ضروره الاعتقاد من وجهه نظر الدين بأنّ مثل هذه الحوادث ليست بخافيه على الإمام عليه السلام و إلّا تعرّض كيان الإسلام إلى خطر السقوط و الزوال، و عليه: فلا يمكن إصدار نفس الحكم بشأن كافّه الموضوعات. فإن قُلنا أيضاً بعدم امتلاكنا للدليل على علم الإمام بهذه الحوادث و تشخيصه لها، فإنّنا لا بدّ أن نعتقد بأنّ إمكان خطأ الإمام فى تشخيصه لمثل هذه الحوادث من شأنه أن يسدّد بعض الضربات الموجعه إلى الإسلام و المسلمين، فهل تجب طاعه و اتّباع مثل هذا الإمام؟ أولا تنصرف الآيه أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ(۱) إلى شى ء آخر؟ أو لا تجب طاعه اولى الأمر فى الحوادث؟ هل تجب الطاعه للولى الذى يجوز عليه الخطأ؟ و الآن نسأل هذا السؤال: واقعه كربلاء مِصداق لأىّ من الحوادث و الموضوعات المذكوره آنفاً؟ هل هذه الواقعه المأساويه أمر جزئى لا مساس له بالإسلام و العالم الإسلامى؟ و هل كانت مصادمه عاديّه بين زعيم صالح و زعيم جبّار؟ أم أنّها كانت حادثه جوهريه ذات تأثير بالغ على مصير الإسلام؟ الجواب واضح تماماً، فلا شكّ أنّ حادثه كربلاء كانت حادثه بالغه الخطوره على الإسلام و المسلمين، و على ضوء ما أوردناه فإنّ علم الإمام عليه السلام بهذه الحادثه يبدو منطقياً تماماً، كيف ينسب الجهل إلى الإمام و أنّه ورد ميداناً لم يتكهّن به حتّى سبّب ذلك ضرراً على الإسلام حسب رأى البعض! و كيف يحمل يزيد وزر تلك الاضرار و الخسائر؟! و كيف تجب طاعه الإمام فى هذه الحركه التى لم يكن

۱- سوره النساء: الآيه ۵۹.

يعلم بعاقبتها؟! يرى المؤلّف أنّ الإمام لم يكن على علم بعاقبه تلك الأُمور! ثمّ حذا حذو الطبرى فى أنّه لو سُئِل: أين نذهب؟ أين سننزل؟ ما عاقبه هذا الأمر؟ لما أجابهم إلّا بالقول: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الأُمور». كما يرى المؤلّف أنّ عاقبه الأمر لم تكن سوى تلك الخساره العظيمه التى سدّدها يزيد الفاسق إلى الإسلام و المسلمين. إذن، فهو يعتقد بأنّ الإمام قد ارتكب عملًا لا- عن علم انطوى على تلك النتيجه الخاسره، إلّا أن الخساره يتحمّلها يزيد و هو المسئول عنها! و على هذا فإنّ الأفراد الذين تخلّفوا عن الركب و على ضوء ذلك المصير معذورون فى تركهم الإمام! هل هنالك من مسئوليه تقع على عبيد اللّه بن الحرّ الجعفى! طبعاً ليس أمامنا من سبيل سوى الإذعان باطّلاع الإمام عليه السلام و علمه بكافّه تفاصيل الحوادث.

طريق مغلق؟!

لعلّ هنالك من يسألنا: لم تحشرون أنفسكم فى طريق مسدود، فأنتم تقولون بأنّ الإمام عليه السلام كان عالماً بعاقبه النهضه، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يلقى بنفسه فى تلك التهلكه المميته؟ كيف أقدم الإمام على تلك الحادثه و لم يتريّث رغم إضرارها بالإسلام و المسلمين؟ لِمَ لَمْ يستجب لنصائح ابن عباس و محمّد بن الحنفيه؟ و لِمَ لَمْ يتمكّن من التقى الإمام فى مسيره عن ثنى الإمام عن عزمه؟ فنقول فى الجواب: أوّلًا: أنّ حادثه كربلاء ليس فقط لم تضرّ بالإسلام و المسلمين، بل- سنثبت فى الفصل القادم إن شاء اللّه- أنّ هذه الحادثه كانت الخطوه الاولى لاستعاده الإسلام حيويّته، كما كانت الضربه الموجعه التى وجّهت لحكومه يزيد الغاشمه.

و علیه: فالنهضه الحسینیه کانت اللبنه الأساس لإقامه الحیاه الإنسانیه القائمه علی أساس مفردات العزّه و الکرامه و الشجاعه و رفعه الإسلام و المسلمین. و من هنا فإنّ طاعه الإمام علیه السلام واجبه علی کلّ مسلم و إنسان حرّ غیور، و التخلّف عنه و عدم الالتحاق به یعدّ أسوأ أنواع إلقاء النفس فی التهلکه و القضاء علی کیان الإسلام و المسلمین، و الموت معه هو الموت من أجل العدل و الحریه و الإسلام و القرآن و التوحید. فحرکه الحسین علیه السلام أنصع صفحه ذهبیه فی التأریخ علّمت الناس دروس التضحیه و الکفاح، و فضحت أسالیب الأعداء و ما یضمرون من شرٍّ و عدوان للإسلام، و لذلک فإنّ عزمه الذی یستند فیه إلی المصلحه الإسلامیه التی رسمها له الحقّ و النبیّ و أمیر المؤمنین لم یکن لیضعف لأقوال ابن عباس و أمثاله، فهؤلاء لا یعلمون خطوره وظیفه الحسین علیه السلام؟ أمّا الإمام علیه السلام فقد کان یعلم أین یتّجه و ما ذا سیحدث. ثانیاً: هناک بعض الأسناد و الوثائق التأریخیه التی استدلّ بها المؤلّف، و نذکرها بأجمعها: ۱) لقد نقل الطبری فی تاریخه عن أبی مخنف لقاء الإمام لزهیر بن القین و قال:

«قال زهیر لصحبه حین رجع من عند الإمام: مَن أَحبّ منکم أن یتبعنی، و إلّا فإنّه آخر العهد. إنّی سأُحدّثکم حدیثاً: غزونا بلنجر ففتح اللّه علینا و أصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الباهلی: أ فرحتم بما فتح اللّه علیکم و أصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدرکتم شباب آل محمّد فکونوا أشدّ فرحاً بقتالکم معهم بما أصبتم من الغنائم، فأمّا أنا فإنّی أستودعکم اللّه، قال: ثمّ و اللّه ما زال فی أوّل القوم حتّی قُتل»(۱). إنّ هذا النقل من الطبری جدیر بالتأمّل، فهو موثوق تماماً من حیث السند؛

۱- تاریخ الطبری ۴: ۲۹۹.

لأنّه یروی عن أبی مخنف الـذی یری البعض أنّه یأبی الخـدش و الطعن، و زهیر هو ذلک الرجل الـذی کان یتحاشـی لقاء الإمام حین رجع من مکّه بعـد أن أدّی مراسم الحـجّ، إلّا أنّه التقی الإمام صـدفه، کان زهیر یأبی لقاء الإمام و الالتحاق برکبه، فما الذی سمعه خلال ذلک اللقاء؟ و ما ذا رأی؟ حتّی یعود إلی خیمته و یودّع صحبه، أو لم یکن یدرک بأنّه سیرد میداناً یحصل فیه علی الشـهاده؟ أ لم یـذکّره الإمام علیه السـلام بتلک القصّه و یبیّن له حقیقه الأمر؟ أ فقال له الإمام علیه السـلام: إذا وقفت إلی جانبی فإنّی لأرجو أن أنتصـر و أسـتولی علی الکوفه و ستصـبح من أعیانها و أشـرافها فی الحکومه؟ لو کان هـذا ما قاله الإمام لزهیر لما ودّع قومه و قال: إنّه آخر العهـد، فالواقع هو أنّ الإمام علیه السـلام قد أخبره بواقع الأمر. إذن، فالإمام کان عالماً بعواقب الأُمور و قد أخبر بها زهیر و وعده بالشـهاده، و هذا هو الأمر الوحید الذی من شأنه تفسـیر حدیث زهیر، و لم یکتف الرجل بهذا المقدار، بل تطرّق إلی معرکه بلنجر و حدیث سـلمان، و علیه: فسـلمان کان یعلم بهذه الحادثه أیضاً، سـلمان الفارسی(۱) الذی تربّی علی یـد رسول اللّه صـلی الله علیه و آله. و لاـ اریـد أن أقول بـأنّ سـلمان کـان علی علم بکلّ تفاصـیل الحادثه، إلّا أنّه کان علی یقین بتلک الواقعه المریره علی الحسین علیه السلام، و کان یعلم أنّ زهیراً أیضاً سیشارک فیها، و کان زهیر أیضاً علی یقین بأنّ المراد بالحدیث کربلاء و شـهادته هناک. فهل ما زال الإمام یفکّر بتحقیق النصـر و القضاء علی الحکومه الظاهریه لیزید و تسـلّم مقالید الحکم؟ فسـلمان کـان یعلم بتلک الحادثه التی سـیحصل فیها زهیر علی الشـهاده دفاعاً عن إمام الإسـلام و المسـلمین، بینما لیس للحسـین علیه السـلام مثل هذا العلم و تفاصـیل الحرکه مجهوله بالنسبه له، و لیس لدیه ما یقوله سوی: «لا ندری علی ما تتصرّف بنا و بهم الامور».

۱- ذکر ابن الأثیر فی الکامل ۴: ۴۲ أنّه سلمان الفارسی، و کذا المفید فی الإرشاد ۲: ۷۳ و غیرهما.

۲- نقل ابن الأثیر فی الکامل حادثتین، و سنورد عباراته ثمّ نناقشها، فقد قال: «فلمّا أتی الحسین خبر قتل أخیه من الرضاعه- فی منزل زُباله- و مسلم بن عقیل- فی منزل الثعلبیه- أعلم الناس ذلک و قال: قد خذلنا شیعتنا، فمن أحبّ أن ینصرف فلینصرف لیس علیه منّا ذمام، فتفرّقوا یمیناً و شمالًا حتّی بقی فی أصحابه الذین جاءوا معه من مکّه، و إنّما فعل ذلک لأنّه علم أنّ الأعراب ظنّوا أنّه یأتی بلداً قد استقامت له طاعهُ أهله فأراد أن یعلموا علامَ یقدمون. ثمّ سار حتّی نزل بطن العقبه، فلقیه رجل من العرب فقال له: أنشدک اللّه لما انصرفت، فو الله ما تقدم إلّا علی الأسنّه و حدّ السیوف، فإنّ هؤلاء الذین بعثوا إلیک لو کانوا کفوک مئونه القِتال وطّئوا لک الأشیاء فقدمت علیهم لکان ذلک رأیاً، فأمّا علی هذه الحال التی تذکر، فلا أری أن تفعل، فقال: إنّه لا یخفی علیّ ما ذکرت، و لکنّ اللّه- عزّ و جل- لا یغلب علی أمره، ثمّ ارتحل منها»(۱). فالذی نخلص إلیه هو أنّ الإمام علیه السلام لم یشعر بأیّ تردّد حین أخبر بقتل رسوله مسلم بن عقیل و لم تضعف إرادته، ثمّ یواصل مسیرته رغم تصریحه بعدم وجود جیش لنصرته فی الکوفه و أنّ أشیاعه لم یفوا بعهودهم، فهل یفهم من کلامه علیه السلام:

«خذلنا شیعتنا» أنّ البعض قد تخلّی عن نصرتنا؟ أم قصده زال مرکز ثقلنا و لم نعد نمتلک القوّه الشعبیه المواليه هناک؟ و ما إن سمع البعض مقاله الإمام حتّی تفرّقوا یمیناً و شمالًا، فهل بقی من أمل بالنصر فلم تقطع الصله لحدّ الآن بین القیاده و الجیش؟

أ فلا یعنی رفع البیعه و التخییر بالبقاء و الانسحاب أنّ باب النصر قد أُغلق؟ فلِمَ واصل الإمام حرکته و لم یتردّد حتّی بلغ کربلاء! لِمَ رجع مَن التحق به فی الطریق ممّن یبحثون عن الطعام الدسم، بینما واکبه من انطلق معه من مکّه ممّن سمع خطبته

۱- الکامل لابن الأثیر ۴: ۴۳.

«خُطّ الموت ...»(۱) و قد أُحيطوا علماً بالحوادث و الوقائع التى لم تزيدهم سوى قوّه و صلابه؟ أ وَ لا يعنى انصراف ذلك النفر استحاله النصر و بقاء أولئك الأصحاب لعلمهم منذ البدايه بتلك الحادثه المروّعه؟ ثمّ أخذت الأخبار المحزنه تتقاطر عليهم، حتّى إذا بلغوا العقبه، انبرى لهم ذلك الرجل العربى البليغ الذى صوّر للإمام أوضاع الكوفه «أنشدك اللَّه لما انصرفت فو الله ما تقدم إلّا على الأسنّه و حدّ السيوف ...» إلّا أنّ هذا الكلام المنطقى لم يكن له أدنى أثر على إراده الإمام حتى قال: «و لكن اللَّه عزّ و جلّ لا- يغلب على أمره»، أى هناك وظيفه لا بدّ أن أقوم بها و ليس لى من إراده مقابل إراده اللَّه، فهل ما زال الإمام عليه السلام لا يعلم عواقب الامور راجياً النصر و تشكيل الحكومه الإسلاميه فيواصل مسيرته، أم كان هناك شى ء آخر يدفع الحسين عليه السلام؟ لقد ردّ الإمام عليه السلام على ذلك الرجل: أنّه لا يخفى علينا ما ذكرت إلّا أن طريقنا لا يعرف الرجوع، و ليس لى سوى التسليم للحقّ، فاللَّه لا- يغلب على أمره. فهنالك رساله مُلقاه على عاتقى و لا بدّ لى من النهوض بها، أولم يتحدّث الإمام عن مشيئه اللَّه؟ أ فلم يكن عالماً بشهادته؟ الشهاده التى أرادها اللَّه لحسين عليه السلام فتقبّلها بقبول حسن. نعم، لم يكن هناك من شى ء خافياً على الحسين عليه السلام، و لم يكن هناك من عامل يمكنه أن يثنى الإمام عن عزمه، حيث نراه يحثّ الخطى بعد ذلك الحوار ليواصل مسيرته و يقوم بوظيفته. ۳- أورد ابن الأثير فى الكامل قصّه الأفراد الأربعه الذين أتوا الإمام عليه السلام من الكوفه و التقوه فى «عذيب الهجانات» فقال بعد أن ذكر التفاصيل: «فقال لهم الحسين: أخبرونى خبر الناس خلفكم، فقال له مجمع بن عبد اللّه العائذى و هو

۱- يأتى فى ص ۲۳۲.

أحدهم: أمّا أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم، و ملئت غرائره فهم ألْبٌ واحد عليک، و أمّا سائر الناس فإنّ قلوبهم تهوی إليک و سيوفهم غداً مشهوره عليک، و سألهم عن رسوله قيس بن مُسهر، فأخبروه بقتله و ما کان منه، فترقرقت عيناه بالدموع و لم يملک دمعته، ثمّ قرأ: فَمِنْهُمْ مَنْ قَضی نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا(۱)، اللّهمّ اجعل لنا و لهم الجنّه، و اجمع بيننا و بينهم فی مستقرّ رحمتک و غائب مذخور ثوابک»(۲). فالذی نخلص إليه من هذا الحوار و استشهاد الإمام عليه السلام بالآيه، هو أنّ الإمام أشار إلی هدفه فی إحقاق الحقّ و إجابه دعوه أهل الکوفه، فقد کان أوّل سؤال سأله أولئک الأفراد هو خبر أهل الکوفه و حالتهم الروحيه، هل هم متأهّبون لدخولنا؟ إلّا أنّ إجابتهم کانت مثبطه، فقد وقفت الآلاف التی بعثت لک برسائلها إلی جانب العدوّ، فالأشراف قد أعظمت رشوتهم، أمّا الضُّعفاء فهُم متعطّشون لبسط العدل و القسط، و لکن ليس لديهم القدره علی اتّخاذ القرار فی المجتمعات الفاسده، فالضعف المالیّ و الحرمان و ضعف الإراده تجعلهم خاضعين لإراده الدوله، فهم مع الإمام قلباً و ضدّه سيفاً، فإذا قلنا: ما زال الإمام حتّی فی ظلّ هذه الظروف يأمل بتحقيق النصر، لا نری أیّ منطق و عقل يوافقنا علی ذلک، مع ذلک لم تتزلزل إراده الإمام عليه السلام و لم ينثنِ عن عزمه و مواصله مسيرته. و من هنا يعلم بأنّ هناک هدفاً أسمی يسعی الإمام إلی تحقيقه، فالإمام عليه السلام لم يقترح علی الحرّ الرياحی الرجوع و الانصراف، فی حين لم يکن الحرّ يعلم بهدف الإمام، و أولئک القادمون من الکوفه کانوا يظنّون أيضاً بأنّ الحسين عليه السلام إنّما يروم السيطره علی الکوفه، و لذلک أشاروا عليه بالانصراف، بينما کان الإمام عالماً بما

۱- سوره الأحزاب: الآيه ۲۳.

۲- الکامل لابن الأثير ۴: ۴۹- ۵۰.

أخبره رسول اللّه صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين عليه السلام و لذلك حين يخبر بشهاده قيس يتلو فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. فمنشأ هذه الأسئله و تلاوه الآيه هو ما ذكرناه من غرض الإمام عليه السلام فى إسقاط حكومه الجور و الظلم و إعلام العالم بأنّنا نريد تطبيق القرآن و أحكام الإسلام، و لذلك عزمنا على الإطاحه بهذه الزعامه الفاسقه، فإن قتلنا فذنبنا هو أنّنا نريد إعلاء كلمه اللّه. و إنّا لعالمون بأنّنا لا نتمكّن من تحقيق أهدافنا سوى بالقتال و الشهاده، فقد سأل أربعه أفراد من أهل الخبره- أجوبتهم تدلّ على أنّهم من أهل الخبره- ليدلوا بشهادتهم على عدم استعداد أهل الكوفه و جيشها لمواكبه مسيره الإمام فلا من عدد و لا عدّه، و بالنتيجه لتعلم الدنيا بأنّ الحسين عليه السلام لبّى دعوه الامّه، فى حين لم تصمد الامّه و تمارس وظيفتها و هو فقط الذى واصل مسيرته حتّى الشهاده، و ما زال هدفه لم يتحقّق إلّا بالشهاده التى أخبرها به جدّه و أبوه. إذن، فالدافع من السؤال عن أهل الكوفه إقرار خبراء الاجتماع بالأوضاع الاجتماعيّه التى يعيشها أولئك الناس و استماتتهم فى الدفاع عن حكومه يزيد حتّى لا تصدر محكمه التأريخ أحكامها جزافاً، و تعلم بأنّ هنالك علّه لم تدع الإمام ينصرف عن مواصله حركته، العلّه التى لا يعرفها الناس بينما يعلمها الإمام، و التى يكشف السؤال عن قيس و تلاوه الآيه سرّها فى عدم تسليم الإمام و الانسحاب من الميدان و القتال حتى الشهاده، و ما إن يتلو الإمام الآيه حتّى يبتهل «اللهمّ اجعل لنا و لهم الجنّه». ۴- جاء فى الإرشاد للمفيد: «روى سالم بن أبى حفصه قال: قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام: يا أبا عبد اللّه إنّ قِبلنا ناساً سفهاء يزعمون أنّى أقتلك، فقال له الحسين عليه السلام: إنّهم ليسوا بسفهاء و لكنّهم حلماء، أما إنّه تقرّ عينى ألّا تأكل من برّ

العراق بعدی إلّا قلیلًا»(۱). فالقصّه مثیره حقّاً، کیف أخبر هؤلاء الناس بقضیه عمر بن سعد؟ لِمَ طُرح ابن سعد کقاتل للإمام الحسین؟ کان سلوک عمر یوحی بصلاح ظاهره، فلم یکن آنذاک ما یشیر إلی اقترافه هذه الجریمه البشعه، فکیف اتّفق الناس علی أنّه قاتل الحسین؟ فهل ذلک سوی ما قاله أمیر المؤمنین علیه السلام لأبیه سعد بن أبی وقّاص؟

و کانت مقاله علی درجه من الجزم بحیث کان الجمیع ینادیه بقاتل الحسین حین یروه فی الأزِقّه و الأسواق، حقّاً لیس هناک شی ء آخر، فسیأتی الیوم الذی یرتکب فیه هذا الفرد- الذی لا یفارق زیفاً الجماعه- تلک الجریمه و یسوّد وجه التأریخ. أمّا عمر بن سعد فقد کان مطمئناً لنفسه بحیث یهزأ بکلّ مَن یتفوّه بذلک الکلام، و لا یراه إلّا سفیه خفیف العقل، حتّی ظنّ بأنّ اللغط قد کثر و أنّه لم یطق التحمّل فیحدّث الإمام علیه السلام بذلک الحدیث: «إنّ قِبلنا ناساً سُفهاء» کیف لی أن أکون قاتلًا؟ و لم أُقارف أیّ جرم لحدّ الآن! فهل هذا إلّا منطق السفه و السخف؟ أمّا الإمام علیه السلام فردّ علیه قائلًا: «هؤلاء لیسوا سُفهاء بل حلماء»، یعلمون قاتل إمامهم، و یرون تلطّخ یدک بدمی. هذا هو الحوار بین الإمام الحسین علیه السلام و عمر بن سعد منذ زمان بعید عن الطف، فالإمام یصدّق ما قالوه، و یفهم قاتله بأنّه عالم بما ستئول إلیه الأحداث، و لو کانت الامّه تعلم هذه الامور علی نحو الإجمال فإنّ الحسین علیه السلام محیط بالتفاصیل، فیخبره بما ینتظره. فالعراق مذبحی و میدان صولتک. و ستقدم علی قتلی طمعاً بدنیا الریّ إلّا أنّک لا تبلغ ما ترجو. إنّک لن تعمّر بعدی و ستدخل النار بقتلی. و لک أن تری- عزیزی القارئ- ما أورده مؤلّف کتاب «شهید جاوید» و له

۱- الإرشاد ۲: ۱۳۲.

نفسه أن يراه، هذا الحوار بين الحسين و عمر بن سعد، فقد كان عليه السلام عالماً بتفاصيل واقعه كربلاء، فالامّه كانت تعلم بأنّ الحسين عليه السلام يقتل فى المعركه و قاتله عمر بن سعد، أمّا الحسين عليه السلام فقد كان يعلم دافع عمر بن سعد من قتله، كما كان يعلم بأنّ ابن سعد سوف لن يظفر ببغيته، فهل يمكن بعد هذا أن تزعم بأنّ الإمام لم يكن يعلم بتلك الحادثه؟ أو أنّه يعلم بشهادته و لكن ليس فى هذه النهضه؟ فكلّ هذه الأسرار عرضها الحسين لعمر بن سعد ثمّ قال بأنّه لم يكن يعلم، حتّى حين اقترب من كربلاء بحيث لو سُئل: أين نذهب، و ما ذا سيحصل، و أين سننزل و ما العاقبه؟

لأجاب: «لا ندرى على ما تتصرّف بنا و بهم الامور؟!» أو نقول: احتمل الأصحاب أخيراً حين وردوا كربلاء أنّ المعنىّ بقول أمير المؤمنين عليه السلام أنّ المقتول من أهل البيت بكربلاء هو الحسين عليه السلام».

۵- خطبه «خُطّ الموت ...»

«خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاه، و ما أولهنى إلى اشتياق أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف، و خُيِّر لى مصرع أنا لاقيه، كأنّى بأوصالى تقطّعها عُسلان الفلوات بين النواويس و كربلاء، فيملأن منّى أكراشاً جوفاً و أجربه سغبا، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا اللّه رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، و يوفّينا اجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول اللّه لحمته، بل هى مجموعه له فى حظيره القدس، تقرّبهم عينه و ينجز بهم وعده، من كان باذلًا فينا مهجته و موطّناً على لقاء اللّه نفسه، فليرحل معنا، فإنّى راحل مصبحاً إن شاء اللّه»(۱). أ فلا تفيد هذه العباره «كأنّى بأوصالى ...» التى أوردها الإمام فى

۱- الملهوف لابن طاوس: ۱۲۶، مثير الأحزان: ۴۱، كشف الغمّه ۲: ۲۹، و عنها بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۶- ۳۶۷.

مکّه- حسب ما نقل فی اللهوف- علم الإمام بمصیره؟ و إضافه إلی ذلک، أ لا تکشف عن مکان مصرعه و شهادته؟ قد یُقال بأنّ الإمام إنّما أورد هذه الخطبه فی یوم عاشوراء حین أصبحت شهادته حتمیه، لا أنّه أوردها فی مکّه فنقول: لعلّ الإمام علیه السلام أورد خطبتین: أحدهما حسب نقل اللهوف فی مکه، و الاخری حسب مقتل الخوارزمی(۱) فی کربلاء، و لعلّ الاختلاف فی المضمون یؤیّد ما ذهبنا إلیه، و کما ترد نفس المضامین و الألفاظ مع قلیل من التغییر فی القرآن و نهج البلاغه؛ فإنّ هذا الأمر یفید مقصوداً آخر یختلف عن السابق، و لعلّ خطبه الإمام علیه السلام تکرّرت من أجل إفاده مقصد خاصّ، کما یمکننا القول بأنّ الخطبه واحده و قد أوردت فی مکّه، و هنالک عدّه امور للترجیح منها:- ۱) تصریح صاحب اللهوف بإیراد الخطبه فی مکّه، بینما لا یصرّح الخوارزمی بإیرادها فی عاشوراء، بل أوردها ضمن أحداث عاشوراء. ۲) ما المرجّح لنقل الخوارزمی علی نقل اللهوف، بحیث یمیل المؤلّف إلی صدورها فی عاشوراء؟ بل الترجیح للّهوف حیث نقل المحقّق الجلیل و الفقیه الکبیر و المحدّث الشامخ المرحوم الحاج المیرزا محمّد أرباب الإشراقی فی کتابه القیّم «الأربعین الحسینیه» أنّ هذه الخطبه قد رُویت عن عدد کثیر من عُلماء الإمامیه و منهم السید بن طاوس فی کتاب اللهوف و الشیخ جعفر بن محمّد المعروف بابن نما و الشیخ علی بن عیسی فی کتاب کشف الغمّه، و قد صرّح الجمیع بأنّ الإمام علیه السلام هذه الخطبه حین عزم علی الخروج من مکّه إلی العراق.

۱- « أیُّها الناس خطّ الموت علی بنی آدم کمخطّ القلاده علی جید الفتاه، و ما أولعنی بالشوق إلی أسلافی اشتیاق یعقوب إلی یوسف؛ و إنّ لی مصرعاً أنا لاقیه کأنّی أنظر إلی أوصالی تقطّعها وحوش الفلوات غبراً و عفراً، قد ملأت منّی أکراشها، رضا اللّه رضانا أهل البیت، نصبر علی بلائه لیوفّینا أجور الصابرین، لن تشذّ عن رسول اللّه لحمته و عترته، و لن تفارقه أعضاءه، و هی مجموعه له فی حظیره القدس تقرّ بها عینه، و تنجز له فیه عدته.(مقتل الحسین علیه السلام للخوارزمی ۲: ۸).

۳- یحکم الذوق السلیم و المعرفه بالفصاحه العربیه بأنّ عباره اللهوف أفصح و أقدم من عباره الخوارزمی، فإسنادها إلی الإمام أنسب، کما أنّ ابن طاوس صرّح بأنّ الخطبه قد وردت فی مکّه، و لا یسع المؤلّف إلّا أن یقول بأنّ العباره التی وردت فی اللهوف «فإنّی راحل مصبحاً» دلیل علی أنّ الخطبه أو البعض منها «مَن کان باذلًا مهجته»- التی وردت فی اللهوف و لم ترد فی الخوارزمی- لم ترد فی مکّه، و ذلک لأنّ حرکه الإمام علیه السلام کانت عند زوال یوم الترویه لا صباحاً، إضافه إلی أنّ الحرکه لم تقرّر قبل لیله، بل بحکم الجبر و الاضطرار فإنّ الإمام عزم علی الحرکه فجأه، و لم تکن هناک من وقفه بین العزم و الحرکه. و نقول فی الجواب: لیس هناک من منافاه بین الحرکه عند الزوال و کلمه «مصبحاً»؛ لأنّ هذه الکلمه کثیره الاستعمال بمعنی «غداً» و من أین یعلم أنّ الإمام علیه السلام لم یعزم علی الحرکه عند ما رأی نفسه مضطرّاً؟ بل کان الإمام مستعدّاً للإتیان بمناسک الحجّ و التوجّه إلی عرفه، و لم یکن هنالک أیّ قرار مسبق بالحرکه إلی العراق قبل زوال یوم الترویه، لقد نقلت أنت هذا الموضوع من إرشاد المفید و الطبری، و الحال أنّه: أوّلًا: فی قبال المفید قدس سره و الطبری هناک عدد کبیر من العلماء و الفضلاء- ممّن ذکرناهم سابقاً- صرّحوا بأنّ العزم علی الحرکه کان منذ اللیله التی سبقتها، و لیس هنالک ما یدعونا لاعتماد نقل المفید و إهمال نقل اللهوف و سائر المشاهیر. ثانیاً: ما یفیده الإرشاد و تأریخ الطبری أنّ حرکه الإمام کانت عند زوال یوم الترویه بعد الخروج من الإحرام، و لیس هنالک من تعرّض إلی وقت العزم علی الحرکه و زمان الخروج من مکّه، بل نقل الطبری عن أبی مخنف أنّ حسیناً لمّا أجمع المسیر إلی الکوفه أتاه عبد اللّه بن عباس فقال: یا ابن عمّ، أُشیع بین الناس أنّک ذاهب إلی العراق؟ فأجابه علیه السلام: لقد عزمت علی المسیر منذ الیوم أو یومین إن شاء

اللّه. فتكلّم ابن عباس عن هذا الأمر و انصرف، ثمّ عاد إليه عند الليل أو الغد و أبدى له نصائحه بالانصراف عن هذا السفر(۱). أ وَ لا تصرّح هذه القصّه- التى نقلها الطبرى عن أبى مخنف- بأنّ العزم على الحركه كان قبل يوم أو يومين؟ فلما ذا نقول: كانت الحركه مفاجأه و قد دفعه الاضطرار إلى ذلك، حيث كان قصده الأساسى الإتيان بمناسك الحجّ، و عليه: يمكن الجمع بين إيراد الخطبه فى الليل مع الحركه صباحاً و العزم عليها، و هذا ما حصل فى الواقع، و ذلك لأنّه عزم على الحركه فى الليل و أورد الخطبه. سؤال: إذا كان الإمام عليه السلام عازماً على الحركه قبل يوم أو يومين و كان يعلم أنّه لا يتوقّف فى مكّه حتّى إتمام مناسك الحجّ، فلِمَ أحرم للحجّ و اتّجه إلى عرفه؟ جوابه: أنّ عمل الإمام عليه السلام هذا يستند إلى مصلحه، و رغم أنّه قرّر الحركه و كان يعلم بعدم أدائه لكافّه أعمال الحجّ، كان من الضرورى أن يحرم للحجّ و ينضمّ إلى الجماعه الإسلاميّه فى تلك المراسم، ثمّ يبدّل إحرام الحجّ عمره ليعلم الناس أن ليس هنالك من حصانه له فى ظلّ هذه الحكومه الغاشمه، و ليس له أمن فى الحرم الآمن الذى تؤمن فيه الحيوانات، و هكذا يكشف الإمام عليه السلام عن بعض خطط هذه الحكومه و مؤامراتها و التى تهدف إلى إحياء العهد الجاهلى، و لتعلم الأجيال الإسلاميه القادمه بسلب أمن الحرم من قبل هذه الحكومه، و أنّها لم تمهله حتّى لأداء مناسك الحجّ. أضف إلى ذلك أنّه ليس من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام أحرم للحجّ،

۱- تاريخ الطبرى ۴: ۲۸۷.

بل یستفاد من روایاتنا و کذلک تأریخ الطبری(۱) أنّه أحرم للعمره، و لم یکن قد عزم علی الحجّ منذ البدایه. أجل، فإنّ هذا الکلام یفید عدم الترديد فی خطبه «خطّ الموت ...» حسب نقل اللهوف.

المؤلّف و الإقرار بالعلم:

نفترض- مماشاه للمؤلّف- أنّ هناک تقطیعاً فی الخطبه و أنّ الإمام علیه السلام لم یورد «من کان باذلًا فینا مهجته» فی مکّه، إلّا أنّه یتّفق معنا فی أنّ هذه العباره «و کأنّی بأوصالی ...» قد أوردها فی مکّه، و هنا نسأل المؤلّف: أو لا تدلّ هذه العباره علی شهاده الإمام فی هذه الحرکه؟ أو لا تکشف أیضاً عن موضع الشهاده؟ هل هناک

۱- ۱- جاء فی کتاب وسائل الشیعه ج ۱۴ ص ۳۱۰ عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمّد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن حمّاد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن أبی عبد اللّه علیه السلام أنّه سُئل عن رجل خرج فی أشهر الحجّ معتمراً ثمّ خرج إلی بلاده، قال: لا بأس، و إن حجّ من عامه ذلک و أفرد الحجّ فلیس علیه دم، و إنّ الحسین بن علیّ علیهما السلام خرج یوم الترویه إلی العراق و کان معتمراً. ۲- و عنه، عن أبیه، عن إسماعیل بن مرار، عن یونس، عن معاویه بن عمّار، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السلام: من أین افترق المتمتّع و المعتمر؟ فقال: إنّ المتمتّع مرتبط بالحجّ، و المعتمر إذا فرغ منها ذهب حیث شاء و قد اعتمر الحسین علیه السلام فی ذی الحجّه ثمّ راح یوم الترویه إلی العراق و الناس یروحون إلی منی، و لا بأس بالعمره فی ذی الحجّه لمن لا یرید الحجّ. ۳- فی تاریخ الطبری ۴: ۲۸۹ أنّه و روی أبو مخنف أنّ الحسین علیه السلام طاف عند الظهر بالبیت و بین الصفا و المروه و قصّ من شعره و حلّ من عمرته، ثمّ توجّه نحو الکوفه. نعم، یشمّ من عباره المفید فی الإرشاد ۲: ۶۷، أنّ الحسین علیه السلام أحرم للحجّ ثمّ أبدلها للعمره، و لکن لا اعتبار لهذه الروایه أمام الروایات المذکوره، فإحرام الإمام علیه السلام کان للعمره و لم یبدأ بمناسک الحجّ، و قد حصل مراد الإمام علیه السلام، لأنّ عدم الاشتراک فی مراسم الحجّ لمن أقام أشهراً فی مکّه و لا تستغرق المناسک سوی بضعه أیّام یفید إبرازه لموقفه حیال الجهاز الحاکم و فضح سیاسه یزید القائمه علی أساس انتهاک الحرمات و سلب الحرم الإلهی أمنه، فأفهم علیه السلام الامّه أنّ یزید و بدلًا من إحیاء شعائر اللّه و تعظیمها یهدف ترویع ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله فی مرکز التوحید لا لذنبٍ سوی اتّباعه للحقّ و القرآن.

من معنی لأـن یقول الإمـام فی عـاشوراء: «کـأنّی بأوصـالی تقطّعهـا عسـلان الفلوات بین النواویس و کربلاـء؟!» أو لیست العبـاره تکهّن و نبوءه عن أمر خفیّ سیحدث قریباً بین النواویس و کربلاـء؟ و هنـا نسـأل: أو لاـ تـدلّ هـذه العباره علی علم الإمام علیه السـلام؟ لو کانت هذه الحادثه سـتقع بعد عشـر سنوات فهل یصحّ من الإمام أن یطلق الآن فی حرکته عباره «کأنّی بأوصالی ...»؟ بل هل یعقل إطلاق مثل هـذه العباره فی هـذا الوقت؟ إذا کان الأمر کذلک فإنّ لسان حال الإمام هو أنّی سأتّجه إلی الکوفه من أجل الإطاحه بحکومه یزید، و لا أدری هل سأحقّق هذا الهدف أم لا؟، إلّا أنّی أرجو النصـر، أیّها الناس- الذین تهبّون لنصرتی- اعلموا بأنّی سأُقتل بعد عشـر سـنوات فی کربلاء. نحن لا یسـعنا أن نتأمّل خطبه الإمام علیه السـلام بهذا الشکل، فکیف تقیّم أنت الخطبه؟ علی کـلّ حـال؛ فـإنّ خطبه «خُـطّ الموت ...» قـد أوردت فی مکّه، و قـد صـرّحت بـذلک روایه اللهوف الموثوقه، و أنّ الإمـام قـد قـال فی مکّه: «و کأنّی بأوصالی ...» التی تفیـد علم الإمام التامّ بحادثه کربلاء، و السـلام علی من اتّبع الهـدی. ۶- قال المُفیـد فی الإرشاد: «روی سـفیان بن عیینه، عن علیّ بن یزیـد، عن علیّ بن الحسـین علیهما السـلام قال: خرجنا مع الحسـین علیه السـلام فمـا نزل منزلًـا و لاـ ارتحـل منه إلّا ذکر یحیی بن زکریا و قتله، و قال یوماً: و من هوان الـدنیا علی اللّه أنّ رأس یحیی بن زکریا أُهدی إلی بغیّ من بغایا بنی إسـرائیل»(۱). فالروایه تکشف عن حراره مسـتعره داخل الإمام قد ملأت قلبه الشریف حزناً و ألماً حین یصوّر قتل یحیی، کما ألّمت هذه الکلمات قلب ولده علی بن

۱- الإرشاد للمفید ۲: ۱۳۲.

الحسین. کان الإمام عالماً بمصیره ناعیاً نفسه فی هذه الحرکه، و لکن کیف له بالتصریح علناً و علی بن الحسین و زینب الکبری یسمعان ما یقول؟ و ما عساه أن یفعل و الحادثه وشیکه الوقوع. فالإمام علیه السلام یری میدان کربلاء و قد أحاط به جیش عبید اللَّه بن زیاد و هم متعطّشون للارتواء من دمه الطاهر، کما یری سهام الغدر التی ستصوّب إلی نحر ولده الرضیع و سائر الفتیه الذین یضرّجون عمّا قریب بدمائهم، بل یری حوافر الخیل التی ترضّ صدره ثمّ یحزّ رأسه و یُهدی من العراق إلی الشام إلی باغٍ من بُغاه بنی امیه. لیت شعری ما ذا عسی الإمام أن یفعل، فإن أماط اللثام و صوّر الأحداث تعالت الأصوات بالنحیب و البُکاء الذی یرقّ له قلبه، و إن فضّل السکوت فلا مناص من حرکه تلک القافله التی ستُواجه تلک الأحداث المروّعه دون أن تکون قد تصوّرتها و تأهّبت لها، و لم یکن من اسلوب یمکن اتّباعه بهذا الشأن سوی ذلک الذی اعتمده الإمام، فلم یکن أن تسیر القافله غافله عمّا سیواجهها، لا بدّ من لفت انتباه القافله لتلک الأحداث لیستعدّ البعض للقتال الذی تطیح دونه الرءوس، کما تتأهّب النساء للسبی و الأسر. فکیف یبدأ و ما ذا یقول؟ لیس هنالک أفضل من التذکیر بحادثه النبیّ یحیی التی من شأنها علاج هذه المشکله. نعم، بإمکان حادثه یحیی علیه السلام أن تکون الفصل الأوّل من قصّه حادثه الطفّ، و هل نذکر تلک الحادثه جمله واحده و نلفت النظر إلی تکرار حوادث التأریخ؟ کلّا.

فالقول مرّه واحده قد لا یؤتی أُکله و لا بدّ أن أثیر تلک الحادثه فی عدّه منازل، لیعلم الرکب و یستعدّ لتلقّی الأخبار المؤلمه التی سمعتها من رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام فقد آن أوانها. و هنا نتساءل لما ذا لا یتحدّث هذا الزعیم الذی ینهض بمسئولیه إمره الجیش

و قیادته من أجل تحقیق النصر، عن معارک الإسلام و الانتصارات الباهره التی حقّقها جدّه و أبوه فی تلک المعارک، لم لا یتحدّث عن معرکه الجمل؟ لو کان یأمل بالنصر لکان من المناسب الحدیث عن تلک المعارک لا عن حادثه یحیی! الإمام علیه السلام یمثّل قمّه الأدب و البلاغه، و علیه أن یتکلّم بما ینسجم و مقتضی الحال، لو کان هناک من أمل بالغلبه و النصر؛ فإنّ مقتضی الحال یتطلّب من الإمام التحدّث عن قضیه أبناء الطلقاء عند فتح مکّه و کسر شوکه أبی سفیان، لیشتدّ عزم الأصحاب فی خوض المعرکه، فیزید ابن ذلک المدحور المهزوم فی معارک الإسلام. إذن، فإثاره الإمام لحادثه یحیی تفید شیئاً آخر یجعل الحسین علیه السلام یحثّ الخُطی لاستقباله. نعم، هذه هی الطریقه التی تجعل سید الشهداء علیه السلام یحطّم حاجز الصمت و یخرج من تلک الحیره العظیمه، و لذلک یتکلّم خلال المسیره عن الموت و الشهاده إلی صحبه، ثمّ أخذ الإمام یخوض فی التفاصیل أکثر فأکثر کلّما اقترب من أرض کربلاء. فقد نقل مثلًا رؤیاه إلی ولده علیّ بن الحسین و هو یسترجع کثیراً، ثمّ أخبره بأنّه سمع منادیاً ینادی «القوم یسیرون و المنایا تسری إلیهم»(۱). و نری أنّ الإمام إنّما یهدف من هذه الکلمات إلی إعداد صحبه و لا سیّما أهل بیته إلی ما سیواجههم من حوادث، و لذلک یردّ علیه «لا نبالی نموت محقّین»(۲).

نعم، کان الإمام علیه السلام یعلن عن هذه الأحداث رغم أنّ المسافه کانت بعیده نسبیاً عن یوم عاشوراء و أرض کربلاء. علی کلّ حال أدرک الجمیع أنّه آن الأوان لتلک الروایات و الأحادیث و الأخبار التی صرّح بها النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام. ثمّ تحدّث الإمام عن الموت أیضاً حین التقی الحرّ بن یزید- طبق نقل الطبری

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۸.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۸.

فی ذی حُسم و عـذیب الهجانـات بعـد وصـول رسـاله عبیـد اللّه إلی الحر(۱). و تأکیـده علی التضـییق علی الحسـین حسـب نقل اللهوف. فقال: «فإنّی لا أری الموت إلّا سـعاده، و الحیاه مع الظالمین إلّا برما»(۲). نعم کان محور الکلام هو الموت، فقد قال فی مکّه: «کأنّی بأوصالی تقطّعها عسـلان الفلوات» و یتکلّم خلال مسیرته عن شـهاده یحیی بن زکریا، و یمرّ بقصر بنی مقاتل فیخبر ولده علیّاً برؤیاه و حدیثه عن الشـهاده. و یواصل حدیثه عن الشـهاده فی عذیب الهجانات وذی حُسم. فلمّا دخل کربلاء أخبرهم عن مصارعهم و قال: «هاهنا و اللّه محطّ رحالنا و مسفک دمائنا»(۳). ولیت شعری لما ذا یصرّ البعض علی أنّ ابن الأعثم الکاذب هو الذی نسـبها إلی الحسین علیه السلام. و علی فرض کذب ابن الأعثم، فإن نسب إلی الإمام عباره تؤیّدها جمیع القرائن القطعیه و الشواهـد، فهـل نصّ علی أنّ الإمـام لم یقلهـا حتّی و لو کـانت قریبه من حادثه عاشوراء التی زعمتم بأنّ شـهادته أصـبحت فیها حتمیه!. أیّها المؤلّف العزیز ناشدتک اللّه أن تعید النظر فی ما أوردت و لا تفرّط بالحسین علیه السلام، فلیس لنا من عزّه و عظمه سوی فی الحسـین علیه السـلام، لیس لنـا من سبیـل لإیقـاظ الامّه سوی الحسـین علیه السـلام، کما لیست لنا من مجالس یمکنها النهوض بأهداف الإسـلام سوی مجالس الحسـین علیه السـلام. فالعنصر المقتدر الذی من شأنه حشد الطاقات و صهرها فی بوتقه واحـده و هو أبو الأحرار سـید الشـهداء علیه السـلام. لیس هناک من ملاذ لما نواجه من مخاطر و صـعاب فی حرکتنا الإسـلامیه سوی مصائب الحسین علیهما السلام، بل

۱- تاریخ الطبری: ۴/ ۳۰۵.

۲- الملهوف لابن طاوس: ۱۳۸.

۳- نفس المصدر: ۱۳۹.

لیس لنا من سبیل إلی النصر و دحر العدوّ سوی الحسین علیه السلام، و کلّ من تخلّف عن الحسین علیه السلام فلن یشمّ رائحه النصر «مَن لم یلحق بی لم یدرک الفتح و السلام»(۱) فالشعار الحسینی حیّ فی جمیع الضمائر و لا یقتصر علی بنی هاشم و مَن خوطب فی زمانه، فالحسین علیه السلام مظهر الحرّیه و رفض الظلم و الجور، الحسین علیه السلام ثوره مفعمه بالدم تجری من عیون عشّاقه و مواليه. ثالثاً: الأحادیث التی وصلتنا عن أهل بیت الرساله علیه السلام بشأن نهضه الحسین و علمه بشهادته، نکتفی بذکر طائفه منها:

الحدیث الأوّل:

الحدیث الذی نقله الشیخ محمّد بن یعقوب الکلینی فی کتابه الکافی، المعتبر السند المؤیّد من قِبل العلّامه المرحوم المجلسی فی کتابه «مرآه العقول»(۲) و هذا نصّه: محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ضریس الکناسی قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول- و عنده اناس من أصحابه-:

«عجبت من قوم یتولّونا، و یجعلونا أئمّه و یصفون أنّ طاعتنا مفترضه علیهم کطاعه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، ثمّ یکسرون حجّتهم و یخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فینقصونا حقّنا و یعیبون ذلک علی من أعطاه اللّه برهان حقّ معرفتنا و التسلیم لأمرنا؛ أ ترون أنّ اللّه تبارک و تعالی افترض طاعه أولیائه علی عباده ثمّ یخفی عنهم أخبار السماوات و الأرض، و یقطع عنهم موادّ العلم فیما یرد علیهم ممّا فیه قوام دینهم؟! فقال له حمران: جعلت فداک أ رأیت ما کان من أمر قیام علی بن أبی طالب

۱- یأتی فی ص ۲۴۷.

۲- مرآه العقول ۳: ۱۳۱ ح ۴.

و الحسن و الحسین علیهم السلام و خروجهم و قیامهم بدین اللّه عزّ ذکره، و ما اصیبوا من قتل الطواغیت إیّاهم و الظفر بهم حتّی قتلوا و غلبوا؟ فقال أبو جعفر علیه السلام: یا حمران إنّ اللّه تبارک و تعالی قد کان قدّر ذلک علیهم و قضاه و أمضاه و حتمه علی سبیل الاختیار(۱) ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إلیهم من رسول اللّه صلی الله علیه و آله قام علی و الحسن و الحسین علیهم السلام و بعلم صمت من صمت منّا، و لو أنّهم یا حمران حیث نزل بهم ما نزل من أمر اللّه- عزّ و جل- و إظهار الطواغیت علیهم سألوا اللّه- عزّ و جل- أن یدفع عنهم ذلک، و ألحّوا علیه فی طلب إزاله ملک الطواغیت و ذهاب ملکهم، إذن لأجابهم و دفع ذلک عنهم، ثمّ کان انقضاء مدّه الطواغیت و ذهاب ملکهم أسرع من سلک منظوم انقطع فتبدّد، و ما کان ذلک الذی أصابهم یا حمران لذنب اقترفوه، و لا لعقوبه معصیه خالفوا اللّه فیها، و لکن لمنازل و کرامه من اللّه أراد أن یبلغوها، فلا تذهبنّ بک المذاهب فیهم»(۲).

مناقشه الحدیث:

لا یسع المقام الخوض فی تفاصیل هذا الحدیث المعتبر الوارد عن الإمام الباقر علیه السلام، و سنقتصر علی الإشاره إلی بعض النقاط المهمه: ۱- تعتبر ولایه الأئمّه الأطهار علیهم السلام من القضایا المسلّمه لدی شیعه أهل البیت علیهم السلام و أنصارهم. ۲- تجب طاعه الأئمّه علی المسلمین کوجوب طاعتهم لرسول اللّه صلی الله علیه و آله، فطاعتهم و طاعته من سنخ واحد. ۳- لا تجب طاعتهم لکونهم قرابه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، بل کونهم زُعماء یتحلّون

۱- فی نسخه اخری:« الاختبار».

۲- الکافی ۱: ۲۶۱- ۲۶۲ باب أنّ الأئمّه علیهم السلام یعلمون علم ما کان ... ح ۴.

بکافّه الصفات و الشرائط اللازمه لإمامه الامّه، و فی مقدّمه هذه الشرائط العلم و الإحاطه التامّه بکافّه الموضوعات و الحوادث و الوقائع ذات الصله بحیاه الامّه الإسلامیه و سبل سعادتها و فلاحها. و من هنا یتبیّن أنّ هؤلاء الزعماء- المتمثّلین بالأئمّه الأطهار علیهم السلام- لا بدّ أن یکونوا عالمین بجمیع خفایا الحوادث و الامور المتعلّقه بمصیر الإسلام و المسلمین، و اللَّه سبحانه هو الذی یفیض علیهم- برحمته- هذه العلوم. ۴- لم تکن نهضه أمیر المؤمنین و الحسن و الحسین علیهم السلام نهضه قائمه علی أساس الجبر و الاضطرار، و لم یخوضوا المعارک مرغمین، بل کلّ ذلک یجری وفق خطّه مدروسه معلومه سلفاً، و قد قلّدهم رسول اللَّه صلی الله علیه و آله هذه المسئولیه، إلی جانب اطّلاعهم علی التفاصیل. و علیه: فالقیام وظیفه لبعضهم، قد حمّلهم إیّاها رسول اللَّه صلی الله علیه و آله عن البارئ سبحانه و تعالی، و ذلک لأنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی(۱) فمن قام من الأئمّه علیهم السلام کان عالماً بعواقب الأمر غیر متفاجئ بها، و قد کلّف بهذه الوظیفه رغم علمه بما ستجرّه علیه من مصائب و ویلات، و لم یتحمّلوا هذه الحوادث المریره إکراهاً، بل کانوا مُختارین فی أصل نهضتهم و تحمّل تبعاتها، و هم یرون الشهاده کمالًا لهم تجعلهم یقتفون أثر رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فی السموّ و التکامل و بلوغ ذروه الإنسانیه. و الآن نطرح هذا السؤال: أ و لیس الإمام الحسین علیه السلام هو أحد هؤلاء الزعماء؟

فقد عدّه الحدیث السابق فی مصافّ أمیر المؤمنین و سائر الأئمّه علیهم السلام، أولم تکن کربلاء من الحوادث المرتبطه بمصیر الإسلام و المسلمین؟ إذن، فبنصّ الحدیث لا بدّ أن یکون الإمام عالماً بکافّه تفاصیل حادثه کربلاء، و بنصّ الحدیث فإنّ قیام الإمام یستند إلی علم سابق، ذکره رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و کلّف به الإمام علیه السلام. و هذا غیر ما

۱- سوره النجم: الآیتان ۳- ۴.

ذکرنا من أنّ الإمام یقتصر فی علمه بالشهاده علی ما أخبره به رسول اللَّه صلی الله علیه و آله. و بناءً علی هذا فلو ناقشنا الرؤیا التی نقلت عن ابن الأعثم(۱)، فإنّ مضمون هذا الحدیث إزاء وظیفه الإمام هو نفس المضمون «یا حسین اخرج إلی العراق» مع الفارق فی الإجمال و التفصیل، بل یمکن القول بأنّ قیام الإمام علیه السلام کان بوحی من اللَّه بفعل إخبار النبی صلی الله علیه و آله، کما فهمنا من الحدیث أنّ قیام الحسین علیه السلام لم یکن اضطراراً بل جری وفق خطّه مدروسه و علم سابق، کما فهمنا أنّ سکوت بعض الأئمّه علیهم السلام کان یستند لهذه الرساله و الوظیفه. فمن اعتقد بغیر هذا لا یسعه أن یعقل مضمون الحدیث بلزوم طاعه أئمّه الدین، و هذا ما تطرّقنا إلیه سابقاً، فکیف نعتقد بأنّ الإمام مفترض الطاعه فی حین نعترف بخطئه فی التشخیص أو وقوع الحوادث علی عکس ما کان یتصوّر؟ کیف یجب اتّباع الإمام علی مثل عبید اللَّه الحر الجعفی بینما کان یعتقد بأنّ مسلم کان ینتظر هزیمه منکره. نعم الإمام علیه السلام لا یخطأ فی تشخیصه أبداً و هو عالم بکلّ خفایا الأحداث.

الحدیث الثانی:

و هو الحدیث الذی نقله الشیخ جعفر بن محمّد بن قولویه المتوفّی عام ۳۶۸ ه. ق- استاذ الشیخ المفید رضی الله عنه- فی کتابه «کامل الزیارات»، و الکتاب المذکور أحد کتب الإمامیّه المهمّه الذی یحظی باعتماد علماء الحدیث و المتخصّصین بعلم

۱- لا یخفی أنّ المحور الأصلی هو بحث أسس و مبانی کتاب« شهید جاوید» و لذلک لم نبحث الامور الجزئیه من قَبیل هل أنّ ابن الأعثم موثوق فی نقله أم لا، و لذلک فإنّ فرض المناقشه فی نقل رؤیاه لا یعنی أنّنا نؤیّد المناقشه، بل أنّ هذا الفرض لیس بدلیل علی الانسجام مع الکتاب؛ لأنّه خارج عن الحدود الأصلیه فی الکتاب المذکور.

الروایه، و هو یصرّح فی مقدّمه الکتاب بأنّه لا یورد إلّا الموثوق من الأفراد، و لذلک استدلّ کبار فقهاؤنا بهذه الروایات. و إلیک نصّ الحدیث: قال: حدّثنی أبی رحمه الله و محمّد بن الحسین، عن سعد بن عبد اللّه، عن أحمد بن محمّد، عن علی بن الحکم، عن أبیه، عن أبی الجارود، عن أبی جعفر علیه السلام قال: «إنّ الحسین علیه السلام خرج من مکّه قبل الترویه بیوم، فشیّعه عبد اللّه بن الزبیر فقال: یا أبا عبد اللّه لقد حضر الحج و تدعه و تأتی العراق، فقال: یا ابن الزبیر لأن ادفن بشاطئ الفرات أحبّ إلیّ من أن ادفن بفناء الکعبه»(۱).

وقفه مع الحدیث:

لقد شعر عبد اللّه بن الزبیر بالذهول و الدهشه من حرکه الإمام إبّان الحجّ فسأله: هذه مناسک الحجّ التی حضرها المسلمون من أکناف الدنیا و أطرافها، فما الذی حدث لیترک الإمام- و هو الأعرف أکثر من غیره بمنزله الحجّ و عظمه تلک المواقف- الحجاز و یتحرّک صوب العراق؟! و لا سیّما أنّ الإمام علیه السلام قد توقّف قبل عدّه شهور فی مکّه و لا تستغرق مناسک الحجّ وقتاً طویلًا. طبعاً، عبد اللّه بن الزبیر یعلم أفضل من غیره أنّ الإمام لا یتخلّی عبثاً عن ذلک الأمر، و لا بدّ أن یکون هنالک دافع أشدّ قوّه جعله یحثّ الخطی لإدراک ما خفی کنهه، و لعلّه أعتقد بل جزم أن لیس هنالک ما یدعو لحرکه الإمام سوی الشعور بالخطر المحدق به، إلّا أنّه کان یرغب بسماع القضیه من الإمام و هل أنّ الخطر واقع عن قریب لا محاله؟ و أنّ الإمام یمکن أن یتعرّض إلی الاغتیال فی جوف الکعبه؟

لقد شعر الإمام بما یجول فی فکر ابن الزبیر فأجابه علی الفور: أنّ مصرعی فی کربلاء «شاطئ الفرات» لا حرم الکعبه الأمن.

۱- کامل الزیارات: ۱۵۱ ح ۱۸۴، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۶ ح ۱۸.

سؤال: لعلّ هناك من يسأل: من أين فهمتم أنّ الحديث يتضمّن الإخبار بشهاده الإمام فی کربلاء؟ فلم يقل الإمام سوی أنّه سيستشهد و أنّ الشهاده فی کربلاء أحبّ إليه من اللجوء إلی الکعبه؟ فهل هناك من منافاه بين هذا الأمر و عدم حدوث واقعه کربلاء أو وقوعها بعد سنوات؟ الجواب: لقد لفت الإمام انتباه ابن الزبير فی جوابه إلی وقوع حادثه، و کأنّه أراد أن يقول عليه السلام: هناك حادثه لا مفرّ منها، و لا أرغب أن تقع هذه الحادثه فی بيت اللّه، بل سأتّجه لمواجهتها هناك. سؤال آخر: لم يتّضح ممّا قلت سوی أنّ هناك حادثه لا مفرّ منها، إلّا أنّ إمکان وقوعها فی مکّه لم يزل، و هذا ما يفهم تلويحاً من جواب الإمام، و لنا أن نسأل هنا:

هل الإمام عليه السلام موقن من قتله فی کربلاء رغم احتماليه وقوع الحادثه فی مکّه؟ الجواب: لا يريد الإمام أن يقول: إنّی أحتمل أن تقع هذه الحادثه فی مکّه، بل أراد أن يفهم ابن الزبير بأنّ جلاوزه يزيد يترصّدونه و هم عازمون علی قتله، و هو ليس بغافل عن دسائسهم، و لذلك فهو يختار کربلاء من أجل الفوز بالشهاده و إحباط مخطّطاتهم، و إلّا لو کان الإمام يحتمل وقوعها فی مکّه أو مئات المناطق الاخری، لم ينتخب شاطئ الفرات من بين جميع هذه الاحتمالات، أضف إلی ذلك أنّه قد أعلن بأنّی أحبّ أن ادفن فی الفرات رغم بعده مئات الأميال، و ما ذا يعنی بإخباره عن هذا المکان غير المتوقّع؟ إذن، فذکر اسم شاطئ الفرات و الرغبه الشديده للاستشهاد فيه لا يفيد إلّا وقوع حادثه مأساويه حتميّه هناك، ثمّ تصبح تلك المنطقه موضع مرقده الشريف.

الحديث الثالث:

الحديث الذی نقله الشيخ الثقه جعفر بن محمّد بن قولويه أيضاً فی کتاب

«کامل الزیارات»، و قد ذکرنا سابقاً أنّ أحادیث هذا الکتاب معتبره و موثوقه لا یمکن الطعن فی سندها. قال: حدّثنی أبی رحمه الله و جماعه مشایخی عن سعد بن عبد اللّه، عن علی بن إسماعیل بن عیسی و محمّد بن الحسین بن أبی الخطاب عن محمّد بن عمرو بن سعید الزیّات، عن عبد اللّه بن بکیر، عن زراره، عن أبی جعفر علیه السلام قال: «کتب الحسین بن علی من مکّه إلی محمّد بن علی: بسم اللّه الرحمن الرحیم من الحسین بن علی إلی محمّد بن علی و مَن قِبله من بنی هاشم، أمّا بعد فإنّ من لحق بی استشهد، و من لم یلحق بی لم یدرک الفتح و السلام»(۱). و قد نقل صاحب کتاب «بصائر الدرجات» عن الإمام الصادق علیه السلام نظیر هذه الروایه، حدّثنا أیّوب بن نوح، عن صفوان بن یحیی، عن مروان بن إسماعیل، عن حمزه بن حمران، عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: ذکرنا خروج الحسین و تخلف ابن الحنفیه عنه، قال: قال أبو عبد اللّه علیه السلام: «یا حمزه إنّی سأُحدّثک فی هذا بحدیث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا: إنّ الحسین لمّا فصل متوجّهاً دعا بقرطاس و کتب: بسم اللّه الرحمن الرحیم من الحسین بن علی بن أبی طالب إلی بنی هاشم، أمّا بعد فإنّه من لحق بی منکم استشهد معی، و من تخلّف لم یبلغ الفتح و السلام»(۲).

ما ینبغی الالتفات إلیه فی الحدیثین:

۱- ما ذا یفهم من کلمه «استشهد»؟ ۲- الرساله إلی محمّد بن الحنفیه و سائر بنی هاشم هل تتضمّن الإخبار

۱- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۷ ح ۲۳.

۲- بصائر الدرجات: ۵۰۲، و عنه إثبات الهداه ۲: ۵۷۷ ح ۱۸ و عن کامل الزیارات و الملهوف: ۲۸ و مختصر بصائر الدرجات: ۴۲ ح ۲۵، و فی بحار الأنوار ۴۲: ۸۱ ح ۱۲ عنه و عن مناقب آل أبی طالب علیهم السلام لابن شهرآشوب ۴: ۷۶.

باستشـهاد کلّ من یقف فی صفّ المجاهـدین، أم شـهاده من یلتحق فیما بعد بالإمام من بنی هاشم؟ ۳- کیف یمکن الجمع بین هـذه الرساله و عـدم قتل طائفه من بنی هاشم؟ ۱) کلمه «استشـهد»: کلمه «استشـهد» بصیغه المجهول، و إن کانت بصیغه المعلوم فهی تعنی طلب الشـهاده، و قـد وردت بـالمعنی الأـخیر فی آیـتین من القرآن، الاـولی فی سوره البقره وَ اسْتَشْـهِدُوا شَـهِیدَیْنِ مِنْ رِجالِکُمْ(۱). و الاـخری فی سوره النساء فَاسْتَشْـهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَهً مِنْکُمْ(۲). و إن جاءت بصـیغه المجهول بمعنی القتل و الشهاده فی سبیل اللَّه. و فی المنجد استشـهد: «قتل فی سبیل اللَّه»(۳) و لعلّ مناسـبه اللفظ لهذا المعنی الوارد فی الآیات القرآنیه «قَتیل فی سبیـل اللَّه» هو الشـهود و درک المحضـر الربوبی للحقّ جـلّ جلاله، و الشـهید لا یموت أبـداً، بل یحیا فی شـهادته یفیض حیاه و حیویه. و لا یبعد القول بأنّ الشهداء لا برزخ لهم، بل تبدأ آخر مراحل حیاتهم الملکوتیّه بمجرّد موت الجسد. و هذه هی الحقیقه التی ظهرت فی میدان کربلاء، فهذا علی الأکبر ینادی أباه الحسـین فی لحظه الوداع قائلًا: «هذا جدّی رسول اللَّه صـلی الله علیه و آله قد سقانی بکأسه الأوفی»(۴). و علی کلّ حال کلمه «استشـهد» فی عباره الإمام علیه السلام ظاهره بمعنی القتل فی سبیل اللَّه، و صـرف المعنی عن هذا الظهور- دون مسوّغ- إنّما یتعارض و العرف السائد فی المکالمات و المحاورات المتداوله فی الأزقّه و الأسواق، و فی حاله الشکّ فی

۱- سوره البقره: الآیه ۲۸۲.

۲- سوره النساء، الآیه: ۱۵.

۳- المنجد فی اللغه: ۴۰۶.

۴- بحار الأنوار ۴۵: ۴۴.

أنّ المراد المعنی الحقیقی للشهاده أم المعنی المجازی بمعنی التعرّض للشهاده؟ فیوجد أصل مسلّم یسمّی أصاله الحقیقه حیث یعیّن و یشخّص المعنی الحقیقی، ناهیک عن عدم صحه صرف الکلمه إلی المعنی المجازی دون وجود علاقه، و العلاقه التی یمکن تصوّرها هنا هی علاقه المشارفه، و علاقه المشارفه تکون فی الموارد التی یکون تحقّقها شیئاً قطعیاً تقریباً. و لا تطلق علاقه المشارفه علی الأشیاء التی یکون وقوعها علی نحو الاحتمال. و علیه فلیس هنالک من دلیل علی صحّه استعمال «استشهد» بمعنی التعرّض للشهاده و احتمالها.

دلیل آخر:

لو کانت «استشهد» بمعنی احتمال الشهاده لکانت عباره الإمام توضیحاً للواضح؛ لأنّ احتمال الشهاده قائم بالنسبه لکلّ فرد یقوم ضدّ الحکومه الظالمه و الحاکم الغاشم، و یهدف إلی الإطاحه بالحکومه و إنشاء الحکومه الإسلامیه، و لأنّ مثل هذا القیام إنّما یصحبه صِدام عسکری یؤدّی إلی حاله القتل و الاقتتال. إذن، فلو کانت «استشهد» بمعنی إمکانیه الشهاده، فهذا المعنی لیس بخافٍ علی محمّد بن الحنفیه و بنی هاشم و لا یحتاج إلی تذکیر الإمام، و علیه: فلیس أمامنا من سبیل سوی القول بأنّ «استشهد» إنّما تعنی الشهاده الحتمیه، و الإخبار الذی صدر عن الإمام علیه السلام کان إخباراً عن أمر مخفی و مصیر مجهول. ۲- ما ذا نفهم من العباره «مَن لحق بی استشهد». هل المراد أن کلّ من یلحق بنا یُقتل؟ أم أنّ العباره إخبار بشهاده قوم علی الخصوص؟ لا یمکننا أن نقبل الاحتمال الأوّل، و ذلک للأسباب التالیه: ۱- لو کان الأمر کذلک فلو افترضنا التحاق جمیع أهل المدینه و مکّه و الکوفه

و البصره و سائر المدن بقافله الإمام، فإنّهم سيُقتلون، و الحال لا يمكن تصوّر هذا المعنى أبداً. ۲- يلزم من هذا الاحتمال أن يستشهد جميع أفراد ركب الحسين عليه السلام بما فيهم الصبيه و النساء و الكهول، بينما لم يُقتل من النساء و الصبيه سوى ثلاث أو أقلّ، و عليه: نسأل مؤلّف كتاب «شهيد جاويد» لما ذا يستدلّ بتجاوز المعنى الحقيقى لكلمه «استشهد» بسبب بقاء عشره أفراد من الأصحاب و بنى هاشم؟ بل الشاهد الأفضل هو بقاء جميع النسوه و ... و من هنا يتّضح أنّ معنى الحديث ليس إخبار الإمام عليه السلام بمعنى أنّ جميع الركب و من يلحق به سيستشهد حتى يعترض على المعنى الحقيقى، بل المعنى هو أنّ كلّ مَن يلحق بنا من بنى هاشم سكنه المدينه سيُقتل و يستشهد. و الواقع أنّ هذا الإخبار يختصّ فقط بمحمّد بن الحنفيه و بنى هاشم من أهل المدينه ممّن لم يلتحق بالإمام حين حركته، و بالطبع فإنّ الأفراد الذين أرادوا أن يلحقوا منهم إنّما كانوا أفراداً بالغين مكلّفين، و الدليل على ذلك: ۱- ما ورد فى روايه بصائر الدرجات التى أردفت عباره «من لحق بى» بكلمه «منكم» أى كلّ من يلحق بى منكم يا بنى هاشم فإنّه ينال الشهاده، إذن فالخبر فى بنى هاشم و كلمه «منكم» مختصّه بهم. ۲- ما ورد فى كامل الزيارات حول هذه الروايه، أنّ الرساله من الحسين إلى محمّد بن الحنفيه و سائر بنى هاشم، أى هؤلاء هم المرادون بالرساله، فهل يسعنا بعد ذلك أن نقول بأنّ الخبر وارد بشأن جميع الناس؟!

نتيجه البحث:

نخلص ممّا سبق إلى أنّ العباره «من لحق بى استشهد» تدلّ على شهاده كلّ من

بقی من بنی هاشم فی المدینه إن التحق برکب الحسین علیه السلام، و علیه: فعدم قتل أمثال:

غلام عبد الرحمن بن عبد ربّه، و الضحّاک بن عبد اللّه المشرقی، و عقبه بن سمعان، و العشره الذین ذکرهم صاحب کتاب «شهید جاوید» لا- یقدح بأصاله معنی الإخبار الغیبی للإمام، و کان الاحری بالمؤلّف أن یتأمّل أکثر و یری أنّ هذا الإخبار لم یشمل أولئک الأفراد من بنی هاشم الذین لحقوا به منذ البدایه، فالرساله قد کتبت من مکّه کما ورد فی حدیث کامل الزیارات أو أثناء الخروج من المدینه کما صرّحت روایه بصائر الدرجات. و علی کلّ حال الرساله وارده بشأن الأفراد الذین لم یکونوا مع الرکب و یمکنهم اللحاق به فی ما بعد. إذن فالإمام علیه السلام لم یخبر عن شهاده الأفراد من بنی هاشم الذین لم یتخلّفوا عن الرکب و واکبوا الإمام منذ بدایه الأمر.

مفاد الروایتین:

کلّ مَن التحق بی من بنی هاشم- سکنه المدینه- حین الحرکه سیُقتل فی سبیل اللّه و سبیل التوحید، و من تخلّف عنّی لأیّ من الأسباب لم یدرک الفتح، و علیه: یمکن القول بأنّ الهدف الأصلی للإمام علیه السلام لا یقتصر علی الإخبار بعاقبه الملتحقین فحسب، بل فی نفس الوقت الذی ورد الإخبار من أنّ طریقنا هو الشهاده؛ فإنّه کان ینطوی علی تحریض بنی هاشم سکنه المدینه علی اتّباع الإمام من أجل نیل الدرجات الرفیعه: لا یظفر المتخلّفون بشی ء و لمن صحبنی الجنّه و الشهاده، فقوموا و انهضوا یا بنی هاشم لتنالوا الشهاده فی هذه النهضه العظیمه. و هذا ما جعل الإمام الصادق علیه السلام، و فی هذه الروایه یصرّح خاصّه بعدم استقامه تخلّف محمّد بن الحنفیه و یصفه بأنّه حرم من درک السعاده؛ لأنّ الذی یفهم

من عباره الإمام الحسین علیه السلام هو أنّ من لحق بی فاز بالشهاده، هذه السعاده الکبری التی تُعتبر فرصه ذهبیه لا تسنح دائماً للإنسان، و قد حرم ابن الحنفیه نفسه من هذه النعمه العظیمه. و علی ضوء ما تقدّم لنا أنّ نطرح هذا السؤال: هل تقدح عدم شهاده اولئک الأفراد العشره- علی فرض الصحّه- بالخبر الغیبی للإمام علیه السلام؟ إذا قال الإمام علیه السلام:

کلّ من لحق بنا من بنی هاشم فی المدینه فإنّه یستشهد، فهل هذا القول لا ینسجم و عدم شهاده اولئک الأفراد العشره؟ لنضطرّ لحمل کلمه «استشهد» علی معناها المجازی فی احتمال الشهاده؟

۳- الجمع بین الرساله و عدم قتل جماعه:

اتّضح ممّا مرّ سابقاً أنّ عدم استشهاد جماعه من أصحاب الإمام- علی فرض الصحّه- لا یضرّ بصحّه إخبار الإمام، و ذلک لأنّ إخبار الإمام مختصّ ببنی هاشم من سکنه المدینه الذین لم یلحقوا برکب الإمام منذ بدایه الأمر، و لم یکن أحد ممّن لم یستشهد من بنی هاشم من المتخلّفین، بل کانوا ممّن لحقوا برکبه منذ البدایه، و لقد کان بإمکان مؤلّف کتاب «شهید جاوید» أن یأتی بشاهد أفضل لحمل الروایه علی معناها المجازی، و هو أنّ الإمام زین العابدین علیه السلام کان فی القافله و لم یستشهد. إذن، لِمَ یذکر بعض الأفراد الذین لم تتّضح أوضاعهم؟ و جوابنا علی السؤال هو أنّ الإخبار الغیبی مختصّ بجماعه معیّنه.

افتراض آخر:

نفرض أنّ رساله الحسین علیه السلام تشمل عامّه بنی هاشم و لا تختصّ بالمتخلّفین، و علی ضوء هذا الفرض یکون الجمع بین الروایه و عدم شهاده البعض من بنی

هاشم- و فی مقدّمتهم علی بن الحسین علیهما السلام- بهذا الشکل: مَن تبقی من ذریّه الإمام الحسن هم: ۱- عمرو بن الحسن. ۲- زید بن الحسن. ۳- الحسن بن الحسن. أمّا عمرو بن الحسن؛ فإنّه و إن قال المفید بعدم قتله فی الإرشاد و أبو الفرج فی مقاتل الطالبیین(۱)، إلّا أنّ الطبری صرّح بأنّه لم یقتل لکونه صبیّاً، و من المعلوم أنّ رساله الإمام کانت موجّهه للمکلّفین دون غیرهم. و علیه: فعدم قتل عمرو لا یطعن بالخبر الغیبی للإمام علیه السلام. و أمّا زید بن الحسن، فبناءً علی المشهور کما ذکر المحدّث القمی رحمه الله أنّه لم یکن ملازماً لعمّه فی حرکته إلی العراق(۲). و أمّا الحسن بن الحسن ففیه خلاف، فلم یعدّه الطبری من القتلی لصغر سنّه(۳)، أمّا المفید فقال فی الإرشاد: «حضر مع عمّه الحسین علیه السلام الطفّ، فلمّا قتل الحسین و أسر الباقون من أهله، جاءه أسماء بن خارجه فانتزعه من بین الأسری و قال: و اللّه لا یوصل إلی ابن خوله أبداً، فقال عمر بن سعد: دعوا لأبی حسّان ابن اخته»(۴). و علی کلّ حال فإنّ الحسن المثنّی رغم بلوغه و تکلیفه لم یستشهد، و هو الفرد الوحید البالغ مع علی بن الحسین الذی لم یقتل من بنی هاشم، فلو کانت الرساله موجّهه لعامّه بنی هاشم، لا بدّ أن نقول بأنّ قصد الإمام علیه السلام: أنّ سبیلنا هو الشهاده،

۱- مقاتل الطالبیّین: ۱۱۹.

۲- منتهی الآمال: ۴۵۹.

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۵۹.

۴- الإرشاد للمفید ۲: ۲۵.

و علیه: فمن نجی فلیس ذلک بمستبعد. بعباره اخری لیس هناک من منافاه بین الخطاب العام فی اللحاظ العام باستثناء فرد أو فردین. إذن، ففحوی رساله الإمام: قافلتنا تتّجه إلی میدان الحرب و القتال الذی سیخوضه الغیاری و الأحرار من أجل الدفاع عن الحقّ، هؤلاء الغیاری شهداء أدرکوا الحقّ، و من لم یقم و یُدافع عن القرآن لا ینبغی أن یرجو أیّ نصرٍ آخر.

الحدیث الرابع:

قال ابن قولویه فی کامل الزیارات أیضاً: حدّثنی أبی رضی الله عنه و علی بن الحسین جمیعاً، عن سعد بن عبد اللّه، عن محمّد بن أبی الصهبان، عن عبد الرحمن بن أبی نجران، عن عاصم بن حمید، عن فضیل الرسان، عن أبی سعید عقیصا قال: سمعت الحسین بن علی علیهما السلام و خلا به عبد اللّه بن الزبیر و ناجاه طویلًا، قال: ثمّ أقبل الحسین بوجهه إلیهم و قال: «إنّ هذا یقول لی: کن حماماً من حمام الحرم، و لأن اقتل و بینی و بین الحرم باع أحبّ إلی من أن اقتل و بینی و بینه شبر، و لأن اقتل بالطفّ أحبّ إلیّ من أن اقتل بالحرم»(۱).

تحقیق مختصر:

یری ابن الزبیر أنّ الخطر محدق بالإمام، و هذا ما طرحه علی الإمام، غیر أنّه یظنّ بأنّ الحرم من شأنه أن یدفع عنه هذا الخطر، و هذا ما عبّر عنه بقوله: کن حماماً من حمام الحرم، حیث یتمتّع الحمام بالأمن فی الحرم، و ابن رسول اللّه صلی الله علیه و آله أولی بهذا الأمان. إذن فالبقاء فی ذلک الموضع المقدّس هو السبیل الأخیر للأمان من المخاطر.

۱- کامل الزیارات: ۱۵۱ ح ۱۸۲، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۸۵ ح ۱۶.

أمّا الإمام علیه السلام فیرفض هذه النظریه و یطلع ابن الزبیر علی حتمیه وقوع حادثه دون أن یُعرف للمکان من معنی فی الحرم أم فی موضع آخر. فقد اتّفقت کلمه الظلمه علی قتلی و لیس بإمکان حتی الحرم أن یمنحنی الأمان، و لیس من الصواب أن أستجب لوقوع هذه الحادثه فی الحرم الإلهی و أنتهک حرمته، بل أنا حریص علی عدم انتهاک حرمته و لو علی بعد شبر، و علیه:

فسأغادر الحرم سریعاً لأدفع بهذه الحادثه الحتمیه إلی کربلاء و أضرّج تربتها بدمی، إنّی لأحب أن أستقبل هذه الحادثه التی لا مناص منها فی الطفّ، إنّی لأرغب بالشهاده فی سبیل اعتلاء الحقّ و کلمه الإسلام علی ید الجبابره فَلِمَ لا أستشهد فی کربلاء؟ هذه خلاصه من الحوار الذی دار بین الإمام علیه السلام و ابن الزبیر، و نبذه عن نظریه الإمام بشأن الحرکه و الحادثه الحتمیه، فهل یسعنا القول بأنّ الإمام کان یرجو النصر بفعل وجود الجیش الکوفی المقتدر و القوات الشعبیه؟ لم اختار الإمام کربلاء من بین سائر مئات الأماکن و المواضع المحتمله؟ هناک مسافه شاسعه تمتدّ لمئات الأمیال بین مکّه و کربلاء، إمکان وقوع هذه الحادثه علی بعد شبر من الحرم حتّی کربلاء قائم. إذن، فهناک مئات الأماکن التی یحتمل فیها وقوع مثل هذه الحادثه، لم اختار الإمام علیه السلام من بینها ذلک المکان الذی لا یخالج ذهن أیّ فرد؟ لم تکن کربلاء آنذاک أکثر من أرض عادیه، و کان لا بدّ أن تقع- علی ضوء الأوضاع الطبیعیه- تلک الحادثه فی الکوفه التی تمثّل آنذاک مرکز الخلافه، فلِمَ أحبّ الحسین علیه السلام أن یدفن جسده الطاهر فی کربلاء؟ لقد أشار علیه السلام إلی موضع بعید عن الأذهان، الأمر الذی یکشف أنّ الإمام کان مطّلعاً علی تفاصیل الحادثه و ما سیواجهه فیها من مصیر.

فوا أسفاه، ینبری أحدهم لیصرّح أو یحتمل بأنّ الإمام لم یکن عالماً بتلک الأحداث. اللهمّ اجعل فی قلوبنا نوراً و بصراً و فهماً و علماً.

زبده الكلام:

شاهـدنا أنّ أغلب التواريخ المعتبره و الأحاديث الموثّقه كانت أدلّه قطعيه و شواهد حيّه على علم الإمام عليه السـلام بشـهادته فى حركته إلى الكوفه، الكوفه التى لم يكن من المقدّر لها أن تشهد انهيار حكومه يزيد و سقوطها بيد الإمام، إلّا أنّنا نريد أن نختصر الكلام، و إلّا فهناك التواريخ المعتبره و الأحاديث المستفيضه من الفريقين بشأن علم الإمام عليه السـلام بحادثه كربلاء، الحادثه الشديده الصـله و الحاسـمه فى مصـير الإسلام و حياه المسلمين. و الحق أنّنا نشعر بالخجل بالتحدّث عن علم الإمام عليه السلام و الـدفاع عن حريم الإمـامه فى عش آل محمّـد (قم المقـدّسه) المـدينه التى شـيّدت قبـل ألف عام على دعائم مـدرسه أهل البيت عليهم السـلام حتّى وصفها أئمّه الهدى بالمركز الذى يفيض بعلومهم على العالم، بل نعتوها بأنّها حرم أهل البيت. يعترينا الخجل أن نهدر وقتنا فى التحدّث عن أمر بمثابه الشمس فى رابعه النهار.

نعم، نشـعر بالخجـل من أنّ الإمـام عليه السـلام مصـباح الهـدى و سـفينه النجاه و خليفه رسول اللّه صـلى الله عليه و آله ممّن أمر بطـاعته و ولاـيته، فى حين يطالعنـا من يتفوّه بـأنّ الإمـام زجّ بلاـعلم فى حادثه مثّلت جوهر الإسـلام و ارتبطت مباشـره باسـتقامه الـدين، الخجل الـذى يـدعونا إلى الصـمت الـذى لا يفرزه سوى الحيره و الـذهول و الـدهشه! إلّا أنّه الصـمت و السـكوت الذى يتضـمّن الإشـاره إلى بعض الأدلّه الوارده بشأن علم الإمام عليه السـلام: ۱) جـاء فى الكامـل لابن الأثير أنّ عمر بن عبـد الرحمن نصـح الإمام و حـذّره من الحركه إلى الكوفه، فجزاه الإمام خيراً و قال: «و مهما يُقضَ من أمر يكن أخذتُ برأيك أو تركته»(۱). ۲) قصّه ورود أبى بكر الحارث بن هشام على الإمام، فقال له الإمام عليه السلام:

«جزاك اللّه خيراً يا ابن عمّ فقد أجهدك رأيك، و مهما يقضِ اللّه يكن» فقال: إنّا للّه

۱- الكامل لابن الأثير ۴: ۳۷.

و عند اللّه نحتسب يا أبا عبد اللّه(۱). ۳) على ما نقل أرباب المقاتل أنّ عبد اللّه بن عمر جاء لوداع الإمام فى مكّه فقال «استودعك اللّه من قتيل»(۲). ۴) قال صاحب مجمع البحرين: «روى أنّه عليه السلام اشترى النواحى التى فيها قبره من أهل نينوى و الغاضريه بستّين ألف درهم، و تصدّق بها عليهم، و شرط عليهم أن يُرشدوا إلى قبره و يضيّفوا مَن زاره ثلاثه أيّام»(۳)، فهل اشترى الإمام تلك الأرض بعد القتل؟ و هل كان عالماً بمرقده أم لا؟ ۵) كتب العلّامه المرحوم السيد محسن الأمين العاملى صاحب أعيان الشيعه فى مقتله لواعج الأشجان: «و جاءه عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن الزبير، فأشارا عليه بالإمساك عن المسير إلى الكوفه، فقال لهما: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد أمرنى بأمر و أنا ماض فيه، فخرج ابن عبّاس و هو يقول: وا حسيناه»(۴). كان الإمام عليه السلام ينهض بمسئوليه خطيره كلّفه بها رسول اللّه صلى الله عليه و آله، إذن فحقيقه الأمر شى ء آخر، و لم تكن دعوه أهل الكوفه و آراء خبرائها تشكّل الدوافع الحقيقيه لهذه الحركه، و لذلك فهم ابن عباس أنّ السبيل الذى ينتهجه الإمام لا رجعه فيه! ۶) قال الأمينى- فى نفس الصفحه من الكتاب المذكور-: «ثمّ جاءه عبد اللّه بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال و حذّره من القتل و القتال، فقال له: يا أبا عبد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على اللّه أنّ رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغىّ من بغايا بنى إسرائيل- إلى أن قال:- و أيم اللّه لو كنت فى جحر هامه من هذه الهوامّ لاستخرجونى حتّى يقتلونى، و اللّه ليعتدنّ علىّ كما اعتدت اليهود فى

۱- مروج الذهب ۳: ۵۶.

۲- انظر لواعج الأشجان: ۷۴، بحار الأنوار ۴۴: ۳۱۳.

۳- مجمع البحرين ۳: ۱۵۶۰، مادّه« كربل».

۴- لواعج الأشجان: ۷۲.

السبت، و اللّه لا یدعونی حتّی یستخرجوا هذه العلقه من جوفی، فإذا فعلوا ذلک سلّط علیهم من یذلّهم حتی یکونوا أذلّ من فرام(۱) المرأه»(۲). فعبد اللّه یتوقّع حادثه و یقرّ الإمام توقّعه و یفشی له الأسرار. نعم، کلّ من تحدّث عن الشهاده فإنّ الإمام علیه السلام کان یؤیّد حدیثه و یبیّن المأساه التی ستقع من خلال التصریح أو التلویح، فهل نقول هنا أیضاً بأنّ الإمام قد انطلق راجیاً للسفر من مکّه و لم یتبدّل هذا الرجاء یأساً حتّی أواخر حیاته الشریفه، اللهمّ إلّا للحظات قبل شهادته؟ هل هذه هی نتیجه التحقیقات؟ و هل مثل هذا الحکم حصیله للتأمّل و التمعّن فی الأدلّه و الأخبار؟ هل هذه الصوره ولیده التفکیر الصحیح؟ و هل هذه الأفکار نابعه من إدراک للحقائق؟ هل هذه الامور من شأنها رفع مقام الإمام علیه السلام؟ هل مثل هذا الکتاب یعدّ خدمه للعلم و المعرفه؟ و هل هذه الأفکار ستقضی علی الشبهات؟ و هل و هل ...

نترک الإجابه إلی الضمائر الحیّه و العقول البعیده عن التقعقع و التعصّب.

شهاده الإمام فی کربلاء علی لسان أهل البیت علیهم السلام و أتباعهم:

لقد ابتلّت تربه کربلاء بدموع علی بن أبی طالب علیهم السلام لخمس و عشرین سنه قبل وقوع الحادثه، و لم ینس مسجد الکوفه حدیث أمیر المؤمنین علیه السلام لسعد بن أبی وقّاص فی أنّ ولده المشئوم سیقتل ابنه الحسین علیه السلام(۳). أمّا النبی صلی الله علیه و آله فقد صدع قبل ولاده یزید قائلًا: «مالی و لیزید لا بارک اللّه فیه، اللهمّ العن یزید»(۴). و ابن عبّاس هو الذی نقل حدیث النبی صلی الله علیه و آله، فکان یعلم علی سبیل الجزم بحادثه

۱- الفرام- بالفاء المفتوحه- : خرقه الحیض.

۲- لواعج الأشجان: ۷۲- ۷۳.

۳- کامل الزیارات: ۱۵۵ ح ۱۹۱، الأمالی للصدوق: ۱۹۶ مجلس ۲۸ ح ۲۰۷، و عنهما بحار الأنوار ۴۲: ۱۴۶ ح ۶ و ج ۴۴: ۲۵۶ ح ۵.

۴- مثیر الأحزان لابن نما الحلّی: ۲۲، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۲۶۶ ح ۲۴.

کربلاء و غطرسه یزید، و من المُسلّم به أنّه تذکّر قول رسول اللَّه صلی الله علیه و آله فحذّر الإمام. نعم، لم تکن حادثه کربلاء خافیه علی من کان یرتاد أهل بیت النبوّه علیهم السلام، بل کانت هناک عدّه روایات أسهمت کلّ واحده منها فی إزاحه الستار عن بعض مجریات تلک الحادثه بحیث یری المتتبّع أنّ هذه الحادثه قد بیّنت بجزئیّاتها و تفاصیلها من قِبل رسول اللَّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام، و علیه کان أهل البیت علیه السلام و أنصارهم عارفین بتفاصیل هذه الحادثه فنقلوها لنا، إذن فهل یعقل القول بأنّها کانت خافیه علی شخص الإمام علیه السلام؟ یظنّ البعض أنّ الإمام الحسین علیه السلام لم یکن یعلم المراد بالفتیه الذین قال فیهم أمیر المؤمنین علیه السلام حین مرّ بکربلاء فی معرکه صفّین: «هاهنا مناخ رکابهم، و موضع رحالهم، و هاهنا مهراق دمائهم، فتیه من آل محمّد صلی الله علیه و آله یُقتلون بهذه العرصه ...»(۱) و لم یکن یعلم متی یُقتلون؟! و حیث ذکرهم أمیر المؤمنین علیه السلام بضمیر الجمع الغائب «هم»، فقد رأی الحسین علیه السلام فی میدان کربلاء ذلک الیوم أنّه المصداق علی سبیل الترديد! فقد ذکر المؤلّف فی ص ۳۰۱ «فهل اولئک الفتیه من آل محمّد التی أخبر عنها أمیر المؤمنین علیه السلام هُم الحسین علیه السلام و أهل بیته؟ أ فلا ینطبق الخبر الذی ذکره علی علیه السلام قبل أربع و عشرین سنه علی الحسین و أهل بیته؟». یا له من ظنّ فاسد! ما هی الصوره التی رسمها هؤلاء للإمام حتّی یتحدّثوا عنه بهذا الشکل! لو لم یکن إماماً بل کان فرداً عادیاً کمحمد بن الحنفیه و سمع هذا الکلام من أبیه و قد واجه عسکر یزید فهل لنا أن ننسب ابن الحنفیه إلی الترديد؟! نعم، هنا یکمن الخطأ، حیث ظنّ بأنّ إخبار أمیر المؤمنین علیه السلام عن تلک الحادثه فی معرکه صفّین قد اقتصر علی تلک العباره، رغم أنّه رأی أنّ هذا الکلام

۱- دلائل النبوّه لأبی نعیم ۲: ۵۸۱ ح ۵۳۰، ذخائر العقبی: ۱۷۴، الریاض النضره ۳: ۲۰۱، الفصول المهمّه لابن الصبّاغ ۲: ۷۶۱، الخصائص الکبری للسیوطی ۲: ۲۱۴.

لوحده یکفی فی العلم بجمیع الحادثه بالنسبه لأیّ فرد عادیّ فضلًا عن الإمام علیه السلام. کلّا، لیس الأمر کذلک، فقد تحدّث علی علیه السلام فی معرکه صفّین بهذا الشأن و قد ذکر حسیناً صراحه و العطش الذی یصیبه حین یستشهد فی أرض کربلاء حتّی لا ینبری لاحقاً مَن یقول: فهل ینطبق حدیث الوالد علی الولد أم لا؟ و قد مرّت(۱) علینا روایه العلّامه المجلسی فی البحار التی أشارت إلی بُکاء علی علیه السلام علی ولده الحسین علیه السلام، الذی سیموت فی کربلاء عطشاناً. فهل قول علی علیه السلام فی میدان المعرکه فی تلک اللحظه الحسّاسه کان همساً فی اذن الراوی و لم یسمعه إلّا عبد اللّه بن قیس، أم أنّها أخبار قالها علی علیه السلام وسط المیدان عن تلک الحادثه؟ أو لا نفهم من هذه الروایه و أمثالها أنّ حادثه کربلاء کانت حدیث الساعه و لم یکن من یتردّد علی أهل البیت بعیداً عن تلک الأخبار فضلًا عن أهل الدار. فهل من المعقول أن نعترف أوّلًا- علی ضوء الروایات القطعیّه- أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قد أخبر بشهاده الحسین علیه السلام، و کان الحسین قد سمع الخبر منذ طفولیّته. ثمّ نثبت بعد ذلک من خلال مباحث الکتاب أنّه علیه السلام لم یکن عالماً باستشهاده؟ أمّا الروایات الموثوقه التی وردت فی کتاب بحار الأنوار فقد صرّحت بأنّ أمیر المؤمنین علیه السلام قد صرّح باسم الحسین علیه السلام فی معرکه صفّین، حتّی روی ابن عباس أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام حین مرّ بکربلاء بکی بکاءً شدیداً و قال: «ما لی و لآل أبی سفیان! مالی و لآل حرب حزب الشیطان و أولیاء الکفر!- ثمّ التفت إلی ولده الحسین علیه السلام و قال:- صبراً یا أبا عبد اللّه، فقد لقی أبوک منهم مثل الذی تلقی منهم»(۲) فهل لأحد أن یقول بعد ذلک: إنّ الحسین علیه السلام احتمل حین وصل کربلاء أنّه المقصود بقول أبیه علیه السلام؟ و لا یسعنا هنا إلّا أن نخوض فی بعض التواریخ:

۱- فی ص ۲۱۹.

۲- بحار الأنوار ۴۴: ۲۵۲ ح ۲ عن أمالی الصدوق: ۶۹۴، مجلس ۸۷ ح ۹۵۱، و کمال الدین: ۵۳۲ ب ۴۸ ح ۱.

فقد نقل مؤلّف كتاب القاموس- من الكتب الرجاليه الموثّقه الذى طبع أخيراً قصّه عند ذكر اسم حبيب، و قد ذكرت هذه القصّه فى سائر كتب التأريخ و الرجال- أنّه «روى الكشّى عن جبرئيل بن أحمد، عن محمّد بن عبد اللّه بن مهران، عن أحمد بن النصر عن عبد اللّه بن يزيد الأسدى، عن فضيل بن الزبير، قال: مرّ ميثم التمار و حبيب بن مظاهر بمجلس بنى أسد و هما فارسان، فجعلا يتحدّثان حتّى قال حبيب:

لكأنّى بشيخ أصلع قد صلب فى حبّ أهل بيت نبيّه عليهم السلام ... فقال ميثم: و إنّى لأعرف رجلًا أحمر له ظفيرتان يخرج لينصر ابن بنت نبيّه صلى الله عليه و آله، فيقتل و يجال برأسه بالكوفه»(۱). لقد أصيب مجلس بنى أسد بالذهول لما سمعوا من حوار هذين الوليّين حتّى أجمعت كلمتهم على أنّهم لم يروا أكذب منهما! و هنا وصل رشيد الهجرى فسأل عن ميثم و حبيب، فقال له بنو أسد: كانا هنا، ثمّ أخبروه بما سمعوه منهما، فقال رشيد:

لقد قالا حقّاً، إلّا أنّ ميثم نسى أن يقول و يزيد: من يأتى برأس حبيب مائه درهم! فما كان من أهل المجلس إلّا أن قالوا: إنّ رشيد أكذبهما!(۲)

بُكاء محمّد بن الحنفيه:

نقل الطبرى عن أبى مخنف: أنّ الحسين بن على أقبل بأهله و محمد بن الحنفيه بالمدينه، قال: فبلغه خبر و هو يتوضّأ فى طست قال: فبكى حتى سمعت وَكَفَ دموعه فى الطست(۳). و لنا أن نسأل: مِمَّ بُكاء ابن الحنفيه؟ لو كان يأمل النصر كالإمام! لم يكن لذلك الخبر أن يبكيه، فالقضيه قضيه فتح و نصر و التحاق بالقوى الشعبيه الموالیه فى الكوفه، و ليس فى الأمر ما يدعو إلى البُكاء!

۱- اختيار معرفه الرجال، المعروف ب« رجال الكشى»: ۷۸ رقم ۱۳۳.

۲- قاموس الرجال ۳: ۹۶ رقم ۱۷۶۸، و ما ذكر نقل بالمضمون.

۳- تاريخ الطبرى ۴: ۲۹۷.

نعم، بكاء ابن الحنفيّه إعلام للمؤلّف الذى اعتقد أنّ الإمام عليه السلام سوف لن يسقط حكومه يزيد، بل سيتعرّض لظلم جيش الكوفه، و هذه هى كربلاء التى ستستضيف الإمام! بُكاء محمّد بن الحنفيه تذكير بحادثه يعرفها كافّه قرابه أهل البيت، أ فيكون الإمام غافلًا عنها لا عِلمَ له بها؟! لقد كانت قصّه كربلاء و فصولها الدمويه أشهر لا تحتاج إلى بيان، و قد ذكرنا سابقاً أنّ التحاق زهير بن القين كان بسبب حديث سلمان الفارسى أو الباهلى، حيث أورد الطبرى و ابن أثير أنّ سلمان بشّر زهيراً بإدراكه لشباب آل محمّد، و ذلك اليوم هو يوم فرح بالنسبه لزهير.

حديث رائع:

قال مؤلّف كتاب الأربعين الحسينيّه: «ما رواه فى الكامل بسنده عن الباقر عليه السلام قال: لمّا همّ الحسين عليه السلام بالشخوص من المدينه أقبلت نساء بنى عبد المطلب فاجتمعن للنياحه حتّى مشى فيهنّ الحسين عليه السلام، فقال: أنشدكنّ اللَّه أن تبدين هذا الأمر معصيه للَّه و لرسوله، فقالت له نساء بنى عبد المطلب: فلمن نستبقى النياحه و البُكاء فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و على و فاطمه و رقيّه و زينب و امّ كلثوم، فننشدك اللَّه جعلنا اللَّه فداك من الموت»(۱). إنّ الحسين عليه السلام قرّر الخروج إلى مكّه فما معنى اجتماع الهاشميات من نساء بنى عبد المطلب للنياحه و البُكاء! يخرج إلى مكّه لتنظيم الجيش و القياده بغيه الحركه إلى الكوفه و بالتالى السيطره على الحكومه، و مثل هذه الحركه ينبغى أن تدخل الفرح و السرور على الهاشميات و أهل بيت الرساله، فقد تمهّدت الأرضيه المناسبه لقيام الحكومه، فما هذا البُكاء!

۱- الأربعين الحسينيّه: ۵۷ ح ۶ عن كامل الزيارات: ۱۹۵ ح ۲۷۵.

نعم، إنهنّ يعلمن أنّ الإمام عليه السلام إنّما يتّجه نحو مصرعه الذى ليس فيه أىّ أمل بالنصر- النصر الذى يقول به مؤلّف «شهيد جاويد»: لقد سمعن من رسول اللَّه صلى الله عليه و آله سرّاً أنّ ولده الحسين عليه السلام سيُقتل فى كربلاء. نعم، لم يطقن سماع حركه الإمام و لم يتمالكن أنفسهنّ، أمّا الإمام فقد خاطبهنّ: أنشدكنّ اللَّه أن تبدين هذا الأمر فهو معصيه للَّه و لرسوله، و هل لمثل هذه النصيحه أن تسكّن من روع تلك القلوب الوالهه المضطربه و العيون العبرى لنساء الرساله! فهنّ نساء و قلوبهنّ تنبض بحبّ الحسين عليه السلام، و يعلمن أنّ هذه الحركه ستعيد مراره رحيل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و شهاده أمير المؤمنين عليه السلام و غربه الزهراء عليها السلام، فأجبنه و الدموع جاريه على خدودهنّ: إنّنا نعلم أن لا رجعه من هذه الحركه. نعم، يمكن أن يهدأ روعنا و تسكن فورتنا إن جعلنا اللَّه فداك لتنجو من الموت. فهل يسعنا بعد هذا أن نقول بأنّ الإمام لبّى دعوه الناس أملًا فى النصر، أم لا بدّ من القول أنّه انطلق أملًا فى انتصار الإسلام من خلال الشهاده.

السرّ الأكبر:

لقد وردت حادثه كربلاء فى سائر الأديان، و لا أُريد أن أخوض فى هذا المجال، إلّا أنّى أكتفى بما أورده الطبرى بهذا المجال، قال: «حدّثنى العلاء بن أبى عائشه قال:

حدّثنى رأس الجالوت، عن أبيه قال: ما مررت بكربلاء إلّا و أنا أركض دابّتى حتّى أخلف المكان، قال: قلت: لِمَ؟ قال: كنّا نتحدّث أنّ ولد نبىّ مقتول فى ذلك المكان.

قال: و كنت أخاف أن أكون أنا، فلمّا قُتل الحسين قلنا: هذا الذى نتحدّث»(۱). فهل يسعنا- أيّها القُرّاء الأعزاء- أن نقول بأنّ الإمام لم يكن عالماً بحادثه كربلاء و حين بلغ كربلاء احتمل ... بينما يتحدّث الآخرون عن هذه النهضه و أنّ كربلاء ستضمّخ بدم الحسين عليه السلام؟!

۱- تاريخ الطبرى ۴: ۲۹۶.

الکتاب و الخطأ الرئیسی الثانی:

اشاره

الخطأ الرئیسی الثانی الذی ارتکبه مؤلّف کتاب «شهید جاوید» هو الضرر الذی ألحقته حادثه کربلاء بالإسلام، و نورد هنا بعض نماذج الکتاب التی تفید هذا المعنی: ۱- قال فی جوابه لما قاله محبّ الدین الخطیب من أنّ حرکه الحسین بن علی علیهما السلام قد حاقت خساره بالحسین و الإسلام و المسلمین إلی یوم القیامه:

«حکومه یزید لا الحسین بن علی علیهما السلام هی التی وجّهت تلک الضربه للإسلام».

و علیه: فهو یقرّ بموضوع الخساره، إلّا أنّه ینسبها فقط إلی یزید. ۲- لوّح فی النقاط ۱، ۲، ۳- فی عنوان «هل کان قتل الإمام علیه السلام بنفع الإسلام أم لا- إلی أنّ قتل الحسین علیه السلام لم یکن له أثر مطلوب علی الإسلام، و قال: لقد قویت شوکه بنی أُمیّه و ظنّوا أنّ النفع الوحید الذی جناه الإسلام هو أنّ حکومه یزید أصبحت ضعیفه لبضعه أیّام إثر قتل الإمام الحسین علیه السلام. ۳- قال فی ص ۳۷۸ «و إذا کان المراد هو أنّ الشیعه قد انتظمت بقتل الإمام فلا بدّ من القول بأنّ الشیعه قد قویت شوکتهم من جانب بعد شهاده الإمام الحسین علیه السلام، و ضعفت من جانب آخر ... إلی آخره، ثمّ تابع هذا الموضوع فی ص ۳۷۹. ۴- ثمّ قال فی ص ۳۸۲- فی بحث بعنوان زبده الکلام-: «لا یمکن قبول الفکره القائله بأنّ الإسلام قد انتعش بقتل الحسین علیه السلام» و لا یمکنه أن یقول: مرادی أنّ قتل الحسین علیه السلام أدّی إلی الإضرار بالإسلام، من حیث إنّ الجریمه قد ارتکبت من قِبل قاتلی الحسین علیه السلام؛ لأنّنا لا نری عاقلًا ینکر أنّ قتل الحسین علیه السلام ضرر جسیم و جریمه لا تُغتفر، بل مرادک أنّ حادثه کربلاء و قتل الحسین علیه السلام کانت ضرراً علی الإسلام، و هذا ما أوردته فی ردّک علی محبّ الدین فی الدفاع عن هذا الضرر بأنّ

یزید قد وجّه هذه الضربه للإسلام، فهل یمکن نسبه قتل الإمام لنفسه؟ حتّی نتّهم یزید فی مقام تبرئتنا للإمام، و علیه: فقصدک من قتل الإمام شهادته و أنّ تلک الشهاده کانت بضرر الإسلام، حیث قلت: یزید هو الذی أضرّ بالإسلام. و الشاهد الآخر ما ذکرته فی قولک: «لا نفهم ما یُقال من أنّ الإسلام قد استعاد حیاته بقتل الحسین علیه السلام»؛ لأنّک لم تفترض الضرر من أجل نفس القتل، بل من أجل القتل و حادثه کربلاء، و هذا ما صرّحت به فی ص ۳۸۳ حین قلت: «لا یسعنا أن ندرک هذا الأمر، فکیف للإسلام بالاستقرار و التماسک فی فقدانه لزعیمه و ناصره». فالتعبیر کان بالفقدان، و الفقدان غیر القتل، و علی هذا الضوء فقد ألغیت فریضه الجهاد بالکامل؛ لأنّ المعرکه لا تستتبع دسومه، و غالباً ما یؤدّی الجهاد إلی إزهاق أرواح القاده الصلحاء، أو لیس فقدان مثل هؤلاء القاده یضرّ بالإسلام؟ فَلِمَ الجهاد؟ و لعلّ هناک من یقول فی الجواب: إنّ فقدان مثل هؤلاء القاده هو دفاع عن الإسلام و هذا الدفاع مفید. نعم، قد نقول فی الجواب: إنّ الهدف هو الدفاع، و لکنّه یتطلّب التضحیه فلا یتحقّق إلّا فی فقدان الزعماء الصلحاء، الدفاع هو الذی یروی شجره الإسلام و یبقی علی حیاتها، و علیه: فالإسلام یمکن أن یستعید حیاته بقتل الإمام الحسین علیه السلام، و هذا لیس بممتنع، لنتساءل لاحقاً هل تحقّق هذا الإمکان؟ نعم لقد تحقّق هذا الأمر، شریطه أن لا یقتصر بالنظر علی عصر حکومه بنی أُمیّه و بنی العباس، فالحادثه- و کما سنتطرّق إلیها لاحقاً- قد انطوت منذ یومها الأوّل علی آثار قیّمه و فوائد جمّه. ۵- قال فی ص ۳۹۳- ۳۹۴ تحت عنوان ذلّه الامّه: «و هنا لا بدّ من القول بأنّ الامّه الإسلامیه بعد قتل الحسین علیه السلام أصبحت أکثر ذلّه و خضوعاً تجاه

حکومه یزید». و واضح أنّ هذه العباره تُفید أنّ نهضه الحسین و شهادته قد أذلّت الإسلام، غیر أنّ الإمام علیه السلام لا ذنب له. نعم، الواقع أنّه لا یمکن إنکار تجبّر یزید و تنامی شوکته عدّه أیّام بُعید الحادثه، إلّا أنّها لم تجلب الذلّ و الهوان علی الناس، بل کانت الامّه تعیش حاله من الذلّ و الهوان التی تبددت بفضل تضحیه الحسین علیه السلام و دمه الشریف. هذه بعض النماذج من عبارات الکتاب الذی یعتقد مؤلّفه کالآخرین بأنّ حادثه کربلاء کانت خساره.

حادثه کربلاء نفخت الروح فی جسد الإسلام:

من المُسلّم به أنّ الإسلام أو أیّ قانون یهدف إلی إشاعه الحرّیات و المساواه و إیصال الإنسان إلی الکمال إنّما یرتطم ببعض العوائق و العراقیل المؤلمه، التی لا یمکن تفادیها البتّه فی هذه المسیره الشاقّه. فالقوانین الإلهیه القائمه علی أساس العدل و العلم و مساواه الضعیف بالقوی و کون الجمیع سواسیه فی الحقوق و الواجبات، لا- مناص لها من الاصطدام بمصالح الطغاه من أصحاب الطمع و الشهوه و العناد و الجهل. فهذه القوانین السماویه لا تنسجم و الشهوات الطائشه و القدره الزائفه و العاتیه التی تسحق الضعفاء و التی تستند إلی هضم حقوق الامّه و التلاعب بمقدّراتها، و علیه: فالمعرکه بین الطرفین قائمه علی قدم و ساق.

الجهاد فی الإسلام:

یسعی الإسلام بادئ الأمر- و علی هامش الحریه الفکریه و الإراده فی العمل- فی التزام منهج الوعظ و النصح للأعداء أملًا فی إعادتهم إلی جادّه الصواب،

إلّا أنّ البعض لا یستجیب لمثل هذا الاسلوب و یوغل فی الغیّ و العدوان، و هذا ما تلمسه بوضوح فی القرآن الکریم فی سرده لقصص الأنبیاء مع اممهم، ثمّ یندفع هؤلاء الأفراد أبعد من ذلک لیخطّطوا لتفنید تعالیم الأنبیاء و نظمهم الاجتماعیّه، و بالتالی إرعاب الامّه و زعزعه دعائم الأدیان و الشرائع. فإذا ما أغلقت جمیع الأبواب بوجه الدین و غاب الأمل فی هدایتهم، کان لا مناص له من اللجوء إلی القوّه و بروز فلسفه الجهاد بالأموال و الأنفس. نعم، لقد بنی الدین علی العفو و الرحمه و التساهل و المرونه، إلّا أنّ هذه المفرده مؤطّره بأطر لا ینبغی أن تتجاوز حدودها، و هذا ما عبّرت عنه الآیه الشریفه:

وَدَّ کَثِیرٌ مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ لَوْ یَرُدُّونَکُمْ مِنْ بَعْدِ إِیمانِکُمْ کُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَیَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتَّی یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْ ءٍ قَدِیرٌ(۱). إذن، فالجهاد فی الإسلام وسیله من أجل الدفاع عن حیاض الدین و تحریر الامّه من براثن القوی السلطویه الغاشمه، بل الجهاد من الفرائض الواجبه التی یتوقّف علیها وجود الإسلام و المسلمین. أمّا الأمر الذی ینبغی الالتفات إلیه هو أنّ الدفاع یشمل کافّه الوسائل و لا یقتصر علی القتل، لا بدّ من القیام مهما کانت النتائج، و من الخطأ الاعتقاد بأنّ الإسلام أکّد علی قتل الکفّار، ففی قتلهم نفع الإسلام و أنّ فقدان الأولیاء ضرر و القتل فیهم لیس بمطلوب. فهذا القرآن یتبنّی مواقف الشهداء و یشید بهم و یصرّح بدرجاتهم، فالشهید قیمه حیّه، و الشهید من یقتل دفاعاً عن الدین. إذن فالقتل من أجل الدفاع

۱- سوره البقره: الآیه ۱۰۹.

مطلوب، وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً(۱) فهل الآیه الکریمه تأمر بالقتل أم تحضّ علی الشهاده فی سبیل اللَّه و إشاعه التوحید و العبودیه؟ نعم، الشهاده محبوبه لدی اللَّه و القرآن، لیس هنالک من سبیل للظفر بشی ء دون ضریبه، فالبذره تدفن نفسها فی التراب لتصبح شجره، و ذلک یقتل لتحیا امّه و تنعم بالحرّیه و السعاده، و لذلک تری أولیاء اللَّه توّاقون للشهاده، فعدمهم یمنحهم و یمنح الآخرین الوجود، فأملهم الدائم «و قتلًا فی سبیلک»(۲)، کما تراهم یتسابقون إلی الموت فی المعارک و قد مشی إلیه بعضهم عن علم بالشهاده. أجل، أولیاء اللَّه یعشقون الشهاده، فشجره الإسلام قد تتطلّب أحیاناً سقیها بالدماء، و هذا أمیر المؤمنین علیه السلام یُصرّح فی عهده الذی عهده إلی مالک الأشتر: «و أن یختم لی و لک بالسعاده و الشهاده»(۳). لا یسع البعض أن یستوعبوا حیاه الإسلام و تنامی شوکته بسبب فقدان زعمائه و حماته، فهذا القول لا ینطوی سوی علی إنکار فلسفه الحروب و المعارک، و هل الحرب لعبه أو نزهه فلمَ الأمر بالجهاد؟ لِمَ کان الرسول یشترک بنفسه فی المعارک؟ لِمَ برز علی بن أبی طالب علیه السلام لعمرو بن عبد ودّ؟ و لِمَ ضُرّج أولیاء اللَّه کعمّار بن یاسر بدمائهم فی معرکه صفّین؟ و لِمَ کان الشهداء فی مصاف الأنبیاء؟ لِمَ کان الحسین علیه السلام یأذن لفتیته فی القتال؟ لِمَ کلّف أخیراً ذلک الصبی الذی لم یکن له سوی ثلاث عشره سنه بالقتال؟ یُقال: دفاعاً عن الإسلام، فنقول: إذا کانت هذه عاقبه الدفاع عن الإسلام بحیث یؤدّی إلی فقدان الإمام فهذه هی وظیفته، و الإسلام عزیز منیع بهذه الوظیفه. أو لم یُقتل أنبیاء بنی إسرائیل

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۹.

۲- إقبال الأعمال ۱: ۱۴۳، قطعه من دعاء لیالی شهر رمضان.

۳- نهج البلاغه لمحمد عبده: ۶۲۵.

وَ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍ(۱)، أولم يفكّر الأنبياء بأنّ فى قتلهم ضرراً على المسيره، كان عليهم أن يسلكوا سبيلًا لا- يؤدّى إلى فقدانهم، فيبقى الدين عزيزاً بحياتهم و وجودهم، لكنّا نعلم بأنّهم خاطروا بأنفسهم و وقفوا بوجه المشركين و الكافرين حتّى ضحّوا بأنفسهم. لا يمكن افتراض الحسين عليه السلام إماماً ظاهرياً للمسلمين، و أنّه مبسوط اليد ليخلص إلى نتيجه مفادها: عدم إدراك و قبول إحياء الإسلام بفقدان الزعيم، فالحسين عليه السلام لو هادن يزيد لما عاد إماماً، و لو أكبّ مسيره يزيد و أضفى الشرعيه عليها، فهل فى مثل هذا الإمام نفع للإسلام؟ و هل من سبيل أمام الإمام لو لم يهادن و يداهن سوى الشهاده؟ لقد كان عزم يزيد أن يبايعه الحسين عليه السلام لتكون النتيجه اضمحلال الدين، و إلّا حمل إليه رأسه الشريف، الأمر الذى لا يجعل لحياه الإمام من نفع للإسلام. من هنا كانت وظيفه الإمام التى تكمن فى إحياء الإسلام و الدفاع عن الحقّ تعنى التضحيه و عدم مسايره حكومه بنى اميّه، و سقى شجره الإسلام بالدماء الطاهره الزكيه.

بنفسه اشترى حياه الدين فيا لَها من ثمنٍ ثمين(۲)

لقد ظنّ بأنّ حركه الحسين عليه السلام كانت تتجه صوب الكوفه و الأخذ بزمام الامور و السيطره على الحكومه، و هذا الهدف لا- ينسجم و العلم بالشهاده، بل لم يكن الإمام يظنّ بأنّه يرد كربلاء و يقتل فيها، و ذلك لأنّ هذه الشهاده لم تكن لصالح الإسلام، بينما ليس هناك من منافاه عقلائيه بين الحركه إلى الكوفه و العلم بالشهاده، كان عنوان الحركه هو الكوفه و الأخذ بزمام الامور، كى لا ينبرى

۱- سوره النساء: الآيه ۱۵۵.

۲- من مراثى آيه اللّه الكمپانى.

أحـدهم و يتخرّص بـأنّ الامّه تأهّبت لامامه الحسـين عليه السـلام فرفضـها، و لا يتسـرّب الشكّ إلى النفوس بأنّ الزعامه لو كانت حقّاً ثابتاً له لما رفضـها، فقرّر الإمام أن يخرج إلى الكوفه من أجل إحياء الإسـلام، فقـد ماتت السُـنّه و أُحييت البـدعه، و لما كان يعلم بشهادته و عدم درک هدفه، استعدّ للتضحيه و الفِداء، أمّا الكوفه و مقاومه حكومه يزيد ليكتب فى التأريخ بأنّ الحسين عليه السـلام ثـار من أجـل إحيـاء الإسـلام و إمامه الامّه و إنقاذها من بؤسـها و شـقائها، و هـذا ما سـيؤدّى إلى قتله و فوزه بلقب سـيّد الشهداء عليه السلام، و لو صرّح الإمام بأنّى أذهب لُاقتل فى كربلاء، لما استطاع التأريخ أن يصيب فى تقييم الحادثه و أنّ الهدف هو إحياء الإسلام، فى حين يعلم الإمام أنّ هذا الهدف لا يتحقّق إلّا فى ظلّ التضحيه و الشهاده.

المعطيات الخالده للحادثه:

لقـد فتحت حـادثه كربلاء منـذ انبثاقها الباب على مصـراعيه أمام انبعاث الإسـلام من جديـد، أمّا وقوع الحادثه فقـد أفرز حقّانيه الحسـين و كونه الإمام الحقّ، و بطلان حكومه يزيـد و كونه إمام الضـلاله الـذى يهـدف إلى القضاء على الإسـلام، لقـد جهدت الأجهزه الإعلاميه لحكومه معاويه و ابنه يزيـد على تقـديم الإمام كفرد خارجى لا يمت بصـله إلى الـدين، و قد تفاجأ أهل الشام لخبر قتل أمير المؤمنين عليه السـلام فى محراب العباده، ليتساءلوا مع أنفسـهم: أ فيصلّى على حتّى يُقتل فى المحراب! كان معاويه ينفق الأموال الطائله دون حساب من أجل وضع الأحاديث ضدّ أهل البيت عليهم السـلام، فى حين أثبت الحسـين عليه السلام فى كربلاء أنّ أهل البيت أصـحاب حقّ، و قد بلغوا كربلاء مظلومين للدفاع عن الدين، يزيد شارب الخمور و هو الفاسق عبد الدنيا و الشهوه، الذى لا يتحرّج عن سفک دم الرضيع، و يعمد بعد

القتل و الفتک إلی إحراق خیام النساء و سلبهنّ ما علیهنّ، لقد أحبطت حادثه کربلاء فی أوائل أیّامها کافّه دعایات معاویه، کما أفهمت عسکر یزید أنّ الحسین علیه السلام ضحیّه شهوات یزید و الحقد الدفین لعلی علیه السلام. لقد کشفت خطبه ذلک الیوم عن کمالات الإمام علیه السلام، عن ولایته و إمامته و صلاحیته و زعامته و علمه و درایته و شجاعته و فصاحته و تضحیته و حقّه، بما لا یدع مجالًا لرواسب دعایات الجهاز الأموی. و هذا یزید الذی جیّش الجیوش و شقّ وحده الامّه الإسلامیه فی قتاله للحسین علیه السلام! بحیث اندفع البعض لقتاله و هو «یتقرّب إلی اللّه بدمه»! إلّا أنّ نفس الحادثه و الخطابات الحماسیه للإمام أزالت الإبهام و الغموض و أوضحت الأمر، بما جعل بعض عسکر یزید یلتحق برکب الإمام، و یرتفع صوت البعض الآخر بالاعتراض و الاستنکار. لقد أثبت الحسین علیه السلام فی ذلک الیوم أنّ الباغی هو یزید، کان لا ینفکّ عن إیراد خطبه و کلماته التی عرّت التیار الأموی و کشفت زیفه للناس، الذین لیس لهم سبیل سوی تصدیق ما کان یقوله الإمام. لقد اذعن العدوّ لصحّه ما أورده الإمام علیه السلام: «إنّ علیّاً کان أوّلهم إسلاماً، و أعلمهم علماً، و أعظمهم حلماً، و أنّه ولیّ کلّ مؤمن و مؤمنه»(۱). و هو الذی هتف عالیاً أنّ رسول اللّه صلی الله علیه و آله قال: «الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه»(۲). و أخیراً هو الذی جعل العدوّ یشهد بأنّ حسیناً إنّما یقتل ثأراً من علی علیه السلام و هو الذی جعل الحرّ بن یزید الریاحی یعیش الخیار بین الجنّه و النار فیلتحق برکب الحسین علیه السلام.

۱- الأمالی للصدوق: ۲۲۳ مجلس ۳۰ قطعه من ح ۲۳۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۱۸ قطعه من ح ۱.

۲- مسند أحمد بن حنبل ۴: ۸ ح ۱۰۹۹۹ و ص ۱۲۵ ح ۱۱۹۵۴ و ص ۱۲۹ ح ۱۱۶۱۸.

إذن، فقـد ذهبت أدراج الرياح جميع تلك المـدّه المديـده من الدعايات المسـمومه خلال المرحله الاولى من حادثه كربلاء، ثمّ اتّضـح ظلم يزيد و جوره، و ما زالت الحادثه الحسـيتيّه إلى يومنا هذا تدمع العيون و تجدّد الأحزان كلّ عام كما تجنّد الطاقات و تعبّئها باتجاه العدل و الحرّيه.

النظره السطحيه:

قـد يظنّ البعض بأنّ حادثه كربلاء قـد ضاعفت قـدره بنى اميّه، و أنّ فقـدان القائـد قـد أدخل اليأس على قلوب الناس، كما أدّت بعيالات الحسـين عليه السلام إلى الأسر و السبى، دون الالتفات إلى أنّ هذه الحادثه قد هزّت عرش يزيد و قلبت خططه و أفكاره رأساً على عقب، فكلّنا نعلم أنّ يزيـد قـد هَمّ بتقويض صـرح الإسـلام و هـدم معالم الـدين، و كان يتحيّن الفرص للثأر من بدر و حنين، فى حين دفعت كربلاء بيزيد لأن يتظاهر بالدين و يلقى باللائمه على ابن مرجانه فى تعجيله بقتل الحسين عليه السلام.

يأس الامّه:

أمّا الامّه فلم تشـعر باليأس بقدر ما عاشت حاله من الثوره و الغليان و الغضب و النقمه، الأمر الذى تمخّض عن قيام المختار، و لم تسـتطع الزعـامه الغاشـمه مواصـله حكومتها إلّا بقوّه الحديـد و النار. نعم، لقـد آتت تلك الحادثه أُكُلها منـذ لحظاتها الاولى، ثمّ أعقبتها تلك الحمله الإعلاميه التى قادها أهل البيت بعـد الحادثه بيومين، لتشـهد الكوفه من جديـد الهـدير العلوى المـدوّى على لسان كريمته زينب الكبرى، ففضـحت يزيـد و أسـقطت الأقنعه عن وجهه الكريه، كيف يزعم أنّ سبى زينب لم يكن من ضـمن أهداف

الإمـام علیه السـلام؟ یا له من زعـم أجوف؛ ما الـذی حـدا بالإمام لاصـطحاب النسوه و هو یعلم بقتله فی کربلاء؟ لیس هنالک ما یـدعو إلی القلق فیمـا لو بقین فی الحرم المکّی الآـمن؟ ألاـ یشـعر الإمـام بـالقلق علی عیالاـته بالإتیان بهنّ إلی کربلاء و هو یعلم بقتله، فهـل هنالـک مثـل هـذا القلق لو بقین فی مکّه؟ لو بقین فی مکّه لمـا کان لهنّ من ملاذ بینما یتمتعن بالحصانه السیاسـیه لو رافقن الحسـین علیه السـلام!! أو لم یبق ابن عباس و محمّد بن الحنفیه فی مکّه أو المدینه؟ لو لم یکن الأسـر و السبی من ضـمن الأهـداف، أ فلاـ یعتبر الحسـین علیه السـلام مُقصّـراً؟ فالحسـین علیه السـلام کـان یعلم بـأنّه مقتول، أ فلم یحتمـل أنّ ذلک القتل سیؤدّی إلی سبی عیالاته؟ و علی فرض هذا الاحتمال فهل هو احتمال منجّز؟ اللهمّ إلّا أن یُقال: إنّ الإمام لم یکن قد تکهّن بعاقبه الأـمر! طبعـاً إن کنت ممّن یؤمن بـأنّ الإمـام معصوم بعیـد عن الزلل و الخطأ فکیف تحلّ هـذا الإشـکال؟ و کیف توفّق بین هـذه التناقضات؟ نفترض أنّک تعتقد بأنّ الإمام لم یکن عالماً بعاقبه الأمر منذ البدایه، و لکن حین اعترضه الحرّ و قد اتّضـحت عواقب الامور کما ذکرت فلِمَ لَمْ یقترح رجوع نسائه؟ هل کان الحرّ مأموراً بتسـلیم عیالات الحسـین علیه السـلام إلی عبید اللّه أیضاً؟ لو کـان الحسـین علیه السـلام اقترح علی الحرّ رجوع عیالاته أ لم یکن ذلک کافیاً فی قبول عـذر الحرّ عنـد عبیـد اللّه؟ لقـد أقررت بعـذره حیث قلت: لو ترک الحرّ الإمـامَ یرجع لما آخـذه عبیـد اللّه، فلم لم یقترح الإمام رجوع عیالاته؟ و لما شـعر بأنّ الخطر قد أحـدق به- کما زعمت- فهل الإصـرار علی اصـطحاب أولئک الأعزّه یُفیـد عدم التنبؤ بوقوع الأحداث؟ إذن لا یمکن القول بأنّ الأسـر لم یکن من الأهـداف المرسومه، بـل من المتیقّن کـان جزءاً مکمِّلًا للشـهاده، فکـان لا بـدّ لتلک القافله من القیام بمهمّتها الإعلامیّه. فوظیفه الحسین علیه السلام التضحیه من أجل الإسلام، بینما کانت مهمّه زینب تکمن

فی تغطیه وقائع کربلاء و التعریف بشخص الإمام و فضح یزید و الحیلوله دون ضیاع دم الإمام و سائر الشهداء.

خطبه زینب الکبری:

لقد فهمت الامّه من خطبه زینب فی الکوفه أنّ حکومه یزید إنّما استهدفت القضاء علی الإسلام و محو آثار الرساله، و قد حال الحسین علیه السلام بدمه الشریف دون هذا الهدف، فالحسین علیه السلام لم یمت، فهو قتیل فی سبیل اللّه وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْیاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ(۱) بل یزید هو الذی قتل و قذف بنفسه فی الهاویه، فالإسلام باق و یزید زائل. و هذا هو المنطق الذی نهجه علی بن الحسین علیه السلام فی مسجد الشام، لمّا سمع الأذان و أقرّ الشهاده الثانیه بلحمه و دمه و جسمه و کلّ شی ء فی جسده، لیثبت حیاته من خلال حیاه الرساله و الشهاده بالنبوّه لجدّه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و لم یفلح یزید فی محوه للرساله، و علیه: فقد کانت حادثه کربلاء- منذ انعقاد نطفتها و مروراً بأحداثها و ما أعقبها من سبی و أسر- عنصر فاعل یفیض حیویّه علی الإسلام.

المنطق الغاشم:

طبعاً، یمکن لمنطق القوّه- الذی یستند إلی القمع و کَمّ الأفواه و التلویح بالحدید و النار- أن یشیع الخوف و الهلع و الرعب و الاضطراب کسحابه فی سماء الامّه، إلّا أنّ فجر الحریه و العداله إنّما یشقّ لا محاله عباب هذه السحب الزائفه، فینهض حماه الدین لیحطّموا تلک القوی الفارغه. و عوداً علی بدء فإنّ المؤلّف قد ساء فهم وجود الإمام و عدمه، فقد افترض

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۶۹.

أنّ الإمام لو كان حيّاً و أصبح زعيماً للمسلمين و دارت القياده الإسلاميّه حول محوره، لساد العدل و القسط ربوع العالم الإسلامی، و بالتالی لتحقّقت حکومه العدل التی نتطلّع إلی تشکیلها من قِبل إمام العصر و الزمان عجّل اللّه تعالی فرجه الشریف، فتزول الفرقیه الطارئه علی الدین و لا تبقی إلّا الطائفه الإمامیه الحقّه التی تمثّل الدین، و حین افترض فقدان الإمام و عدمه ظنّ بأنّ هذا العدم یتضمّن زوال کلّ شی ء بما فیه الإسلام و استفحال الظلم و الجور و الطغیان الیزیدی! و علیه: فیخلص من خلال الفرضین إلی أنّ شهاده الإمام قد أدّت إلی ضرر عظیم لحق بالإسلام العزیز. و هنا یکمن الخطأ الذی ارتکبه المؤلّف فی إطلاق العنان لخیاله فی أن یسرح و یمرح کما یشاء. لنفترض أنّ الحسین علیه السلام قد انتصر- عسکریاً- علی یزید و تولّی الحکم، فهل ستسود الأحکام الإسلامیه و التعالیم القرآنیه حقّاً علی جمیع أنحاء المعموره، بحیث یشهد العالم الإسلامی المترامی الأطراف اندحار الجهل و الاضطراب و الظلم و الفوضی و سیاده العدل و المواساه و المساواه و الأمن و الاستقرار و ...؟ لا نعتقد بأنّ الأمر کذلک. و بالطبع فإنّ هذا لیس بمتعذّر علی الإمام الحسین علیه السلام فی أن یملأ العالم بهذه المفاهیم السامیه، إلّا أنّ هذا الأمل مشروط باندحار الأشقیاء و الجهّال و الطغاه و إزاله کافّه العراقیل التی تعترض سبیل الإمام، و لا نری لحدّ الآن مَن تمکّن من مثل هؤلاء الزعماء من اجتثاث جذور الظلم و الجور و إباده صروح الجهل و الحمق و تطهیر المجتمع من دنس الأرذال و الأوباش و الأشقیاء و إخضاعهم لمنطقهم و سلطنتهم. فأیّ من أنبیاء اللّه طبّق مثل هذه المفاهیم و الأهداف؟ هل استطاع موسی علیه السلام بیده البیضاء و عصاه أن یخلق من بنی إسرائیل مجتمعاً دینیاً متطوّراً و یجتثّ جذور الوثنیه و السامریه؟ فلم تجفّ أرجلهم من الماء حتّی طلبوا من موسی علیه السلام أن یجعل

لهم إلهاً كما كان للآخرين، و فی نهایه الأمر یخبر القرآن عنهم بقوله: وَ ضُرِبَتْ عَلَیْهِمُ الذِّلَّهُ وَ الْمَسْکَنَهُ(۱). و هذا نبیّ الإسلام أعظم زعیم عرفه العالم الإنسانی، فرغم جهوده الجبّاره و نجاحه فی نشر رساله السماء فی أنحاء العالم، إلّا أنّه لم یستطع أن یجعل الإسلام بکماله و تمامه هو الحاکم المطلق للعالم. هل استطاع نبیّ الإسلام إبّان حیاته أن یضع الأئمّه الأطهار علیهم السلام صراحه فی مواقعهم؟ نعم، بعد کلّ تلک المدّه من الزعامه و الجهود المضنیه فی رفع مستوی الامّه و تعویدها علی ممارسات الدین و مفاهیمه و ربطها بعجله الحضاره و الرقیّ و التمدّن و إنقاذها من الجهل و الوثنیه و التعنّت و التعصّب و المنطق الغاشم لأمثال أبی سفیان و صنمیه أمثال أبی جهل، طرح أواخر حیاته الشریفه قضیه الغدیر التی صرّحت بخلافه علی علیه السلام، فأطلق ذلک الرجل الذی کان قربه- و قد تغذّی علی مفاهیم الإسلام- عبارته المعروفه «إنّ الرجل لیهجر»(۲)! هل استطاع الإسلام آنذاک اجتثاث جذور الیهود؟ هل استقطب إلیه النصاری؟ هل استطاع إفهام تلک البشاره الصریحه و المیثاق الغلیظ الذی اشتملت علیه التوراه و الإنجیل بشأن نبوّه محمّد صلی الله علیه و آله و یجعلهم یذعنون لصحّه ما یقول؟ و هل استطاع النبی صلی الله علیه و آله أن یخضع کافّه تلک الحکومات الجبّاره لحکومته و یجعلها تنضوی تحت لواء الإسلام؟ و هذا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام، أ لم یتزعّم الامّه و یأخذ بزمام الامور؟ أ لم تندفع إلیه الجماهیر و تضطرّه لقبول الخلافه؟ و علیه: فقد امتلک الجیش الجرّار و الإمکانات و ما من شأنه أن یجعل الحکومه تطبّق الأهداف القرآنیه

۱- سوره البقره: الآیه ۶۱.

۲- مسند أحمد ۱: ۷۶۰ ح ۳۳۳۶.

المقدّسه، أمّا زعامته و علمه بأوضاع العالم الإسلامی و شجاعته و اقتداره و ارتشافه من ثدی الوحی و تتلمّذه علی ید الرسول الأعظم صلی الله علیه و آله فحدّث و لا حرج، و لکن أ لم تشهد هذه الزعامه منذ انبثاقها ذلک التمرّد و العصیان، و لا سیّما من أولئک الذین لم یروق لهم عدل علی علیه السلام، فرفعوا لواء المعارضه حتّی زجّوا بالإمام إلی میادین القتال، فکانت أوّلها معرکه الجمل، أ لم یقل القرآن: وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَ(۱) فهل قرّت عائشه فی بیتها أم تزعّمت العسکر لقتال علی علیه السلام، فخاطبها بکلّ حزن و أسی «أ هکذا أمرک رسول اللّه صلی الله علیه و آله؟»(۲). و أخیراً رأینا کیف امتدت زعامه معاویه و اتّسعت رقعتها و مدی الدماء الزکیه التی أُریقت من أجل تلک الزعامه. و الذی نرید أن نخلص إلیه هو بطلان تصوّر الموفّقیه و النجاح التامّ لأئمّه الدین فی الزعامه، و لو تزعّم الحسین علیه السلام الأمر لعانی ما عانی منه من قبله من الزعماء الربّانیین.

سر عدم النجاح:

لا شکّ أنّ السرّ فی عدم موفقیّه هؤلاء القاده هو أنّ الامّه لیست توّاقه جمیعها للعداله، کما أنّ الأفکار هی الاخری لیست مطهّره من الشوائب، فسنّه اللّه لم تجر بأن تبقی البشریه علی فطرتها و لا تتأثّر بعوامل الانحراف، بل غالباً ما تسیطر الشهوات و الأطماع و الخرافات و الجهل علی العقول، و هذه هی العناصر التی تهدّد الحکومات، و لذلک لیس لقوانین السماء حکومه عادله موفّقه تماماً من أجل بسط العدل و القسط، فهی لا تستطیع أن تقطع دابر المخلّین بالأمن و الاستقرار و تحول

۱- سوره الأحزاب: الآیه ۳۳.

۲- المناقب للخوارزمی: ۱۸۹، مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ۳: ۱۶۱، و عنه بحار الأنوار ۳۲: ۱۸۲.

دون جهلهم و أنانیّتهم، بل هذا هو حال الأکثریه دائماً، القوانین السماویه تتضمّن کافّه مفاهیم العدل و الکمال و الجلال، إلّا أنّها لا- تفرض مفاهیمها علی الناس قسراً، فهی تطرح مشاریعها علی الناس «وَ مَن شَاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَن شَاءَ فَلْیَکْفُرْ»(۱)، و لا- یلومنّ إلّا نفسه. إنّ هدف الأنبیاء هو جمع الناس علی الدین و العباده التی تکفل الفلاح و السعاده، إلّا أنّ هذا الهدف لم یدخل حیّز التطبیق أبداً: یا حَسْرَهً عَلَی الْعِبادِ ما یَأْتِیهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا کانُوا بِهِ یَسْتَهْزِؤُنَ(۲). فالدین الإسلامی الذی جاء لتکامل الإنسان إنّما یمتلک الجهاز القیادی الکامل الذی لا یألو جهداً فی إشاعه مفاهیم القرآن، إلّا أنّهم و بدءاً برسول اللّه صلی الله علیه و آله و أمیر المؤمنین علیه السلام إنّما اصطدموا بجمّ من الحوادث التی تعرقل مشاریعهم و أهدافهم، و قد بلغت هذه الحوادث ذروتها حتّی صوّرها أمیر المؤمنین علیه السلام:

«فصبرت و فی العین قذی و فی الحلق شجا»(۳). و حین تدافعت الامّه لإمارته، و لم یکن له بدّاً من قبولها رغم نفرته منها قال:

«لو لا حضور الحاضر و قیام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه علی العلماء أن لا یقارّوا علی کظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقیت حبلها علی غاربها ...»(۴) أ لم ینتصر المسلمون فی ظلّ قائدته، و یتّسع نور الإسلام فی أطراف الدنیا؟ أو یمکن تصوّر تقاعس الإمام عن القیام بوظیفته فی الزعامه؟ الواقع هو أنّ الدافع الذی کان یقف وراء رفض الإمام علیه السلام للزعامه هو علمه بهذه الصدور التی ملأت حقداً و غیضاً و طمعاً، فما أکثر أمثال طلحه و الزبیر و معاویه، و لم تکن سیره علی علیه السلام

۱- اقتباس من سوره الکهف: الآیه ۲۹.

۲- سوره یس: الآیه ۳۰.

۳- نهج البلاغه: ۸۳.

۴- نهج البلاغه: ۹۰.

تنسجم و تأمين الطلبات اللامشروعه، و لذلك كان يعلم بأنّ هذه الخلافه التى تطالبه بالتزام جانب الحقّ و العدل و تطبيق الأحكام الإسلاميه و المفاهيم القرآنيه ستؤلّب عليه أعداء الدين، و بغضّ النظر عن كلّ ذلك فقد قبل الخلافه و سار بالعدل و ربط الامّه بدينها و قرآنها إلّا أنّ ثمن ذلك كان باهضاً. و خلاصه القول هو أنّه لا ينبغى أن يظنّ المؤلف بأنّ الحسين عليه السلام لو أطاح بحكومه يزيد و أخذ بزمام الامور فإنّه سيتمكّن تماماً من إشاعه الحريه و الفضيله و مفاهيم القرآن و بسط العدل و القسط و المساواه و الإنصاف، فلو انتصر الحسين عليه السلام و اندحر يزيد، فهناك مئات الأفراد من أمثال يزيد الذين تلبّسوا بلباس الإسلام، و هذا ليس ذنب الأئمّه صلى الله عليه و آله، بل ذنب هؤلاء المهووسين الذين يمثّلون عقبه كئوده فى طريق أئمّه الدين و زعماء المسلمين. و ما عليك إلّا أن تتأمّل صرخات الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، كان نداء مظلوميّه الإمام: علامَ تقاتلوننى، ما ذنبى؟ أو يكون ذنبى فى دعوتكم لى و رسائلكم التى وردتنى أن أقدم علينا فليس لنا من إمام، فقدمت إليكم؟ لقد صوّرتم برسائلكم مدى الظلم و الجور بما يجعلنى لا أتريّث فى القدوم إليكم، أولم ير المؤلّف أنّ جواب هذه الصرخات المظلومه كان قد تمثّل بالتهليل و التصفير و السخريه و السبّ و الشتم.

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه سوى الأسنّه و الرماح جواباً(۱)

فليوقن المؤلّف العزيز بأنّ الإمام عليه السلام حتّى لو فتح الكوفه، لما واجه من أولئك الأقزام سوى ذلك الجواب، طبعاً ستقف الطائفه المؤمنه الغيوره إلى جانب الحسين عليه السلام و تهبّ للدفاع عنه، غير أنّ ناهبى بيت المال و قطّاع الطرق و اللصوص

۱- أعيان الشيعه ۷: ۲۶، و القصيده بكاملها للسيّد رضا بن هاشم الرضوى الموسوى اللكهنوى.

سوف لن يقفوا مكتوفى الأيدى. إذن، فالصوره الاولى التى رسمها المؤلّف- و التى تمثّل حلماً لذيذاً- لا يمكن قبولها بأىّ شكل من الأشكال.

الصوره الثانيه:

نريد أن نرى هل أنّ حادثه كربلاء و فقدان القائد و وقوع الامّه فى قبضه يزيد كانت ضرراً على الإسلام أم نفعاً؟ و لو كانت نفعاً فهل نبارك للأفراد الذين صنعوا هذه الحادثه المؤلمه، أم لا بدّ أن ندينهم و نلعنهم إلى يوم القيامه؟ لقد أشرنا باختصار إلى أنّ حادثه كربلاء قد انطلقت لصالح الإسلام منذ ولادتها، و قد فشلت كافّه مخططات معاويه و مؤامراته و أمواله الطائله التى أنفقها فى إطار معاداه علىّ و أهل بيت النبوّه و الرساله عليهم السلام، و كان الفضل فى ذلك لركب الأسرى و السبايا الذى خاطب الرأى العام فى كلّ مكان و فضح يزيد و كشف مظلوميه الحسين عليه السلام، و الأهمّ من ذلك ما لعبته هذه الحادثه آنذاك من دور فى التسلّل إلى أفكار يزيد، فيزيد كان عازماً- منذ اليوم الأوّل لتربّعه على عرش السلطه- على القضاء على الإسلام و إباده القرآن، و التذكير و الاعتزاز بعصر الآباء و الأجداد، و التغنّى بالأصنام و الأوثان، فكان شعاره المشئوم.

لَعبت هاشمُ بالملك فلاخَبَرٌ جاءَ و لا وَحىٌ نَزَل(۱)

إلّا أنّ يزيد نفسه قد استوقف تنفيذ هذه الخطّه بصوره موقّته، و قد علم بأنّ عليه أن يتحمّل الضربات تلو الضربات و ينتظر زعزعه حكمه إذا أراد أن يقضى على الإسلام و يقتل الحسين عليه السلام، و لا شكّ أنّ ذلك التوقّف كان معلولًا لحادثه

۱- تقدم فى ص ۲۰۷.

کربلاء و قافله الأسری. و إذا أردت أن تقف علی هذا المعنی فتأمّل ما قاله یزید بعد شهاده الحسین علیه السلام و هو یقارن بینه و بین الإمام: «فلعمری ما أحد یؤمن باللّه و الیوم الآخر یری لرسول اللّه فینا عدلًا و لا ندّاً»(۱). لا شکّ أنّ یزید ینطق بذلک خداعاً، فهو لا یؤمن برسول اللّه صلی الله علیه و آله إلّا أنّ الحادثه اضطرّته إلی ذلک لیثنی علی رسول اللّه صلی الله علیه و آله، و إلّا فقد أنشد:

لعبت هاشمٌ بالملک فلاخَبَرٌ جاءَ و لا وحیٌ نَزَلْ

لَستُ من خَندف إن لم أنتقم من بنی أحمد ما کان فَعَل(۲)

نعم، کلّما قام زُعماء الدین و إن قتلوا و من معهم من أتباعهم فإنّ أهدافهم و مشاریعهم دخلت حیّز العمل و التطبیق، غایه ما فی الأمر أنّ ذلک یستتبع التضحیه و الفداء و فقد الأحبّه، و إلّا فالشهاده هی تحقیق الهدف، لقد استشهد الحسین علیه السلام إحیاءً للسنّه، و حقّاً کان إحیاؤها بشهادته، لو لم ینهض الإمام و یتحمّل بصبر تلک المصائب و قتل الأحبّه و سبی النساء، لما بقی من الإسلام إلّا اسمه، و من القرآن إلّا رسمه و لعلا صرح یزید و عبید اللّه و تحطّم صرح الدین، نهضه الحسین علیه السلام و تضحیاته العظیمه هی التی حالت دون بلوره خطط یزید، بل نهضه الحسین علیه السلام فضحت حکومه بنی امیّه و عرفت الامّه بشخصیه یزید، و نهضه الإمام الحسین علیه السلام أثبتت أصاله الإسلام و حفظت القرآن. و هذا غیض من فیض آثار تلک الشهاده فی أوائل واقعه کربلاء الألیمه.

معطیات الحادثه بعد وقوعها:

ربّما لا ینضب الحدیث فی هذا المجال، فالمدرسه الحسینیه مدرسه الحریه

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۵۵.

۲- تقدم فی ص ۲۰۷.

و التحرّر، و كلّ ثائر فی الإسلام إنّما یستصغر شأنه و دمه مقارنه بالحسین علیه السلام و استمداداً للعزم منه. المدرسه الحسینیه مدرسه الشرف و الشجاعه و المساواه و التضحیه من أجل إنماء شجره الإسلام، لقد تعلّم شهداء المدرسه الإسلامیه دروس الفداء و التضحیه من هذا الرجل الربّانی أبی الأحرار و الثوره، و التأمّل فی الحدیث القائل بأنّ كلّ مسجد إنّما بنی بفضل دم شهید سفك لا یفید سوی الإقرار و الشهاده علی صحّه هذا الحدیث، فما المساجد و المعابد التی تشكّل مراكز العبودیه إلّا قبسات من شعاع الحسین علیه السلام و تضحیاته الحسام، لقد استشهد الحسین علیه السلام، أمّا الإسلام فقد التقط أنفاسه و تجدّدت حیاته. نعم، إنّما أحرقت خیام الحسین علیه السلام لتُقام خیام الإسلام التی تنشر معارف الدین و أحكام القرآن إلی یوم القیامه، لقد أصبح الحسین علیه السلام و الإسلام الیوم بمثابه «الصوره و المادّه» و صار الحسین علیه السلام هو الفصل المیّز للإسلام.

الحسین علیه السلام و الإسلام:

لا یسع الأحرار من محقّقی الأدیان و مفكّریها فی بحثهم لحقیقه الدین إلّا من خلال الإمام الباذل لمهجته، و قد تعرّفت الدنیا الیوم و من خلال دراستها لحادثه كربلاء علی منهج الإسلام و مفاهیم هذا الدین الحنیف، فكانت بركه بطلها هذا التشیّع الذی ساد و ما زال یسود كافّه بقاع الأرض، فقد عاش المذهب الاثنا عشری ردحاً من الزمن حیاته خلف الحُجب و لم یستطع الأئمّه الأطهار علیهم السلام من التعرّض علناً لمسأله من مسائله علی أساس فقههم دون اللجوء إلی التقیّه و الحذر من العدوّ، بینما غدا ببركه الحسین علیه السلام مذهباً رسمیاً یظهر ملایین البشر من خلاله تشیّعهم لیمارسوا حیاتهم و تعالیمهم بالانضواء تحت لواء الإمام الصادق علیه السلام زعیم المذهب.

و بالطبع، لا يمكن أن تورق ثمار هذه الشجره التى نبتت عروقها من دم الحسين عليه السلام على مدى الزمن القريب، و لا ينبغى الظنّ بأنّ صرخه الإمام كانت من أجل إنقاذ تلك الثلّه فى ذلك الزمان المحدود، أ فلا تعلمون أنّ الإمام عليه السلام عظيم و عملاق و على سعه من الفكر بحيث يستوعب مليارات الأفراد على مدى تقادم الزمان، و هذا سرّ تسطيره لتلك الحادثه. وليت شعرى أىّ منطق هذا الذى دعا المؤلّف للخوض فى فوائد حادثه كربلاء فى ذلك الزمان؟ ليخلص إلى أنّها أدّت إلى زياده شوكه يزيد و حبس الأنفاس فى الصدور و ذلّه الامّه و هوانها تجاه السلطه الأمويّه الغاشمه! فإذا كان الأمر كذلك، فقل قتال أمير المؤمنين عليه السلام لمعاويه فى صفّين قد أذلّ المسلمين و سبّب هوانهم، و على ضوء استنتاجك فإنّ صفّين وجّهت صفعه أقوى للإسلام، و جرّت عليه الضرر الأكبر إذا ما نظرت إلى عدد القتلى و فقدان الأولياء و ظهور فتنه الخوارج، و أخيراً تفاقم قدره معاويه و استحكام خلافته دون منازع!! و هنا يمكنك القول بأنّ علياً عليه السلام قد خاض قتال معاويه قسراً، و لم يكن جهاده ابتدائياً بل كان دفاعاً عن النفس! و لنا أن نسأل: أ ليس علىّ إماماً مفترض الطاعه و مصوناً عن الخطأ و عالماً بالأحداث؟ أ فَلَم يتّجه لقتال معاويه عالماً عامداً؟ بلى، يبدو أنّ الأمر لم يتمّ لصالح الإمام و قد تمكّن معاويه من اعتماد البدعه و الخداع، و لكن ما نتيجه الأمر؟ أ لم يكن قتال معاويه ضرورياً؟ كيف نقيم الأحكام التى يصدرها التأريخ اليوم بشأن معاويه؟ ما عاقبه معاويه؟ كيف ينظر العالم لعلى عليه السلام؟ كيف ترى قبر معاويه و المرقد المطهّر لعلى عليه السلام، ما ذا يقول القرآن بشأن علىّ عليه السلام؟ هل حفظ علىّ الإسلام أم قضى عليه؟ لو هادن الإمام حكومه

معاویه أ کانت تنشب معرکه صفّین؟ و لو صغی الإمام لنصیحه المغیره بن شعبه أ کان یسع معاویه فی تلک الفرصه المقتضبه أن یطالب بدم عثمان؟ ما ذا دهی علی علیه السلام لیجیب المغیره بهذه القوّه «لا أستعمل معاویه یومین»(۱)، کما ردّ علی اقتراح ابن عباس بالإبقاء مؤقّتاً علی معاویه فی الشام: «و اللّه لا أعطیه إلّا السیف»(۲).

و أخیراً ما ذا قال لشبث بن ربعی حین بعثه مع سعد بن قیس الهمدانی و جماعه إلی معاویه و إقراره بطاعه الإمام علیه السلام، فسأله ابن ربعی: و إن لم ینزل علی طاعتک فهل أنت مولیه؟ فقال علیه السلام: «إِنَّکَ لَا تُسمِعُ الْمَوْتَی وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِینَ» الخ(۳)(۴). إذن، فلم تکن معرکه صفّین خارجه عن علم الإمام، فالإمام یعلم أنّه لو أطلق العنان لمعاویه فی الشام لما فکّر قط بالمطالبه بدم عثمان، الذی کان معاویه حریصاً تماماً علی سفکه، و رغم هذا العلم و الاطّلاع لم یکن علی علیه السلام مستعدّاً للإبقاء و لو لیومین علی مهادنه ذلک الجبّار الغاشم المعادی للإسلام و المسلمین، الذی شیّد قصره علی جماجم الضُّعفاء و المحرومین و هضمهم حقوقهم و نهب أموالهم و استباح بیت مالهم. نعم، الذنب ذنب معاویه الذی لم یذعن للحقّ و ینقاد له. فلو قلنا بعدم علم الحسین علیه السلام بحادثه کربلاء و أنّها أضرّت بالإسلام و قد اضطرّ الإمام فیها للدفاع عن نفسه، وجب علینا أن نرسم مثل هذه الصوره الزائفه لکافّه معارک أمیر المؤمنین علیه السلام و بعض حروب و غزوات النبیّ الأکرم صلی الله علیه و آله!! و لا یسعنا هنا أن نقول إلّا ما قاله الحسین علیه السلام: «فعلی الإسلام السلام»(۵).

۱- الکامل لابن الأثیر ۳: ۱۹۷.

۲- الکامل لابن الأثیر ۳: ۱۹۷.

۳- سوره النمل: الآیه: ۸۰- ۸۱.

۴- شرح نهج البلاغه لابن أبی الحدید ۴: ۱۴- ۲۲.

۵- الملهوف: ۹۹، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۲۶.

إلّا أنّ الضمائر الحيّه و الأفكار الحرّه لا تتعاطف قطّ و هذه الصوره الفارغه، فالدنيا برمّتها ترى اليوم أنّ حياه الإسلام و عزّه المسلمين مرهونه بتلك النهضه الكبرى و تضحيه اولئك الفتيه و سبى تلك الصفوه. نعم، كان الأسر من الأهداف المرسومه للنهضه، و التضحيه و الفِداء منتهى طموحها، و فى قتل أبى الفضل العباس دروس و عِبَر فى تعليم الإخاء و الفضل و الإباء، و ما زالت و ستبقى هذه الحادثه تدمع العيون و تبكى القلوب، و إلى جانب هذه الدموع بحار من المحبّه و الرحمه التى يسبح فيها المجتمع الشيعى، و الحسين عليه السلام بطل الحريه و العداله هو الذى شقّ عباب هذا البحر و جعل أمواجه تفيض غيره و حرصاً على بناء الدين و تماسك قواعده. نعم، هذا غيض من فيض من معطيات نهضه الحسين عليه السلام و حادثه كربلاء الملحميه، التى تتضاءل لديها الأفكار و تجفّ الأقلام. سؤال: لو كانت لحادثه كربلاء مثل هذه المعطيات، و قد أدّت إلى قوّه شوكه الإسلام و انهيار دعائم الظلم و الجور، لم اصطلح الأئمّه عليهم السلام عليها بالمصيبه؟ فقد ورد فى زياره عاشوراء «يا لها من مصيبه ما أعظمها و أعظم رزيّتها فى الإسلام»(۱). جواب: طبعاً مصيبتها فى أنّها لِمَ حدثت و أَوْدت بحياه هؤلاء الفتيه و بتلك الطريقه البشعه التى تدمى القلوب، أمّا ثمرتها فلولا وقوعها لما بقى للإسلام اليوم من أثر، و بتعبير أوضح: مرض عضال مميت، و قد شخّص الطبيب علاجه بقطع الساق

۱- كامل الزيارات: ۳۳۰ ح ۵۵۶.

الیسری للمریض و بخلافه یموت، فما عسی أن یشعر به والد المریض و والدته؟

لیس سوی الحزن و السرور، فالحزن لقطع ساق ولدهم و السرور لعدم موته، فشجره الإسلام کانت تشهد الذیول و التآکل بسبب حکومات الجور و الفساد، و قد اجتهد یزید و عبید اللّه علی اقتلاع شجره الإسلام المبارکه، و لیس هناک من وسیله لحفظها سوی دم الحسین علیه السلام، کانت هذه الأفکار لا تفارق ذهن الإمام التی جعلته یتّجه لعدّه لیال إلی قبر رسول اللّه صلی الله علیه و آله، لیس هنالک من سبیل سوی «لا أری الموت إلّا سعاده»(۱) و إلّا مات الإسلام، آنذاک ستقطع تلک الأیادی الأثیمه التی تنوی العبث بعروق شجره الإسلام، و هنا تبلورت حادثه کربلاء، و علی الإمام أن یُمارس دوره فی هذه التربه. و لم تکن هذه الفکره مقتصره علی الإمام علیه السلام، فقد تکهّن بها مسبقاً، لا بدّ أن تشهد هذه التربه سفک الدماء المقدّسه لُاولئک الفتیه، لیستعید الإسلام حیویّته، فلتسفک الدماء، و لیقف یزید عند حدّه. و یشاهد امناء الإسلام و حماه العقیده- الأئمّه الأطهار علیهم السلام- هذه الصوره، فهم مسرورون لبقاء القرآن و دیمومه الإسلام، و فی ذات الوقت محزونون لهذه الحادثه و المصاب الجلل. لِمَ بلغت الامور بالإسلام فی ظلّ هذه الحکومات الفاسده هذا المأزق، و لم تعد هنالک من وسیله لعلاجه و بعث الحیاه فیه سوی سفک دم الحسین علیه السلام؟ لم کان الثمن دم هؤلاء الصبیه و بتلک الطریقه المروّعه؟ لِمَ کربلاء؟ فالحادثه مصیبه و أعظم مصیبه، و هل من مصیبه أعظم من تلقّی الإسلام للضربات تلو الضربات أو الحیلوله دونها بإراقه دماء الطهر و العفّه و الفضیله بأیدی السفّاحین المتعطّشین للدماء؟ إذن، فکربلاء إذا نظر إلیها من تلک الزاویه فهی مصیبه جلل، إلّا أنّها بالنظر إلی هذه الزاویه فتح و انتصار، یوم سرور الإسلام الذی التقط أنفاسه إثر هذه

۱- حلیه الأولیاء ۲: ۳۹، و عنه مناقب آل أبی طالب لابن شهرآشوب ۴: ۶۸.

الحادثه. إذن، يمكن النظر إلى هذه الحادثه من زاويتين: ۱- النظر إليها من ذلك الجانب الفاسد الذى يسدّد الضربات الموجعه و المؤلمه، و التى لا يمكن تفاديها إلّا من خلال تضحيه الإمام! ۲- النظر إلى المعطيات الدائمه التى أفرزتها النهضه و تمخّضت عنها تلك الحادثه. فالحادثه على ضوء النظره الاولى مصيبه و رزيّه، بينما على أساس النظره الثانيه نعمه و سلامه، و عليه: فالأئمّه عليهم السلام إنّما يستندون إلى النظره الاولى- لا الثانيه- فى وصفهم لتلك الحادثه بالمصيبه. و عليه: فلا منافاه بين نعتها بالمصيبه من قبل الإمام مع تلك المعطيات التى لم تفرزها سوى طبيعه تلك الحادثه، و أمّا على ضوء النظره الثانيه فكربلاء لوحه عشق تفيض عذوبه و رقّه و نوراً، ستسطع أشعّته إلى الأبد، و قد أشرقت فى أُفقها شمس الإمام لتُنير كلّ دياجير الظلام، الأمر الذى يجعل الأئمّه عليهم السلام ينظرون إليها بعين الفرح و السرور. و لا بأس هنا بسماع الكلمات الناطقه باسم أهل البيت، مخدّره حيدر و بطله كربلاء و زعيمه ركب الاسارى، و هى تذكّر الامّه بصولات على عليه السلام و خطبه فى الكوفه، و لا عجب فقد رضعت هى الاخرى من ثدى الوحى، الأمر الذى جعل لها مكانه خاصّه عند الحسين عليه السلام، لقد تمثّل الملعون يزيد بأشعار ابن الزبعرى مسروراً بدرك ثأره من تلك المعارك و لا سيّما موقعه بدر، على أنّه قتل القوم من ساداته و عدله ببدر فاعتدل، فلمّا سمعت زينب مقالته ردّت عليه قائله بعد أن حمدت اللَّه و أثنت عليه: «أ ظننتَ يا يزيد حيث أَخَذْتَ علينا أقطار الأرض و آفاق السماء فأصبحنا، نُساق كما تُساق الأُسارى، أنّ بنا على اللَّه هواناً، و بك عليه كرامه؟ و أنّ ذلك لعظم

خطرک عنده، ... فشمخت بأنفک، و نظرت فی عطفک جذلًا مسروراً، حین رأیت الدنیا لک مستوسقه و الامور لک متّسقه، و حین صفا لک ملکنا و سلطاننا، مهلًا مهلًا! أ نسیتَ قوله تعالی: وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ(۱) ... و سع سَعْیَکَ و ناصِبْ جَهدک، فو الله لا تمحونّ ذکرنا، و لا تمیت وحینا، و لا تدرک أمدنا، و لا ترضی عنک عارها، و هل رأیک إلّا فندا، و أیّامک إلّا عددا، و جمعک إلّا بددا، یوم ینادی المنادی: ألا لعنه اللّه علی الظالمین»(۲). و نلاحظ کیف نظرت ربیبه علی علیه السلام من خلال اعتماد الزاویه الثانیه للحادثه، لتمیط اللثام عن وجه یزید و نیّاته المبیَّنه للإسلام و القرآن، فهی تبطل تصوّره الفاسد بالقضاء علی الإسلام، و تقول له: هل یمکن إماته الوحی، فلیس للقرآن من زوال ما دام فی أهل البیت عرق ینبض، إنّ الحسین علیه السلام هو الذی قضی علیک و أفشل مخطّطاتک. و علیه: فمراد الأئمّه علیهم السلام بکون الحادثه مصیبه هو ما مرّ سابقاً، و إلّا فحادثه کربلاء کانت بمثابه الدم الذی یجری فی العروق بالنسبه للإسلام و القرآن.

الکتاب و الخطأ الرئیسی الثالث

اشاره

الکتاب و الخطأ الرئیسی الثالث(۳)

الدفاع الشخصی! السلام المشرِّف! الاقتراحات الثلاث! لا یمکن أن تکون ثمره الدفاع عن النفس هی الشهاده من أجل إحیاء الإسلام و القرآن، و لیس

۱- سوره آل عمران: الآیه ۱۷۸.

۲- الملهوف: ۲۱۵- ۲۱۸، و عنه بحار الأنوار ۴۵: ۱۳۳- ۱۳۵.

۳- ألمحنا سابقاً إلی عدم ضروره إفراد بحث لمناقشه هذا الخطأ، علی أنّ الردّ علیه إنّما یتّضح من الإجابه علی الخطأین الماضیین، و لکن لا بأس بإلقاء المزید من الضوء علی هذا الموضوع لأهمّیته.

هنالک من مصدر صریح صحیح بشأن السلام المشرّف! کما أنّ ذلک الصلح لیس بمشرّف! و لا یعقل اقتراح مثل هذا السلام من قِبل الإمام! کتب المؤلّف فی ص ۲۰۴- ۲۰۵: «حین حُوصر الإمام من قِبل قوّات عبید اللّه بن زیاد، بعث بکتاب إلی عمر بن سعد یخبره فیه بالرغبه بالاجتماع به لیلًا ... عقدت الجلسه السّریّه بین الإمام و ابن سعد ... و قد استغرقت الجلسه وقتاً طویلًا ... و لم یعلم من تلک المفاوضات سوی ثلاثه اقتراحات تقدّم بها الإمام، و من شأن قبول أیّ واحد منها إقرار الصلح و السلام! ابن سعد من جانبه أعرب عن ارتیاحه لاقتراحات الإمام، فبعث بکتابه إلی عبید اللّه بن زیاد ... و قد کانت اقتراحات الإمام تحمل کلّ معانی الخیر و السلام، بحیث کان لها أثر بالغ علی ابن زیاد ... و کتب فی ص ۲۰۶ تحت عنوان «تقریر غلام جاهل»: «روی عن عقبه بن سمعان- أحد غلمان قافله الإمام الحسین علیه السلام- أنّه قال: لم یقترح الإمام الحسین علی ابن سعد سوی الرجوع إلی الحجاز.

ملاحظه:

کانت هذه هی العبارات التی سطّرها مؤلّف کتاب «شهید جاوید» بشأن السلام المشرِّف. و هنا نسأل المؤلّف: ما مرادک باقتراحات الإمام الثلاثه و التی أسمیتها فی الصفحات اللاحقه بالصلح المشرِّف؟ و هل یمکن صدور مثل هذه الاقتراحات من الإمام؟ و هل یُسمّی ذلک الصلح بالمشرّف(۱)؟

ما هی الاقتراحات الثلاث؟

ما ذا یقصد المؤلّف بالاقتراحات الثلاث؟ لِمَ لَمْ یذکرها؟!

۱- شهید جاوید: ۲۵۱.

الاقتراحات الثلاث على ضوء نقل الطبرى (ج ۴ ص ۳۱۳) و الكامل لابن الأثير (ج ۴ ص ۵۴) هى عباره عن: ۱- الرجوع إلى مكّه أو المدينه. ۲- أن يضع الإمام يده بيد يزيد ليرى فيه ما يشاء. ۳- يسيروا به إلى أىّ ثغر. هذه هى اقتراحات الإمام عليه السلام- من وجهه نظر أعداء الإمام- هل يرى المؤلّف أنّ هذه هى الاقتراحات الثلاث، أم هناك غيرها؟ طبعاً لا يقصد سواها، و الدليل ما أورده من قرائن فى كلامه من قَبيل: أنّ الإمام فاوض عمر بن سعد، و تقييم ابن سعد للمفاوضات و أنّها إيجابيه، و قد وافقه عليها عبيد اللَّه. نعم، هذه هى القرائن؛ لأنّ عمر بن سعد المراوغ و عبيد اللَّه بن زياد- ابن الزنا- يريان أنّ ذلّه الإمام مفيده، و أوضح جميع تلك القرائن هى الهوامش التى ذكرها المؤلّف عن كتاب الطبرى و الكامل لابن الأثير المختصّه بالصلح و الاقتراحات الثلاث. و بناءً على ما تقدّم فهذا هو مراد المؤلّف بالاقتراحات الثلاث- التى ذكرت بصوره مبهمه و غامضه فى الكتاب-، إلّا أنّ الأهمّ هو أنّ المؤلّف كان فى مقام إثبات صحّه إسناد تلك الاقتراحات إلى الإمام، فأراد أن يقول بأنّ الإمام عليه السلام قد طرح مثل هذه الاقتراحات من أجل الصلح، و لا يقتصر هذا الكلام على الطبرى و ابن الأثير، بل إنّ المؤلّف يقول بأنّ هذا النقل صحيح، و أنّ الإمام قد أجرى المفاوضات مع عمر بن سعد بتلك المقترحات من أجل إحلال السلام، و ذلك لأنّ المؤلّف شدّد على متابعه عقبه بن سمعان على أنّه غلام جاهل، لا اطّلاع له، و هو غلام مُطيع، و قلّما يقوم الغلمان الذين تقتصر وظائفهم على الطاعه و الخدمه بنقل

وقائع المفاوضات السرّيه، و ليس لعقبه من ذنب فی هذه الحمله الشعواء و الاستخفاف سوی أنّه قال: «صحبت حسیناً فخرجت معه من المدینه إلی مکّه، و من مکّه إلی العراق و لم أفارقه حتّی قتل، و لیس من مخاطبته الناس کلمه بالمدینه و لا بمکّه و لا فی الطریق و لا فی العراق و لا فی عسکر إلی یوم مقتله إلّا و قد سمعتها، ألا و اللّه ما أعطاهم ما یتذاکر الناس و ما یزعمون من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویه، و لا أن یسیّروه إلی ثغر من ثغور المسلمین، و لکنّه قال: دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضه حتّی ننظر ما یصیر أمر الناس»(۱). أضف إلی ذلک فإنّ المؤلّف یستدلّ بعباره للحرّ یوم عاشوراء من أجل البرهنه علی استدلاله و عدم اطّلاع عقبه. إذن، لا بدّ من الجزم بأنّ قصد المؤلّف من الاقتراحات المبهمه هو تلک الاقتراحات، و قد أیقن بصدورها من الإمام علیه السلام، و أنّ هذا ما قاله الإمام لابن سعد و صدق الطبری و ابن الأثیر فی نقلهما. جدیر بالذکر أنّ المفاوضات مع ابن سعد کانت فی الیوم السابع لثلاث قبل عاشوراء حسب قول الطبری و ابن الأثیر، بحیث سدّت شریعه الماء علی الحسین علیه السلام، و لم یعد هنالک من أمل بالنصر، و لا یستبعد أن یکون الإمام قد عقد جلسه سرّیه مع عمر بن سعد لیله عاشوراء.

ملاحظه:

تضمّنت الصفحات (۲۱۳، ۲۱۴، ۲۱۵) ثلاثه امور مطلوبه من قِبل الإمام: ۱- الطلب الأوّل للإمام: إنشاء الحکومه الإسلامیه و ... ۲- الطلب الثانی- بعد الیأس من إنشاء الحکومه و الشعور بالفشل-: الصلح

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۱۳، الکامل لابن الأثیر ۴: ۵۴ باختلاف.

المشرِّف، و هذا طلب اضطرارى قطعاً. ۳- الطلب الثالث: الدفاع عن النفس بحكم الضروره و الاضطرار. ما ذا يقصد المؤلّف بالصلح المشرّف؟ هل هى الاقتراحات الثلاث من قِبل الإمام الحسين عليه السلام على عمر بن سعد؟ نقول بقوّه: ليس سوى ذلك، لأنّ الطلب الثانى بعد اليأس من النصر، و اليأس من النصر- حسب زعم المؤلّف- حصل عند مفاوضه عمر بن سعد بشأن الصلح؛ لأنّه يقول: «يبدو أنّ هذا الأمر طبيعى جدّاً، حيث سعى الإمام فى مفاوضاته السرّيّه الاولى أن يقنع عمر بن سعد بالالتحاق بمعسكره و الانطلاق معاً إلى الكوفه». و عليه: فاليأس المطلق من النصر كان حين حُوصر الإمام عليه السلام من قِبل جيش عبيد اللّه بقياده عمر بن سعد و لم يعد هنالك من أمل. و هنا تتّضح حقيقه الطلب الثانى للإمام الذى يسمّى بالصلح المشرِّف، و يمكن تسميته بالطلب الاضطرارى، و هذا الصلح هو فى الواقع المقترحات الثلاث التى نقلها ابن الأثير و الطبرى. و لمّا كان المؤلّف يعتقد بأنّ هذه المقترحات صدرت من الإمام حين اليأس من النصر، فلا بدّ أن يعتبر الصلح المشرف هو هذه المقترحات الثلاث التى تمثّل الطلب الثانى للإمام!! أمّا الشهاده فهى الطلب الثالث للإمام عليه السلام، و يوضّح المؤلّف هذه العباره قائلًا:

«أى بعد أن رفض أعوان يزيد اقتراح الصلح و أيقن الإمام بأنّه إذا استسلم سيُقتل ذليلًا كما فُعل بمسلم بن عقيل، لم يكن من الإمام لمّا تعرّض لهجوم الأعداء سوى الدفاع عن نفسه حتّى استشهد». «رفض أعوان يزيد الصلح» يعنى لو وضع الإمام يده بيد يزيد فإنّ ذلك لا يروق لأعوان يزيد، و لمّا رفضوا استسلم الإمام دون قيد أو شرط- العياذ باللّه-،

لقد رأى أنّ قتله حتميّ؛ لأنّه إن استسلم فهو مقتول أيضاً، آنذاك دفعه الاضطرار لقتالهم حتّى نال الشهاده. هذه خلاصه أفكار المؤلّف حول الشهاده، و أسمينا هذه المعركه دفاعاً عن النفس، و بناءً على زعمه هذا، لم يكن قتل الإمام فى كربلاء أكثر من دفاع عن النفس، و أىّ دفاع؟ دفاع بعد الاستسلام و الذلّه- نعوذ باللّه- التى لم تَرق لأعوان يزيد.

تكرار:

لقد اتّضحت أفكار المؤلّف بشأن صلح الإمام و الاضطرار إلى الدفاع فى يوم عاشوراء، مع ذلك نعرض بصوره سريعه إلى آراء المؤلّف. كانت نهضه الحسين عليه السلام تهدف إلى الإطاحه بحكومه يزيد و الأخذ بزمام الامور، و قد فشلت هذه النهضه رغم استنادها إلى بعض العناصر المعتمده، و ذلك لأنّ الآمال تبدّدت و تحوّلت إلى يأس، و لا سيّما بعد مفاوضه عمر بن سعد و اقتراح الإمام عليه سرّاً الالتحاق بصفّه و الانطلاق نحو السيطره على الكوفه. إذ ذاك تغيّرت خطّه الإمام، فاقترح الصلح سرّاً على عمر بن سعد. كانت بنود الصلح تتضمّن ثلاث مقترحات و للحكومه العمل بأىّ منها: أمّا أن يسمح للإمام بالعوده إلى المدينه! أو أن يضع يده الشريفه بيد يزيد! هذه هى المقترحات المشرّفه التى لا تتنافى و شأن الإمام! إلّا أنّ عمر بن سعد رغم اعتباره مفاوضه الحسين عليه السلام مفيده و رغم موافقه ابن زياد بعد اطّلاعه على الأمر من قِبل ابن سعد، إلّا أنّ القوّه الحاكمه رفضت اقتراحات الإمام، و لم يتمكّن الإمام بحسن نيّته من حسم المشكله. لقد فشلت خطّه السلام المقترحه من قِبل الإمام، و عليه: فلا بدّ من اختيار الطريق الثالث. و هل هنالك سوى إظهار العجز و الاستسلام؟ هذه هى الفكره التى

خطرت على ذهن الإمام، إلّا أنّ هذه الفكره ليست صحيحه، فأبن بنت رسول اللّه صلى الله عليه و آله قد رأى بعينه بأنّ مسلم بن عقيل قد قُتل رغم استسلامه، و عليه:

فإذا استسلم هو قتل! فهل من سبيل سوى الدفاع عن النفس إلى آخر قطره دم؟ أم يستسلم للقتل بهذه السهوله دون الدفاع عن نفسه! إذن لو كان الإمام عليه السلام يرى خلاصه فى الاستسلام لما قاتل! قاتل حيث لم يكن من سبيل سوى القتال! قاتل دفاعاً عن نفسه! و مرادنا من «الدفاع عن النفس» الذى يقول به مؤلّف «شهيد جاويد» هو هذا المعنى كما تثبته دراساته و تأمّلاته لحادثه كربلاء و قتال الإمام الحسين عليه السلام!! و لا ندرى أ نردّ على هذه الترّهات أم نترك ذلك للإخوه القرّاء الأعزاء. و نرى أن نردّ عسى المؤلّف المحترم يتدارك ما فرط من أمره و يطهّر كتابه من تلك الشوائب. إلّا أنّنا سنردّ بصوره مختصره.

هل للإمام أكثر من هدف؟

ليس للإمام عليه السلام فى نهضته أكثر من هدف، واحد، و هو إحياء الحقّ و إزهاق الباطل. بعباره أُخرى: إحياء سيره النبى و سنّته و إماته البدع و الشهوات التى تلاعبت بمصير المسلمين باسم الدين، و هذا ما جرى كِراراً و مِراراً على لسان الإمام فى خطبه التى أوردها خلال حركته، كانت نهضه الإمام عليه السلام تهدف إلى إيقاف الظالمين عند حدودهم و إزاله آثار الفساد و الانحراف، و إشاعه مفاهيم القرآن فى الحلال و الحرام، و الوقوف بوجه الحكومات الجائره من عبده الأهواء و الشهوات، و إنقاذ المسلمين من براثن حكومه يزيد الفاجر، هذا هو هدف الإمام. و لتسليط المزيد من الضوء على هدف الإمام، نرى من الضرورى التعرّف على بعض خطب الإمام عليه السلام خلال المسيره.

قال الإمام علیه السلام مخاطباً أصحابه و عسکر الحرّ فی «البیضه»: «ألا- و إنّ هؤلاء قد لزموا طاعه الشیطان، و ترکوا طاعه الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفی ء؛ و أحلّوا حرام اللّه و حرّموا حلاله، و أنا أحقّ من غیّر ....»(۱). و خطب فی «ذی حُسم» فقال: «أ لا- ترون أنّ الحقّ لا- یُعمل به، و أنّ الباطل لا یُتناهی عنه، لیرغب المؤمن فی لقاء اللّه محقّاً، فإنّی لا أری الموت إلّا شهاده و لا الحیاه مع الظالمین إلّا برماً»(۲). فقد اتّضحت بجلاء خلال هاتین الخطبتین دوافع النهضه، و هدف الإمام منها، فلیس للإمام علیه السلام سوی هدف واحد، و لم یخطّط سوی من أجل تحقیق هذا الهدف، و خطّته قتال السلطه الیزیدیه الحاکمه حتّی الموت و نیل الشهاده و اختیار مجاوره الرحمن. إذن، فالهدف واحد، و الخطّه اللازمه لتحقیق هذا الهدف لا بدّ أن تکون واحده أیضاً، و هی «القتال حتّی الشهاده» فالخطبتان کانتا إجابه لذلک السؤال. و هنا یبرز هذا السؤال: لم تُسفر هذه الدراسه إلّا عن نتیجه واحده، و هی أنّ هدف الإمام من هذه النهضه هو الوقوف بوجه الفساد و الانحراف و إحیاء سنّه رسول اللّه صلی الله علیه و آله، إلّا أنّ الإمام اعتمد ثلاثه مشاریع من أجل تحقیق هذا الهدف: ۱) السیطره علی الحکومه، ۲) الصلح المشرِّف!، ۳) الدفاع! فلو سیطر الإمام علی الحکومه لظفر ببغیته، و إلّا فالصلح المشرِّف، ثمّ إعاده تنظیم القوّه و الاستعداد من جدید للقتال، فإن لم یکن ذلک فالدفاع عن النفس حتّی نیل الشهاده. إذن فقد کان للإمام علیه السلام ثلاث خطط من أجل تحقیق هدف واحد، ألا و هو إحیاء السُنّه و إماته البدعه.

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۴.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵.

جواب: هل من عباره بشأن الصلح فی خطب الإمام علیه السلام؟ و هل یفکّر فی الصلح- و لو بصوره موقّته- من یقول: إنّ حکومه یزید لزمت طاعه الشیطان و ترکت طاعه الرحمن، و أظهرت الفساد و عطّلت الحدود، و أحلّت حرام اللّه و حرّمت حلاله؟

و أیّ صلح هذا؟ الصلح المشین! و لو قال هذا الإمام الهمام: أنا مستعدّ لأن أضع یدی بید یزید و أسلّم لکلّ ما یرید! فهل هذا صلح أم ذلّه؟ و هل یفکّر فی الصلح کوسیله لتحقیق الهدف من تصدح حنجرته «هیهات منّا الذلّه»؟ و بناءً علی ما تقدّم من مفاد الخطبتین فإنّ الإمام کان قد عقد العزم علی القتال حتّی الشهاده التی لا یراها إلّا سعاده، و علیه: فلم یعد هنالک من معنی و مفهوم للصلح فی قاموس النهضه الحسینیه.

الصلح المشرِّف!

إنّ الخطبتین المذکورتین و إن کانتا کافیتین لأن نقول- بصفتنا غلمان الحسین و جریاً علی ما قاله غلامه عقبه بن سمعان- بأنّ نسبه مثل هذا الصلح إلی الإمام کذب محض، مع ذلک نقف أکثر عند هذا الصلح لنؤدّی وظیفتنا کغلمان للإمام الحسین علیه السلام. لا ندری لِمَ اصطلح المؤلّف علی الاستسلام دون قید أو شرط بالصلح المشرِّف، فهل الاقتراحات الثلاث- التی استندتَ فیها إلی الطبری و لم یسمح لک کذبها و زیفها بذکرها تعنی استسلام الإمام علیه السلام لیزید لیفعل ما یحلو له؟ فهل للإمام أن یُصالح من ینعته بشارب الخمور و المتجاهر بالفسق و ناهب بیت المال و عبد الشیطان و المشرِّع لما یخالف القرآن؟ و هل هذا صلح مشرِّف! و هل یتقدّم الإمام علیه السلام إلی مثل هذا الصلح و هو القائل: أُرید أن آمر بالمعروف

و أنهى عن المنكر و أسير بسيره جدّى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و أبى علىّ بن أبى طالب عليه السلام(۱)؟ و هل يعقل أن يُصالح الإمام عليه السلام من يتفوّه.

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل(۲)

و هو يهدّد بالقضاء على الدين و القرآن و المسلمين و محمّد صلى الله عليه و آله؟ نحن لا نرى معقوليه صدور مثل هذا الصلح عن الإمام، و نسأل من يقول: إنّ الإمام أراد أن يدّخر القوى ليوظّفها فى المستقبل بما ينفع الإسلام. أىّ قوى هذه؟

هل المراد بها القوى التى و اكبت الإمام فى مسيرته إلى كربلاء بما فيها النساء و الصبيه و الكهول كمسلم بن عوسجه و حبيب بن مظاهر؟ أم قوّات الكوفه الشعبيه! الكوفه التى يشهد المؤلّف بأنّها واقعه فى قبضه عبيد اللَّه، أم القوّات التى ستتشكّل لاحقاً؟ و هل هنالك من أمل فى تشكيل قوّات من شأنها القتال فى سبيل اللَّه إلى جانب الإمام بعد انسحابه إلى أحد الثغور- طبق البند الثالث المقترح- و ذلك الضغط الشديد و الهوّه بين الإمام و الامّه و اليأس و السيطره التامّه لعبيد اللَّه بن زياد على العراق، الذى يمثّل مركز ثقل أنصار أهل البيت عليهم السلام؟ و الإمام يستريح قليلًا و يلتقط أنفاسه و يضع يده بيد يزيد و يتنزّه فى قصوره الفخمه ريثما تنتظم القوّات الشعبيه فيشنّ حملته ضدّ حكومه يزيد! هل هذه التصوّرات معقوله؟ و هل يفكّر مصباح الهدى- الإمام- بهذه الطريقه و ليتوصّل بالتالى إلى «الصلح الاضطرارى»؟ نعم، هذا ليس بصلح معقول و لا يمكن نسبته إلى ابن بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و الاصطلاح عليه بالصلح المشرِّف. و بغضّ النظر عمّا مضى فهل من سند لهذا

۱- بحار الأنوار ۴۴: ۳۲۹- ۳۳۰.

۲- تقدّم فى ص ۲۰۷

الصلح المقترح؟ نعم، سنده الكامل لابن الأثير و تأريخ الطبرى، أمّا عباره الكامل فهى: «ثمّ بعث الحسين إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظه أن القنى الليله بين عسكرى و عسكرك، فخرج إليه عمر فاجتمعا و تحادثا طويلًا و قد استغرقت المفاوضات السرّيّه للطرفين وقتاً طويلًا، و كثر حديث الناس، فكان الظنّ الغالب هو أنّ الإمام طلب من عمر بن سعد نصرته ... نعم، لقد ظنّت الأكثريه ذلك، و هنا قال فرد مجهول: لا، فقد اقترح الإمام على عمر ثلاث مقترحات على أن يقبل أحدها» فهل لنقل ابن الأثير هذا سند؟ و هل يعتمد نفس ابن الأثير على نقل فرد مجهول غير معروف ظنّ أنّ اقتراح الإمام عليه السلام على عمر كان ذلك الصلح المشرّف، و لمزيد من الاطمئنان نورد عباره الكامل حيث قال: «و قيل: بل قال له: اختاروا منّى واحده من ثلاث: إمّا أن أرجع ... و إمّا أن أضع يدى فى يد يزيد ... و إمّا أن تسيروا بى إلى أىّ ثغر ...»(۱). و يلتفت أهل العلم إلى أنّ نقل حديث الشخصيات العلميه أو التأريخيه أو السياسيه لا يقال فيه أبداً «قيل» بل يقال: «قال»، و إذا ذكر فى موضع كلمه «قيل» فإنّ ذلك دليل على عدم الاعتناء بحديثه و أنّه مجهول بحيث لا يذكر اسمه، و لمّا عبّر ابن الأثير ب «قيل» فإنّ الشخص الذى ظنّ أنّ حديث الإمام عليه السلام مع عمر بن سعد كان يتمثّل بالاقتراحات الثلاث ممّن لا يمكن الاعتماد على ظنّه و الاعتناء بحديثه، و لا يمكن أن يحظى باهتمام حتّى مؤلّف كتاب الكامل فضلًا عن الباحثين و المحقّقين. و بغضّ النظر عن هذا، أ لم يكذّب عقبه بن سمعان- الغلام الخاصّ للإمام عليه السلام- هذا الاقتراح، و قد نقل عنه الطبرى و الكامل أنّه قال: فو الله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس أنّه يضع يده فى يد يزيد و لا أن يسيّره إلى ثغر من ثغور المسلمين ...

۱- الكامل لابن الأثير ۴: ۵۴.

و لا یمکن القول أنّ عقبه- الـذی کان غلاماً للإمام علیه السـلام- لم یکن مطّلعاً علی الأوضاع؛ لأنّ هذا الغلام حامل الأسـرار، و یفهم من کلامه أنّه کان معتمـداً من قِبل الإمام، و أنّه لم یفارق مولاه خلال مسـیره من المدینه حتّی یوم شـهادته. و إذا قیل: لقد أشـار الحرّ بن یزیـد الریاحی ضـمن اعتراضه علی ابن سـعد إلی هـذا الاقتراح، و یتبیّن أنّ الحرّ کان مطّلعاً أیضاً، و اطّلاعه مقـدّم علی الاطّلاع الهشّ للغلام عقبه بن سـمعان. فنقول: أوّلًا: أنّ الحرّ لا یقول بأنّ الإمام طرح مثل هـذا الاقتراح علی عمر بن سـعد و أعوان یزید، بل خاطب الناس قائلًا: «أ لا تقبلون من الحسـین خصـله من هذه الخِصال التی عرضـها علیکم ...»(۱). و ثانیاً: لم یرد ذکر للمقترحـات. ثالثـاً: لا یعلم هـل کانت ثلاث مقترحات أم أکثر. و رابعاً: أشار الحرّ فی حـدیثه إلی خطبه الإمام علیه السـلام بالناس، فسمعه الحرّ یقول:

«لا و اللّه لا أعطیهم بیدی اعطاء الذلیل ...»(۲). و علیه: فلا یمکن القول بأنّ الخِصال التی ذکرها الحرّ هی تلک الاقتراحات علی عمر بن سـعد، و أنّه کان مطّلعاً علی الصـلح المشـرِّف، و لا یمکننا رفض قول عقبه بن سـمعان بتکـذیب هـذا الصـلح المشـرّف، بحجّه کونه غلامـاً، فهل کونه غلاماً ذنب یـدعو إلی عـدم الوثوق بإخباره و نقله؟ و خامساً: یقوی الظن بأنّ الخصال التی أوردها الحرّ فی حدیثه هی تلک الاستفهامات التی طرحها الإمام من قَبیل: أ لم تکتبوا إلیّ رسائلکم؟ أ لستُ ابن

۱- الکامل لابن الأثیر ۴: ۵۴، تاریخ الطبری ۴: ۳۱۳.

۲- الکامل لابن الأثیر ۴: ۶۴.

بنت نبیّکم؟ أ لستُ سید شباب أهل الجنّه؟ أ لم یقل جدّی: «الحسن و الحسین سیّدا شباب أهل الجنّه»؟ أ تطلبونی بمال أخذته؟ أم دم سفکته؟(۱) هذه الخِصال التی لو صدّقوا واحدهً منها و کانت لهم ذرّه من ضمیر، لما صوّب أهل الکوفه سهامهم و حِرابهم إلی الإمام، و لما تمکّن بعد ذلک عبید اللّه و عمر بن سعد من مواجهه أبی الفضل العباس و لیوث کربلاء. و لذلک نری الحرّ یلتفت إلی نفس هذا الأمر فیقول فی آخر حدیثه: «أ لا تقبلون من حسین خصله من هذه الخصال التی عرض علیکم فیعافیکم اللّه من حربه و قتاله؟ ... إذ دعوتموه حتّی إذا أتاکم أسلمتموه، و زعمتم أنّکم قاتلو أنفسکم دونه ثمّ عدوتم علیه لتقتلوه»(۲). و علیه: فهو یلقی بالتبعه علی جیش الکوفه الذی أراده الإمام عوناً فتحوّل إلی فرعون لموسی کربلاء: الحسین علیه السلام. سؤال: لعلّ هناک من یقول بأنّه لیس من الصواب الاستناد إلی ابن الأثیر فی تلک المقترحات، و حتی ابن الأثیر لا یعتقد بأنّ الإمام طرح تلک الاقتراحات، غیر أنّ سندنا تأریخ الطبری، فقد نقل الطبری عن أبی مخنف، عن عدد من المحدّثین أنّ الإمام طرح المقترح الفلانی علی عمر بن سعد. جواب: أوّلًا: کانت مفاوضات الإمام علیه السلام- حتّی بقول الطبری(۳)- مع عمر بن سعد

۱- انظر مقتل الحسین علیه السلام لأبی مخنف(وقعه الطف): ۲۰۶- ۲۰۷.

۲- مقتل الحسین لأبی مخنف(وقعه الطف): ۲۱۵.

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۱۲- ۳۱۳.

سرّیه، و لا یمکن التبّؤ بکنهها إلّا من خلال الحدس و الظنّ، و لو استند الدلیل إلی الحدس فقد اعتباره، علاوه علی ذلک فقد قال الطبری: ظن أغلب الناس أنّ الإمام لم یطرح أکثر من اقتراح علی عمر بن سعد. و ثانیاً: رغم أنّ الطبری ینقل عن أبی مخنف، و هذا عن عدد من المحدّثین فی أنّ مقترحات الإمام علیه السلام ثلاث، إلّا أنّ نفس أبی مخنف- علی قول الطبری- روی عن عقبه بن سمعان: «ألا و اللّه ما أعطاهم ما یتذاکر الناس، و ما یزعمون من أن یضع یده فی ید یزید بن معاویه، و لا أن یسیّروه إلی ثغر من ثغور المسلمین، و لکنّه قال: دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضه حتّی ننظر ما یصیر أمر الناس»(۱)، أمّا ما شاع بین الناس من الاقتراحات الثلاث فهی ظنون لا أساس لها. و ثالثاً: الطبری هو الآخر نقل حدسیات الناس و کذلک قول المحدّثین و کلام عقبه بن سمعان، أ فلا یدلّ هذا النقل علی عدم اعتناء الطبری بقول المحدّثین؟ بل دلیل علی عدم إصداره حکماً یعتقد به. و إذا غضضنا الطرف عن هذا، فما الذی یفیده نقل الطبری؟ هل یفید أکثر من کون المفاوضات کانت سرّیه و أنّ الناس أبدت ظنونها و حدسها بهذا المجال؟ فقد قال البعض: إنّ الإمام لم یتقدّم بأکثر من اقتراح واحد، و قال البعض الآخر: بل کانت ثلاث اقتراحات، و لعلّ هذا رأی الأکثریه، کما أشار إلی ذلک عقبه بن سمعان، فقد صرّح بأنّها لم تکن سوی شائعات جوفاء لا- أساس لها، و لم یقل الإمام علیه السلام سوی: «دعونی فلأذهب ...». و علی هذا الضوء أ لا- یمکن الظنّ بأنّه لیس هنالک من سند لقول المحدّثین عن العامّه التی نقل عنها أبو مخنف سوی ظنّ الناس و حدسهم البعید عن مفاوضات الإمام علیه السلام و عمر بن سعد؟ و علیه: فهل یمکن الاستدلال بقول المحدّثین؟ و هل لهذا

۱- تاریخ الطبری ۴: ۳۱۳.

القول من اعتبار حتّی من وجهه نظر أبی مخنف؟ إذن، فتاریخ الطبری لیس من شأنه أن یفیدکم و لا یمکنکم جعله دلیلًا للاستنباط، و بغضّ النظر عن هذا، و لنفرض أنّ الطبری یعتقد بأنّ الإمام قد اقترح البنود الثلاث، فهل یمکن الاستناد إلی قول الطبری فی أن نقول: «یوجد هنا بعض المطالب المسلّمه ... الرابع: أنّ الإمام تقدّم بثلاثه اقتراحات لو طبّق أیّ واحد منها لتمّ عقد الصلح دون ترديد؟ ...». أ و لیس قول الطبری یتعارض و قول ابن الأثیر؟ الذی قال: و قیل: بل قال له:

اختاروا منّی ... أی أنّ المحدّثین لم یقولوا، و لم یکن ذلک شائعاً بین الناس فی أنّ الإمام قاله، بل هذا قول مجهول. إذن لا یمکن الاستدلال بقول الطبری طالما کان متعارضاً مع کلام ابن الأثیر.

الأهمّ من کلّ هذه الأقوال:

الأهمّ من کلّ ما ذکر روحیه الإمام علیه السلام و هدفه المقدّس و عزمه الفولاذی و رسالته التأریخیه و علمه الثاقب بمصیر الامور و شوقه للقاء اللّه و وظیفته الربّانیه، کزعیم للأمّه و خطبه الملحمیه: «لا و اللّه لا أعطیهم بیدی اعطاء الذلیل ...»(۱). «هیهات منّا الذلّه»(۲). «إنّ اللّه لا یغلب علی أمره ...»(۳). «و کأنّی و أوصالی یتقطّعها عسلان الفلوات بین النواویس و کربلا»(۴).

۱- مقتل الحسین علیه السلام لأبی مخنف(وقعه الطف): ۲۰۹.

۲- تحف العقول: ۲۴۱، الاحتجاج ۲: ۹۹، مثیر الأحزان: ۵۵.

۳- الإرشاد للمفید: ۲/ ۷۶، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۷۵.

۴- مثیر الأحزان: ۴۱.

«من لحقَ بی استشهد»(۱). «هاهنا و اللّه محطّ رکابنا و سفک دمائنا ...»(۲). کلّ هذه الشواهد و مئات القرائن الاخری تدعو إلی الجزم بأنّ الإمام علیه السلام لم یتقدّم قطّ بتلک المقترحات الثلاث إلی حکومه یزید الخزی و العار، و لا سیّما أنّ الإمام علیه السلام أعرف من الجمیع بمدی إصرار یزید علی حزّ رأسه و ابن مرجانه الذی غالباً ما کان ینادیه الإمام بابن الزانیه! و رغم کلّ ذلک، فإذا کان هناک من یشعر بالترديد فإنّا نقول له- و فرض المحال لیس بمحال-: لو کان هناک من اقتراح فإنّما طرح علی الناس بهدف إتمام الحجّه و کشف النقاب عن روحیه أهل الکوفه المتعطّشه لإراقه الدماء و إفهام الدنیا بأنّ الإمام لا یحمل سوی رساله الصلح و السلام التی اندفع إلیها بکلّ ما أُوتی من قوّه، إلی الحدّ الذی جعله یقدّم مثل هذه التنازلات حرصاً علی سلامه الامّه و عدم سفک دمائها، فی حین لم تجبه حکومه الجبابره و کانت مصرّه علی قتله، و إلّا فکیان الإمام علیه السلام کان مفعماً بصرخات «هیهات منّا الذلّه». سؤال: ربما کان هناک من یقول: المراد بالصلح المشرِّف هو ذلک الاقتراح ذکره عقبه بن سمعان، فی أنّ الإمام قال لهم: «دعونی فلأذهب فی هذه الأرض العریضه».

و قد أورد الإمام مثل هذا الاقتراح یوم عاشوراء، و إذا تجاهل المؤلّف قول عقبه، فلیس له أن ینکر مثل هذا المضمون الذی صرّح به الإمام علیه السلام یوم عاشوراء.

۱- کامل الزیارات: ۱۵۷ ح ۱۹۵.

۲- الملهوف: ۱۳۹.

إذن، فالصلح المشرِّف هو هذا الاقتراح. و لا بدّ من القول بأنّه مشرّف لكون الإمام لا يرضى بالقِتال و إراقه الدماء. جواب: كان الاقتراح على الناس لا أعوان الحكومه، بينما حديث المؤلّف عن الصلح كان على أساس مفاوضه أعوان الحكومه، فقد كتب المؤلّف فى ص ۲۱۵: «و بعد أن رفض أعوان الحكومه عقد الصلح ...» أ و ليس الصلح الذى رفضه أعوان الحكومه هو تلك المقترحات الثلاث؟ إذن، فهذا الصلح لم يكن ذلك المقترح الذى نقله عقبه بن سمعان. نعم، لو تحدّث الإمام عليه السلام إلى الناس، كان لا بدّ من القول حقّاً أنّ هذا حديث الإمام و اقتراحه على الناس، و هو جدير بأن يُسمّى بالصلح المشرّف، و ذلك لأنّه مشروع يحول دون إراقه الدماء و يكشف عن حرص الإمام عليه السلام على سلامه الامّه، رغم علمنا أنّ تلك الامّه ليس لها و لا لدمائها من قيمه و اعتبار من وجهه نظر الإسلام، غير أنّ رأفه الإمام عليه السلام و رحمته و حلمه لم تدعه يسمح بإراقه دماء حتّى تلك العصبه المراوغه الكاذبه الغادره، و الحقّ أنّ هذا الصلح لما كان يهدف إلى سلامه الامّه فهو صلح مشرّف لا ذلّه فيه، كما يمكن القول فى نفس الوقت أنّه اقتراح لترك المخاصمه و كاشف عن عظمه الإمام، و لكن و على أساس ما ذكر سابقاً، لا يمكنه أن يكون كاشفاً عن الإراده الجديّه للإمام بمصالحه الامّه، و ذلك لأنّ الإمام يعلم أنّ هذه الامّه مغلوبه على أمرها و ليس لها من إراده، فهى حفنه جنود تزجّ بنفسها جهلًا بالمعركه أملًا فى الحصول على حطام الدنيا و ما يمنّيهم به أسيادهم، و ليس للجندى من حقّ فى اتّخاذ القرار أو المشاركه فى مفاوضات الصلح و ما شاكل ذلك- طبعاً هذا فى الأنظمه غير الإسلاميه، و إلّا فهو صاحب قرار فى الإسلام على ضوء

المقرّرات و الضوابط الإسلامیه- کما کان الإمام عالماً بشهادته، و هذا العلم یمنعنا من القول بأنّ إراده الإمام علیه السلام الحقیقیه کانت الدعوه إلی المصالحه. و بناءً علی هذا فإنّ طرح الاقتراح بهذه الجدیّه لم یکن وارداً، فلا یمکن للإمام علیه السلام أن یُطالب جدّیاً بإخلاء سبیله، و لعلّ مراده هدف أسمی من ذلک، کأن یُفهم العالم أنّنا لسنا طلّاب حرب، و أنّنا حریصون علی الصلح و السلام إلی أبعد الحدود و هذا ما أبلغنا به الامّه، إلّا أنّ دعوتنا لم تلق آذاناً صاغیه، و حتّی لا ینبری أحد لیقول: لِمَ ألقی الإمام بنفسه فی التهلکه؟ لیس للإمام من عداء لأحد من أبناء الامّه و قد حلّ علیها ضیفاً بعد أن دعته، رغم علمه بعاقبه هذه الضیافه التی ستکون مائدتها رءوس یطاح بها و دم عزیز یُسفک، فهذا ما أوصاه به جدّه و أبوه من إجابه دعوه الناس. إذن، فالهدف الرئیسی للإمام علیه السلام هو إعلان الصلح و السلام و إماطه اللثام عن نیّات السوء التی یبیّتها یزید و مرده الکوفه، و إلّا فالحسین علیه السلام کان یعلم بأنّ جیش عبید اللَّه بن زیاد کان مسلوب الإراده، و حتّی لو افترض لهم ثمّه إراده، مع ذلک کانوا من المرده و الغدره الفجره الذین هبّوا لضیافه ابن بنت رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بتلک الطریقه اللئیمه، کان الإمام علیه السلام عالماً بأنّ تربه کربلاء ستشهد ذلک النزیف الدموی الطاهر، و علیه: فاقتراح الإمام لم یکن سوی تعبیراً عن حبّه و حرصه علی الإنسانیّه، و بیان ذلّه و دناءه جیش ابن زیاد، و إتمام الحجّه علی مَن شهد فصول ذلک المشهد الدامی فی صحراء کربلاء.

ثوره الإمام علیه السلام لیست دفاعاً عن النفس

قیل: إنّ الهدف الذی یحظی باهتمام الإمام بالدرجه الثانیه هو الصلح، و حیث فشل الصلح فیأتی دور الاستسلام و وضع الید بید یزید و ... و رفض من قبل

أعوان يزيد، فقد انبثق الهدف الثالث: «الدفاع» و قال المؤلّف فی وصفه للدفاع:

«أيقن الإمـام بـأنّه إذا استسـلم فسيُقتل بنفس الطريقه الـذليله التی قُتـل بها مسـلم بن عقيل، و عليه: فليس له من سبيل أمام هجوم الأعـداء سوی الدفاع ...». إنّا و إن أوردنا هذه العباره سابقاً إلّا أنّنا نروم من تكرارها، لتسـهيل الوقوف علی بعض الامور، فالعباره تُفيد أنّ عمليه الدفاع قد ظهرت بعد فشل مشـروع الاستسلام و هجوم العدو. و عليه: فالدفاع جاء بعد سلسله من الفشل و الهزيمه، الفشل فی تزعّم الامور و السـيطره علی الكوفه و الفشل فی تحقيق الصلح المشرّف، و الفشل فی التسليم إلی العدوّ، و بالتالی عزم العدو علی قتل الإمام عليه السـلام!! فهل مثل هذا الدفاع مشـرّف؟ و هل هذا الدفاع المشـرّف شهاده؟ أم دفاع عن النفس؟ بعباره اخری: هـل أنّ شـهاده الإمـام كـانت بهـدف إحيـاء الإسـلام و إماته البـدع و تحرير الامّه من براثن الطغاه؟ أم أفرزته الضـروره و الاضطرار بعد فشل مشروع الاستسلام؟ و لو لم يدافع فما ذا عساه أن يفعل؟ لا يسعنا أن نسمّی مثل هذه الشهاده سوی الدفاع عن النفس، و نعتقـد أنّ الإمام برى ء من مثل هـذه النهضه و الثوره، و نری أنّ هناك خطّه عظيمه وراء قتل الحسـين عليه السـلام فی كربلا، خطّه مدروسه سـلفاً جری بها القلم، و علی الإمام عليه السلام تنفيذها شاء أم أبی فی كربلاء، و عليه أن يتضرّج بدمه فداءً للقرآن و الإسـلام. فقـد قـال الباقر عليه السـلام: «يا حمران إنّ اللّه- تبارك و تعالی- قـد كان قـدّر ذلك عليهم و قضاه»(۱). أمّا الـدفاع عن النفس فلا يعنی سوی الاضـطرار للقتل؛ لأنّه من المفروض أنّ الإمام حتّی إذا استسـلم فإنّه سوف يُقتل، و لم يكن قد تكهّن بعاقبه الحركه حتّی زُجّ به فی كربلاء زجّاً!! إذ ذاك لا بدّ من إبطال كافّه كلمات الإمام- و العياذ باللّه- التی

۱- الكافی ۱: ۲۶۲ باب أنّ الأئمّه يعلمون علم ما كان ... ح ۴.

قالها علیه السلام من قبیل: «لا أری الموت إلّا سعاده و الحیاه مع الظالمین إلّا برماً»(۱). و قوله فی ذی حسم حین اقترب من کربلاء: «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یعمل به و أنّ الباطل لا یُتناهی عنه، لیرغب المؤمن فی لقاء اللّه محقّاً، فإنّی لا أری الموت إلّا سعاده ...»(۲). هذا هو الهدف الذی جعل الإمام علیه السلام یُقاتل حتّی الموت و یضحّی بالغالی و النفیس من أجل الشهاده. الشهاده من أجل أهدافه السامیه، لا من أجل الدفاع عن النفس، الإمام یرید نفسه لهدفه، للإبقاء علی اسم رسول اللّه صلی الله علیه و آله و حفظ القرآن و الدفاع عن المظلومین و الوقوف بوجه الظالمین، هذه الأهداف أعزّ علی الإمام من نفسه، فهو القائل: «أ لا ترون أنّ الحقّ لا یُعمل به و أنّ الباطل لا یتناهی عنه، فلیرغب المؤمن فی لقاء ربّه» لیس هنالک من معنی للحیاه فی قاموس الإمام علیه السلام إذا ساد الباطل وضاع الحقّ. إذن، فهدف الإمام علیه السلام منذ البدایه هو الشهاده من أجل الحقّ، و مَن شکّ فلیراجع تاریخ الطبری(۳) لیری کیف أعلن الإمام عزمه فی ذی الحسم علی الشهاده، و لا نری أیّ عقل سلیم یقول بأنّ الإمام إنّما قرّر هذه الشهاده یوم عاشوراء بعد أن فشلت جمیع مشاریعه الاستسلامیه و ذلک الذلّ و الهوان فی مهادنه یزید، أملًا فی الحصول علی بضعه أیّام، فالإمام علیه السلام صمّم علی الشهاده مسبقاً؛ و هو الذی قال فی مکّه: «و کأنّی و أوصالی یتقطّعها عسلان الفلوات بین النواویس و کربلا»(۴). و قد بلغ به العزم و الإراده درجه جعلته لم یکترث لنصح ابن عباس و ابن

۱- الملهوف: ۱۳۸، و عنه بحار الأنوار ۴۴: ۳۸۱.

۲- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵، و فیه: شهاده بدل« سعاده».

۳- تاریخ الطبری ۴: ۳۰۵.

۴- تقدم فی ص ۳۰۲.

الحنفیه و سائر بنی هاشم، کما لم یزحزحه عن موقفه ما أشار به علیه عبد اللّه بن الزبیر و عبد اللّه بن عمر، إلی جانب تحذیر عبد اللّه بن جعفر و منع عبد اللّه بن المطیع الإمامَ من الحرکه، إضافه إلی آراء العارفین بأوضاع الکوفه الذین أوجزوا له حاله أهل الکوفه بأنّ «سیوفهم علیه»(۱). فلم تتمکّن کلّ هذه المحاولات الواقعیه من ثنی الإمام عن عزمه، فواصل مسیرته و هو یقول: «إنّ اللّه لا یغلب علی أمره»(۲) و لمّا بلغ موضع «البیضه» خطب الناس و عسکر الحرّ بن یزید و کشف النقاب عن أهدافه، فأیقن الحرّ بعد ما رأی من عزم الإمام علیه السلام و شدّه حملته علی یزید و أذنابه أنّه مقتول لا محاله، فحذّره الحرّ بعد أن لمس استعداد الإمام علیه السلام للتضحیه و القِتال، أراد الحرّ أن یخوّف الإمام بالموت، و هل یهاب الموت مثل الإمام؟ ثمّ أنشده الإمام ذلک الشعر الذی ارتجز به الأوسی لابن عمّه حین همّ بنصره رسول اللّه صلی الله علیه و آله:

سأمضی و ما بالموت عار علی الفتی إذا ما نوی خیراً و جاهد مُسلما(۳)

نعم، فقد جرت عاده أئمتنا علیهم السلام علی تذکیر الناس بالموت، و لیس لنصح المشفقین و لا خوف المرعوبین و لا تهدید الجبّارین أن یثنیهم عن عادتهم، فهم ممّن یستبشرون بالموت و الشهاده، الموت من أجل حیاه القرآن و الإسلام، الموت من أجل بقاء اسم صاحب الرساله محمّد صلی الله علیه و آله، و إذا کان حالهم هکذا فکیف یزعم المؤلّف أنّ شهادته لم تکن سوی الدفاع عن النفس، و خاصّه حین یئس تماماً من الحیاه و أغلقت علیه جمیع منافذها! إنّنا نلهج بخطاب الإمام علیه السلام: یا أبا الأحرار، یا قبله الثوّار، یا مصباح الهدی

۱- بحار الأنوار ۴۴: ۳۶۴.

۲- تقدّم فی ص ۳۰۲.

۳- الکامل لابن الأثیر ۴: ۴۹.

و سفینه النجاه، یا محیی القرآن و السنّه، مدرستک مدرسه الجهاد و التضحیه و الشجاعه و القیم الإنسانیه، مدرسه التوحید و الإخلاص و العبودیه، مدرسه العلم و الحلم و السماحه و الزهد و العزّه و الکرامه و نصره المظلوم و دحر الظالم. و أنت تخاطب الإمام؛ یا عصاره الکمال، أیّها الربّانی، یا أبا الأحرار، و یا أیّها المجاهد ... و علیه: فنحن متّفقون و إیّاک فی أنّه أبو الأحرار و الجهاد و الثوره. و لکن الاتّفاق هذا هل من شأنه أن یستمرّ؟ طبعاً لا، إنّ هذا الاتّفاق یجعلنا و إیّاک نقف علی مفترق طرق، فأنت تضیف مخاطباً الإمام بأنّک لم تکن علی علم بحادثه کربلاء و هذا ما أوقع عیالاتک فی الأسر دون علم، أنت الإمام الرءوف العطوف إلّا أنّ کربلاءک أضرّت بالإسلام و أذاقت صحبک الذلّ و الهوان! و هذا لیس ذنبک بل ذنب یزید، یا أبا الأحرار لقد استسملت لعساکر یزید بعد أن یئست من النصر، و رأیت کثره عدّه و عدد عدوّک و خانتک القوّات المواليه، فاقترحت وضع یدک بید یزید، و رغم هذه الذلّه و الهوان لم یوافقک یزید، بل کنت مستعدّاً لرکوب العار لو أیقنت بعدم القتل و لم یکن أمامک أیّها الثائر سوی الدفاع عن نفسک العزیزه لا من أجل وظیفه سماویه أو مهمّه إنسانیه علّک تنجو من الموت. أمّا نحن فنقول: یا حسین، یا أبا الأحرار، یا قبله الثوّار، یا مدافِعاً عن القرآن، یا محرّر المظلومین، یا باب نجاه الامّه، و یا مصباح الهدی أنت الحرّ الذی نهضت عن علم و درایه من أجل کسر القیود و الأغلال التی کُبّل بها الناس، و إیصالهم إلی السموّ و الکمال، و إنقاذ المظلومین من نیر المستکبرین یزید و أعوانه الملعونین، و قد اجتهدتَ فی تحقیق أهدافک حتّی آثرت التضحیه و الشهاده و سبی أهل بیتک علی الحیاه التی اعتبرتها بَرَماً. لقد نهضت بالأمر من أجل إحیاء السنّه و إماته البدعه و لم یکن همّک سوی الحقّ، فلم تنفک

عن ترديـد «أ لا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به» فكأنّى بك تقول: ما أصـنع بالحياه هى خاليه من مفردات الحقّ و القرآن و الإسـلام؟ لقد سـطّرت بدمك الزكى ملحمه لم و لن يشـهد التأريخ مثيلًا لها، لتبقى صـرخاتك تدوّى فى نفوس الثوّار، و ليردّد من خلفك المؤمنون «لاـ نرى الموت إلّاـ سـعاده» و لينهضوا بالأـمر أينمـا طـالعهم عـدم العمل بالحقّ و التناهى عن الباطل. فالموت من أجل الإسلام ليس بموت، و كيف تموت امّه تحيا فى أعماقها روح محمّد و علىّ و الحسين عليهم السلام، ستبقى كعبه تزورك الثوّار و هى تلهـج بقلوبهـا و مشاعرهـا قبل لسانها: نشـهد أنّك جاهـدتَ فى اللَّه حقّ جهاده و صبرت على الأذى فى جنبه و اسـتنقذت العِبـاد من الجهاله و حَيره الضـلاله. و نشـهد أنّك نور اللَّه الـذى لم يطفأ و لن يطفأ أبـداً، و أنّك وجه اللَّه الـذى لم يهلك و لن يهلـك أبـداً. و هـذا ليس صوتنـا بـل صوت القرآن الحكيم: وَ لاـ تَحْسَـبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيـلِ اللَّهِ أَمْواتـاً بَـلْ أَحْياءٌ عِنْـدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(۱). و أخيراً نرجو من جميع الإخوه القرّاء أن ينظروا بعين العفو و الصفح لما كان قد بدر منّا من زلل و خطأ و أن يتحفونا بما لديهم من آراء و مقترحات من شأنها خدمه الإسـلام و المسـلمين، كما نودّ أن نلفت انتباه الإخوه إلى أنّنا كنّا ننوى أن نجعل بحث «آيه التطهير» من ضـمن مباحث هـذا الكتاب إلّا أنّنا تحاشـينا زياده حجم الكتاب عن الحـدّ المتعارف، و قـد قمنا بطبع هذا البحث بصوره مستقلّه ليطّلع عليها القرّاء الأعزّاء. و ما توفيقى إلّا باللَّه العزيز، عليه توكّلتُ و إليه أُنيب.

۱- سوره آل عمران: الآيه ۱۹۶.

الإشراقی- اللنکرانی

مصادر التحقیق

۱- اثبات الهداه، لمحمد بن الحسن بن علی بن محمد بن الحسین، المعروف بالحرّ العاملی (۱۰۳۳- ۱۱۰۴) المطبعه العلمیّه، قم، ۱۴۰۴ ه. ۲- الأحادیث الغیبیّه، تألیف و نشر مؤسّسه المعارف الإسلامیّه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵. ۳- الاحتجاج، لأبی منصور أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی (من أعلام القرن السادس) دار الاسوه، قم، الطبعه الثالثه، ۱۴۲۲ ه. ۴- الاختصاص، لأبی عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العُکبری البغدادی، المعروف بالشیخ المفید (۳۳۶- ۴۱۲) دار المفید، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۴ ه. ۵- اختیار معرفه الرجال، المعروف برجال الکشی، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علیّ الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰) جامعه مشهد، ۱۳۴۸ ش. ۶- الإرشاد فی معرفه حجج اللّه علی العباد، لأبی عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العُکبری البغدادی، المعروف بالشیخ المفید (۳۳۶- ۴۱۲) مؤسّسه آل البیت علیهم السلام، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۴ ه. ۷- إعلام الوری بأعلام الهدی، لأمین الإسلام أبو علی الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسی (م ۵۴۸) مؤسّسه آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۷ ه.

۸- أعیان الشیعه، للسیّد محسن بن عبد الکریم بن علیّ بن محمد الأمین الحسینی العاملی (۱۲۸۱- ۱۳۷۱) دار التعاریف، بیروت، الطبعه الخامسه، ۱۴۲۰ ه. ۹- إقبال الأعمال، للسیّد رضیّ الدین علیّ بن موسی بن جعفر بن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) نشر مکتبه الإعلام الإسلامی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۹ ه. ۱۰- الأمالی، للشیخ الصدوق أبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی (م ۳۸۱) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۷ ه. ۱۱- الأمالی، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علیّ بن الحسن الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۱۲- بحار الأنوار الجامعه لدرر أخبار الأئمّه الأطهار علیهم السلام، للعلّامه المولی محمد باقر بن محمد تقی المجلسی (۱۰۳۷- ۱۱۱۰، ۱۱۱۱) دار الکتب الإسلامیه، طهران. ۱۳- بصائر الدرجات فی فضائل آل محمد علیهم السلام، لأبی جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار (م ۲۹۰) مکتبه آیه اللّه المرعشی النجفی، قم المقدّسه، ۱۴۰۴ ه. ۱۴- تاج العروس، لأبی الفیض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبیدی الحسینی، الملقّب بمرتضی (۱۱۴۵- ۱۲۰۵) دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۴ ه. ۱۵- تاریخ الأمم و الملوک (تاریخ الطبری)، لأبی جعفر محمد بن جریر الطبری (۲۲۴- ۳۱۰) مطبعه الاستقامه، القاهره، ۱۳۵۷ ه. ۱۶- تأویل الآیات الظاهره فی فضائل العتره الطاهره، للسید شرف الدین علیّ الحسینی الأسترابادی النجفی، (من مفاخر أعلام القرن العاشر) مؤسّسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷ ه. ۱۷- التبیان فی تفسیر القرآن، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علی بن الحسن الطوسی (۳۸۵- ۴۶۰) مؤسّسه الأعلمی للمطبوعات، بیروت بالافست عن مکتبه الأمین فی النجف الأشرف. ۱۸- تحف العقول عن آل الرسول صلی الله علیه و آله، لأبی محمد الحسن بن علیّ بن الحسین بن شعبه الحرّانی الحلبی (من أعلام القرن الرابع) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الخامسه، ۱۴۱۷ ه. ۱۹- تفسیر العیّاشی، لأبی النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عیّاش السلمی السمرقندی، المعروف

بالعیّاشی (من أعلام القرن الثالث الهجری) المکتبه العلمیّه الإسلامیّه، طهران، الطبعه الاولی، ۱۳۸۱ ه. ۲۰- تفسیر القرآن العظیم، لأبی الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر الدمشقی الشافعی، المعروف بابن کثیر (۷۰۰- ۷۷۴) دار المعرفه، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۰۶ ه. ۲۱- تفسیر القمی، لأبی الحسن علیّ بن إبراهیم بن هاشم القمّی (من أعلام قرنی ۳ و ۴) مطبعه النجف، النجف، ۱۳۸۶ ه. الطبعه الثانیه، بیروت، ۱۳۸۷ ه. ۲۲- تفسیر فرات، لأبی القاسم فرات بن إبراهیم الکوفی (من أعلام الغیبه الصغری) مؤسّسه الطباعه و النشر لوزاره الثقافه و الإرشاد الإسلامی، طهران، الطبعه الاولی، ۱۴۱۰ ه. ۲۳- تفسیر کنز الدقائق، لمیرزا محمد المشهدی ابن محمد رضا بن إسماعیل بن جمال الدین القمّی (م حدود ۱۱۲۵) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷- ۱۴۱۳ ه. ۲۴- تفسیر المنار، لمحمد رشید بن رضا بن محمد بن محمد بن علیّ القلمونی (۱۲۸۲- ۱۳۵۴) تقریراً لأبحاث استاذه محمد عبده بن حسن خیر اللّه (۱۲۶۶- ۱۳۲۳) دار المعرفه، بیروت، الطبعه الثانیه بالافست عن الطبعه الاولی بمطبعه المنار، ۱۳۴۲ ه. ۲۵- تفسیر نور الثقلین، لعبد علی بن جمعه العروسی العویزی (م ۱۱۱۲) تحقیق هاشم الرسولی المحلاتی. المطبعه العلمیّه، قم، ۱۳۸۳ ه. ۲۶- حلیه الأولیاء، لأحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسی بن مهران المهرانی، المعروف ب «أبو نعیم الأصبهانی» (۳۳۶- ۴۳۰) دار الکتب العلمیّه، بیروت. ۲۷- الخرائج و الجرائح، لأبی الحسین سعید بن عبد اللّه بن الحسین بن هبه اللّه بن الحسن، الشهیر ب «قطب الدین الراوندی» (م ۵۷۳) مؤسّسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الاولی، ۱۴۰۹ ه. ۲۸- الخصائص الکبری، لجلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی المصری الشافعی (۸۴۹- ۹۱۱) دار الکتب العلمیّه، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۰۵ ه. ۲۹- دلائل الإمامه، لأبی جعفر محمد بن جریر بن رستم الطبری (من أعلام القرن الخامس الهجری) مؤسّسه البعثه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۳ ه. ۳۰- دلائل النبوّه، لأحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن إسحاق بن موسی بن مهران المهرانی، المعروف ب «أبو نعیم الأصبهانی (۳۳۶- ۴۳۰) دار النفائس، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۶ ه.

۳۱- ذخائر العقبی فی مناقب ذوی القربی، لمحبّ الدین أبی العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبی بکر بن محمد بن إبراهیم الطبری (۶۱۵- ۶۹۴) مکتبه الصحابه، جدّه، مکتبه التابعین، القاهره، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۲- رجال الطوسی، لشیخ الطائفه أبی جعفر محمد بن الحسن بن علیّ الطوسی (۳۸۵- ۴۶۳) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۳- روضه الواعظین، لأبی جعفر الشهید محمد بن الحسن بن علیّ بن أحمد بن علی بن یوسف الفتّال النیسابوری، المشتهر بابن الفتّال (م ۵۰۸) مطبعه الحکمه، قم. ۳۴- الریاض النضره، لمحبّ الدین أبی العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبی بکر بن محمد بن إبراهیم الطبری (۶۱۵- ۶۹۴) دار الکتب العلمیّه، بیروت. ۳۵- شرح نهج البلاغه، لعبد الحمید بن هبه اللّه بن محمد بن محمد بن الحسین المدائنی، المعروف بابن أبی الحدید (۵۸۶- ۶۵۵) مؤسّسه إسماعیلیان، قم. ۳۶- الطرائف فی معرفه مذاهب الطوائف، لرضیّ الدین أبی القاسم علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن أحمد، المعروف بابن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) مطبعه الخیّام، قم، ۱۴۰۰ ه. ۳۷- علل الشرائع، لأبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱) المکتبه الحیدریّه و مطبعتها، النجف، ۱۳۸۵ ه. ۳۸- عیون أخبار الرضا علیه السلام، لأبی جعفر محمد بن علیّ بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی (م ۳۸۱) دار العلم، قم، ۱۳۷۷ ه. ۳۹- فرائد الاصول، المعروف ب الرسائل، للشیخ مرتضی بن محمد أمین الأنصاری (۱۲۱۴- ۱۲۸۱) تراث الشیخ الأعظم، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۹ ه. ۴۰- الفصول المهمّه فی معرفه الأئمه علیهم السلام، لعلیّ بن محمد بن أحمد بن عبد اللّه المالکی المکّی، الشهیر بابن الصبّاغ (۷۸۴- ۸۵۵) دار الحدیث، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۲۲ ه. ۴۱- الفقیه (من لا یحضره الفقیه) و مشیخته، للشیخ الصدوق أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی، (م ۳۸۱) دار الکتب الإسلامیّه، طهران، الطبعه الخامسه، ۱۳۹۰ ه. ۴۲- قاموس الرجال، للشیخ محمد تقی بن کاظم بن محمد علی بن جعفر التستری، مؤسّسه النشر

الإسلامی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۰ ه. ۴۳- الکافی، لثقه الإسلام أبی جعفر محمد بن یعقوب بن إسحاق الکلینی الرازی، دار الکتب الإسلامیّه، طهران، الطبعه الثالثه، ۱۳۸۸- ۱۳۸۹ ه. ۴۴- کامل الزیارات، لأبی القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسی بن قولویه القمّی (م ۳۶۸) نشر الفقاهه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۷ ه. ۴۵- الکامل فی التاریخ، لعزّ الدین أبی الحسن علی بن محمد بن محمد بن عبد الکریم بن عبد الواحد الشیبانی، المعروف بابن الأثیر (۵۵۵- ۶۳۰) دار صادر، بیروت، ۱۳۸۵ ه. ۴۶- کشف الغمّه فی معرفه الأئمّه علیهم السلام، لبهاء الدین علیّ بن عیسی بن أبی الفتح الإربلی (م ۶۹۳) المطبعه العلمیّه، قم، بالافست عن مکتبه بنی هاشم، تبریز، ۱۳۸۱ ه. ۴۷- کفایه الأثر فی النصّ علی الأئمّه الاثنی عشر، لأبی القاسم علیّ بن محمد بن علیّ الخزّاز القمّی الرازی (من أعلام القرن الرابع) انتشارات بیدار، مطبعه الخیّام، قم، ۱۴۰۱ ه. ۴۸- کمال الدین و تمام النعمه، لأبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمّی، المعروف بالشیخ الصدوق (م ۳۸۱) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الثالثه، ۱۴۱۶ ه. ۴۹- لواعج الأشجان فی مقتل الحسین علیه السلام، للسید محسن بن عبد الکریم بن علی بن محمد الأمین الحسینی العاملی (۱۲۸۱- ۱۳۷۱) نشر مکتبه بصیرتی، قم. ۵۰- مثیر الأحزان، لنجم الدین محمد بن جعفر بن أبی البقاء هبه اللَّه بن نما بن علی بن حمدون الحلّی (۵۶۷- ۶۴۵) مؤسّسه الإمام المهدی علیه السلام، قم المقدّسه، الطبعه الثالثه، ۱۴۰۶ ه. ۵۱- مجمع البحرین، للشیخ فخر الدین بن محمد علیّ بن أحمد بن طریح الرماحی النجفی، المشهور بالطریحی (۹۷۹- ۱۰۸۵) مؤسّسه البعثه، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۵۲- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، لأمین الإسلام أبی علی الفضل بن الحسن الطبرسی (حوالی ۴۷۰- ۵۴۸) دار الفکر، بیروت، ۱۴۱۴ ه. ۵۳- محجه البیضاء فی تهذیب الأحیاء، لمحمد بن المرتضی المدعو بالمولی محسن الکاشانی، المعروف بالفیض (۱۰۰۷- ۱۰۹۱) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الرابعه، ۱۴۱۷ ه. ۵۴- مختصر بصائر الدرجات، لأبی محمد الحسن بن سلیمان بن محمد بن خالد الحلّی (من أعلام

القرن الثامن الهجری) دار المفید، بیروت، الطبعه الاولی، ۱۴۲۳ ه. ۵۵- مرآه العقول فی شرح أخبار آل الرسول، للعلّامه المولی محمد باقر بن محمد تقی المجلسی (۱۰۳۷ - ۱۱۱۰ ، ۱۱۱۱) دار الکتب الإسلامیه، طهران، الطبعه الاولی، ۱۴۰۷ ه. ۵۶- المراجعات، للسید عبد الحسین شرف الدین یوسف بن إسماعیل الموسوی (۱۲۹۰- ۱۳۷۷) تحقیق حسین الراضی، الجمعیّه الإسلامیه، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۲ ه. ۵۷- مروج الذهب، لأبی الحسن علی بن الحسین بن علی المسعودی (م ۳۴۶) دار الهجره، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۰۴ ه. ۵۸- المسند، لأبی عبد اللّه أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشیبانی (۱۶۴- ۲۴۱)، دار الفکر، بیروت، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۴ ه. ۵۹- مقاتل الطالبیّن، لعلیّ بن الحسین بن محمد بن أحمد بن الهیثم بن عبد الرحمن، المعروف بأبی الفرج الأصبهانی (۲۸۴- ۳۵۶) منشورات الشریف الرضی، قم، الطبعه الثانیه، ۱۴۱۶ ه. ۶۰- معجم رجال الحدیث، للسید أبی القاسم بن علی أکبر بن هاشم الموسوی الخوئی (۱۳۱۷- ۱۴۱۳) مرکز نشر آثار الشیعه، قم، الطبعه الرابعه، ۱۴۱۰ ه. ۶۱- مقتل الحسین علیه السلام (وقعه الطف)، للمؤرّخ لوط بن یحیی بن سعید بن مخنف بن سلیم الأزدی (م ۱۵۸) مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۳۶۷ ش. ۶۲- الملهوف علی قتلی الطفوف، للسیّد رضی الدین أبی القاسم علیّ بن سعد الدین أبی ابراهیم موسی بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴) دار الاسوه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۴ ه. ۶۳- المناقب، للحافظ أبو المؤیّد الموفّق بن أحمد بن محمد البکری المکّی الحنفی، المعروف ب أخطب خوارزم (۴۸۴- ۵۶۸) مکتبه نینوی الحدیث، طهران ۶۴- مناقب آل أبی طالب علیهم السلام، لأبی جعفر محمّد بن علیّ بن شهرآشوب السروی المازندرانی (م ۵۸۸) انتشارات علّامه، المطبعه العلمیّه، قم. ۶۵- منتهی الآمال، للشیخ عباس القمّی (۱۲۹۴- ۱۳۵۹)، مؤسّسه النشر الإسلامی، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۵ ه.

۶۶- المنجد فی اللغه و الأعلام، لویس معلوف، مؤسّسه انتشارات دار العلم، قم، الطبعه الاولی، ۱۳۸۲ ش. ۶۷- المیزان فی تفسیر القرآن، للعلّامه السید محمد حسین الطباطبائی (۱۳۲۱- ۱۴۰۳) مؤسّسه مطبوعاتی إسماعیلیان، قم، الطبعه الثالثه، ۱۳۹۳ ه. ۶۸- نهج البلاغه من کلام مولانا أمیر المؤمنین علیّ بن أبی طالب علیه السلام، تحقیق الشیخ محمد عبده، الناشر سفاره الجمهوریّه الإسلامیّه الإیرانیّه فی دمشق. ۶۹- نوادر الأخبار، للعلّامه محمد بن مرتضی المعروف بالمولی محسن، و المشهور بالفیض الکاشانی (۱۰۰۷- ۱۰۹۱) مؤسّسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی، طهران، ۱۳۷۰ ش. ۷۰- وسائل الشیعه (تفصیل وسائل الشیعه إلی تحصیل مسائل الشریعه)، للشیخ محمد بن الحسن الحرّ العاملی (۱۰۳۳- ۱۱۰۴) مؤسّسه آل البیت علیهم السلام، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۰۹- ۱۴۱۲ ه. ۷۱- ینابیع المودّه لذوی القربی، للشیخ سلیمان بن إبراهیم القندوزی الحنفی (۱۲۲۰- ۱۲۹۴) مطبعه الاسوه، قم، الطبعه الاولی، ۱۴۱۶ ه.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
www
للحصول على المکتبات الخاصه الاخری
ارجعوا الی عنوان المرکز من فضلکم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹